جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الدلالات السياقية لقصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

إعداد

هاجر مصطفى أحمد محمد رشوان

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يناير ٢٠٢٣م / ١٤٤٤هـ

©. ٢٠٢٣م. هاجر مصطفى أحمد محمد رشوان. جميع الحقوق محفوظة

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة هاجر مصطفى أحمد محمد رشوان بتاريخ ٤/ ١ /٢٠٢٣م، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالبة المذكور اسمها أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالبة.

الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الرحمن حللي

المشرف على الرسالة

أ.د. عبد الجبار سعيد

مناقش

أ.د. عبد السلام المجيدي

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

هاجر مصطفى أحمد محمد رشوان، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

تاريخ: 2023/1/4 م - 1444/6/11هـ

العنوان: الدلالات السياقية لقصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

المشرف على الرسالة: الأستاذ المشارك الدكتور عبد الرحمن حللي

تناولت في هذه الرسالة قصة من قصص القرآن وهي: قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– والمذكورة في إحدى عشرة سورة، أغلبها مكي، لما في المشاهد الواردة فيها من تناسب مع طبيعة الفترة المكية، وقليل منها نزلت في المدنية.

وتسلط هذه الدراسة الضوء على السياق النصي والتاريخي في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–. من خلال بيان محور السورة، وترابط مشهد القصة فيها، مع السياق النصي وارتباطه الوثيق به، وذلك بالنظر إلى ما قبل مشهد القصة وما بعده في السورة واكتشاف التناسب. كما تتناول الدراسة السياق التاريخي للقصة، ببيان ارتباطها بتاريخ نزولها، وملاحظة التشابه بين الأحداث التي تدور مع الرسول ﷺ، والتي دارت مع سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من دعوتهما إلى التوحيد والبدء بالأقربين، ورفض قومهم الدعوة وغيرها من الأمور، كما تعنى باستخلاص ما في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من دلالات عقدية ودعوية وتربوية، وكيفية استثمارها في الحياة العملية اقتداء بالخليل –عليه السلام– في طريقة إيمانه ودعوته وتربيته.

ومن النتائج التي توصلت إليها: أن دراسة السياق يجب أن تكون دراسة تكاملية بين السياق النصي الذي يوضح بنية النص اللغوية، وما تفيد الألفاظ من دلالات ومعان، والسياق التاريخي الذي يبين ما يحيط بالنص وما صاحبه وقت النزول ولا نقتصر على أحد أنواع السياق دون غيره للتوصل إلى فهم سياق النص القرآني فهمًا تكامليًا.

ABSTRACT

The Contextual Implications(connotations) of the Story of Abraham (peace be upon him) in the Holy Quran

In this study, I dealt with one of the stories of the Qur'an, the story of our master Abraham, peace be upon him, which is mentioned in eleven surahs, most of which are Meccan because of the proportion of the scenes contained in them to the nature of the Meccan period and one surah revealed in Medina.

This study sheds light on the textual and historical context in the story of our master Abraham - peace be upon him - by indicating the axis (core)of the surah and the interdependence of the scene of the story in it with the textual context and its close connection to it, given the pre-scene of the story and beyond in the surah and the discovery of proportionality .The study also deals with the historical context of the story by indicating its connection with the date of its descent (revealation) and noting the similarity between the events that took place with the Prophet Mohammed (peace and blessings of Allah be upon him) and that took place with our master Abraham - peace be upon him - from their call to monotheism and start with the closest relatives and the reject of their people to the call (Daoua) and other things.

It is also concerned with extracting the doctrinal, advocacy and educational implications of the story of our master Abraham - peace be upon him, and how to invest them in practical life, following the example of Abraham in the way he believed, called and be educated.

One of the findings reached is that the study of the context must be an integrative study between the textual context that clarifies the

linguistic structure of the text and the semantics and meanings of the words, and the historical context that shows what surrounds the text as well as what accompanied it at the time of descent. We should not limit ourselves to one type of context and not others to reach an integrative understanding of the context of the Qur'anic text.

فهرس المحتويات

الإهداء .....م

المقدمة ١

الفصل التمهيدي: القصة القرآنية ودلالة السياق القرآني ١٢

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية، وأنواعها، وخصائصها..... ١٢

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية. ١٢

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني.....١٤

المطلب الثالث: خصائص القصص القرآني.....١٥

المبحث الثاني: مفهوم السياق، وأنواعه، وأهميته..... ٢٠

المطلب الأول: مفهوم السياق.....٢٠

المطلب الثاني: أنواع السياق.....٢٣

المطلب الثالث: أهمية السياق القرآني في التفسير:.....٢٥

المبحث الثالث: توصيف لورود قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم ٢٨

المطلب الأول: ورود لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في غير سياقات قصته:.....٣٠

المطلب الثاني ورود لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في سياق سرد قصته:.....٣٧

الفصل الأول: دراسة السياق التاريخي والنصي لورود قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم. ٤٤

المبحث الأول: علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق في السور المنزلة في مرحلة بداية دعوة الرسول ﷺ. ٤٥

المطلب الأول: دعوة الأقربين (سورة مريم: ٤١–٥٠).....٤٥

المطلب الثاني: حوار سيدنا إبراهيم مع قومه وأبيه (سورة الشعراء: ٦٩–٨٩).....٥٩

المطلب الثالث: بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتعجب امرأته (هود: ٦٩ – ٧٦).....٧١

المطلب الرابع: بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتعجبه (سورة الحجر: ٥١–٦٠). ٨٢

المطلب الخامس: تأملات سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وقومه في أسرار الكون (سورة الأنعام: ٧٤–٨٣) ٩٢

المبحث الثاني: علاقة قصة سيدنا إبراهيم بالسياق في السور المنزلة في مرحلة المكي الثاني (ما قبل هجرة الرسول ﷺ).....١٠٣

المطلب الأول: نصرة الله تعالى لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– على قومه، (سورة الصافات من آية ٨٣ إلى آية ١١٣) ١٠٣

المطلب الثاني: قصة ضيف إبراهيم ومهمتهم في إهلاك قوم لوط ودلائل القدرة الإلهية (سورة الذاريات: ٢٤ – ٣٧).....١١٥

المطلب الثالث: إبراهيم عليه السلام والبيت الله الحرام، (سورة إبراهيم:٣٥–٤١)....١٢٤

المطلب الرابع: دعوة إبراهيم –عليه السلام–: الحوار والمحنة والنجاة (سورة الأنبياء: ٥١–٧٣). ١٣٣

المطلب الخامس: الفتن والابتلاءات، سورة العنكبوت (١٦-٢٧) ١٤٥

المبحث الثالث: علاقة قصة سيدنا إبراهيم بالسياق في السور المنزلة في مرحلة ما بعد هجرة الرسول ﷺ (تأسيس الدولة الإسلامية)... ..... **١٥٥**

المطلب الأول: بناء البيت، تمهيدا لبعثة خاتم النبيين (سورة البقرة ١٢٤-١٣٤). ..١٥٥

المطلب الثاني: براءة جد القرشين والذين معه من الشرك (سورة الممتحنة ٤-٦)...١٦٨

الفصل الثاني: دلالات السياق في موارد قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم **١٧٤**

المبحث الأول: الدلالات في جانب العقيدة من قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم.....١٧٥

المطلب الأول: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم من خلال توحيد الألوهية.....١٧٥

المطلب الثاني: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- من خلال توحيد الربوبية والأسماء والصفات ١٨٠

المطلب الثالث: الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-. ١٩١

المبحث الثاني: الدلالات في جانب التربية والدعوة من قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم. ١٩٨

المطلب الأول: المنهج العاطفي من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.....١٩٨

المطلب الثاني: المنهج العقلي من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ٢٠٨

المطلب الثالث: الحسي أو التجريبي من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.٢١٣

الخاتمة ٢١٨

المصادر والمراجع: ٢٢٨

قائمة الجداول

الجدول رقم 1 يلخص معالم التناسب بين مشاهد قصة سيدنا إبراهيم والسياق التاريخي والنصي للسورة التي وردت فيها، ودلالاتها في المرحلة المكية.....٢٢٢

الجدول رقم 2 يلخص معالم التناسب بين مشاهد قصة سيدنا إبراهيم والسياق التاريخي والنصي للسورة التي وردت فيها، ودلالاتها في المرحلة المدنية. ٢٢٧

شكر وتقدير

أشكر الله عز وجل، على إنعامه عليَ نعمة إكمال البحث وإتمامه، وأن جعلني أسلك مسلك طلب العلم، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى مشرف البحث د. عبد الرحمن حِللي، الذي لم يبخل بنصيحة، أو إرشاد، أو توجيه، لإتقان هذا العمل فله كل الشكر وأسأل الله أن يبارك فيه ويبارك في عمره وأن يحفظه.

وأقدم خالص شكري لكل من نهلت من علمهم من دكاترة الجامعة وأخص (أ.د. أحمد شكري، أ.د. محمد عبد اللطيف، أ.د. عبد الله الخطيب، أ.د. رمضان خميس) ومن قبلهم معلماتي في المدرسة ومراكز التحفيظ.

ولا أنسى أن أشكر والدي: مصطفى رشوان، ووالدتي: زينب بدوي، اللذين تحملا معي مشاق الدراسة، وغمراني بدعائهما المستمر ، فلهم الفضل العظيم الذي لا أستطيع أن أوفيه، حفظهما الله وأمد الله في أعمارهم.

كما أشكر كل عائلتي ابتداء من جدي رحمه الله الذي كان سببا بعد الله أن أخطو هذه الخطوة وأكون في صرح هذا العلم، وكما أشكر بقية عائلتي البعيدين عن عيني القريبين إلى قلبي.

وأيضا أخي محمدًا وأخواتي (سارة، ومروة، ومريم) على مساعدتهم كل بما استطاع، وأسأل الله أن يرزق كل من ساهم معي بحرف أو كلمة أن نلتقي معا في الفردوس الأعلى.

الإهداء

أهدي بحثي إلى:

أبي العزيز

المتفاني والحنون وإلى ملاكي في هذه الحياة وإلى بسمة حياتي، ومرشدي ومعلمي، وإلى أغلى الأحباب.

وأمي الغالية

إلى من كانت تدعو لي وسر تفوقي، وإلى الحنونة المعطاءة، معلمتي، وناصحتي، وإلى أغلى الأحباب.

إلى جامعتي جامعة قطر التي نهلت منها العلوم.

إلى عائلتي الغالية الذين دعاؤهم دائما ومستمر.

إلى صديقاتي اللاتي تعاونا معا وتناصحنا معا.

إلى زميلاتي في العمل.

وإلى كل من له أثر طيب في حياتي.

وأدعو الله أن يجمعنا في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله

المقدمة

الحمد الله الذي أنعم علينا بنعمة القرآن، وهدانا للإسلام وأرسل لنا خير الأنام محمد ﷺ وعلى أله وصحبه وسلم أما بعد،

إنَّ القرآن الكريم هو كتاب الله المُعْجِز، والذي تحدَّى به أهل الفصاحة والبيان، حتى شهد له أساطين الفصاحة وصناديد الكفر: بأنَّ له لحلاوة وأنَّ عليه لطلاوة حتى وصف بأنه يعلو ولا يُعْلى عليه، وإنَّ علم تفسير كتاب الله من أجل العلوم وأعلاها، فأخذ المفسرون يعيشون فيه ويعيشون معه ويعيشون في ظله ولم يرتووا منه فما يزال العلماء ينهلون منه حتى الآن، ومما أعان علماء التفسير على فهم كتاب الله فهم السياق، فهو يساعد على الفهم الصحيح لكتاب الله، وهو أصل من أصول التفسير يجب الاعتماد عليه لفهم الكتاب وتدبر معانيه وفهم مقاصده، ومن تَدَبره فهم قصص القرآن، وتُعَدُّ قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أكثر القصص ورودًا في القرآن بعد قصة سيدنا موسى –عليهما السلام–.

وتناولت في هذا البحث دلالة السياق في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– نموذجًا لبيان الحكمة من تكرار المشهد في أكثر من سورة بأساليب متنوعة بما يتناسب مع سياق كل سورة، فالآيات التي تعرضت لقصة الخليل –عليه السلام– لا يقصد بها التكرار، فلكل مشهد دلالاته وأسراره في المكان الذي ورد فيه، فإذا جَمَعْتَ هذه المشاهد فسوف تكتمل لك قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكل مشهد ينسجم مع محور السورة وسياقها بحيث لو نُزِعَ هذا المشهد من السورة لاختلَّ المعنى، وأيضا ثمة تشابه بين القصة وما حدث مع رسول الله محمد ﷺ في زمن نزول السورة حاولت إبرازه، والوقوف على الدلالات التربوية والعقدية في القصة.

أولًا: فكرة البحث:

من قواعد علم تفسير القرآن وأسسه قاعدة مراعاة السياق، ومما يساعد على فهم السياق معرفة أحوال التنزيل، فهما –السياق وأحوال التنزيل– المُعِينان على توضيح المجمل وترجيح المحتمل، لذلك اهتم المفسرون قديمًا وحديثًا بهما، واعتبروهما من المُسلمات؛ ومما تتميز به القصة في القرآن أنها تمتزج بموضوعات السورة التي وردت فيها امتزاجًا عضويًا لا مجال للفصل فيها بينها وبين غيرها من الموضوعات الأخرى في السورة، فلو حذفنا مشهدًا من مشاهد القصة لاختل المعنى، فالمشهد يسهم في بيان مضمون النص القرآني، فلا ترد القصة إلا إذا تطلبها السياق بما يتناسق مع محور السورة، وبما يتناسب مع ذكر مشاهدها التي لها علاقة بموضوع السورة، فعلى سبيل المثال: نجد سورة الأعراف قد خلت من ذكر قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، رغم أنها تحدثت عن قصص الأنبياء، مما يدل على أن ورود القصة له وظيفة في موضوع السورة، وليس لمجرد سرد القصص.

فموضوع هذه الرسالة وهو إبراز هذه الميزة في القصص القرآني، والتي تحمل عنوان: "**الدلالات السياقية في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم**"، وهي محاولة لبيان تماسك الآيات وترابط الكلمات والجمل بما يتناسب مع سياق السورة التي وردت فيها القصة، ولبيان غرض تكرار القصة القرآنية بما يتناسب مع مشاهدها الذي وردت فيه، بالرغم من تباعد أزمان نزولها والأحوال التي رافقت كل تنزل لكل مشهد.

ثانيًا: إشكالية البحث وتساؤلاته:

القضية الأساسية التي يحاول البحث النظر فيها هي: استكشاف العلاقة بين المشهد في قصة سيدنا إبراهيم حيث ورد، والأحوال التي نزلت فيها السورة التي ورد فيها من جهة وسمي في

الرسالة (السياق التاريخي)، وعلاقة المشهد نفسه بسياق السورة من جهة أخرى من حيث موضوع السورة ومحورها ونظمها وسمي في الرسالة (السياق النصي). ويتفرع من ذلك عدد من الأسئلة الفرعية:

١. ما سبب ذكر مشهد من مشاهد قصة سيدنا إبراهيم في سورة دون غيرها من السور التي تناولت القصة؟

٢. ما علاقة الأحوال التي نزلت فيها السورة بسياق السورة وسياق القصة فيها؟

٣. ماذا يستفاد من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في ضوء ما سبق من ربط بين سياق السيرة النبوية لسيدنا محمد ﷺ الكاشف عن أحوال النزول، وسياق السورة القرآنية الكاشف عن موضوعها ونظمها، من دلالات وهدي في مجالات العقيدة والدعوة والتربية؟

ثالثاً: أهمية البحث ودواعي الكتابة فيه:

تكمن أهمية الدراسة في:

١. بيان وظيفة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في تاريخ الدعوة، وذلك من خلال الكشف عن علاقتها بما حدث وقت نزولها.

٢. إبراز الترابط بين سياق السورة والأحداث التي وقعت مع الرسول ﷺ والمسلمين وقت نزولها.

٣. بيان تأثير السياق في فهمها بعد معرفة فترة نزولها، وملاحظة اختلاف القصة مع تغير السياق من سورة إلى أخرى.

٤. دراسة القصة دراسة متكاملة من خلال تجميع مشاهدها من سور القرآن التي وردت فيها.

٥. بيان اختلاف كل سورة تناولت القصة الواحدة في مشهد عن غيرها، وأنه لا يوجد تكرار إلا وله دلالة خاصة، فكل سورة تأتي بمشهد مختلف أو نفس المشهد مرة بإيجاز وأخرى بإسهاب، فالقصة الواحدة – كما ذكر سيد قطب – قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن عند النظرة الفاحصة نجد أنه ما من قصة تكررت بصورة واحدة من ناحية القدر والسياق، وكلما جاءت السورة بالتكرار تأتي بجديد.

رابعاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. دراسة مواطن ذكر قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وعلاقتها بالسياق الخاص بكل سورة.

٢. دراسة مواطن ذكر قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وعلاقتها بأحوال التنزيل (السيرة النبوية).

٣. الكشف عن أثر السياق في فهم الحكمة من ذكر مشاهد القصة بإسهاب أو إيجاز، أو ذكر المشهد أو عدم ذكره.

٤. بيان ما يستفاد من القصة في الجوانب الثلاثة: العقيدة، والدعوة، والتربية.

خامسًا: حدود البحث:

ستتناول الدراسة قصة النبي إبراهيم عليه السلام فقط، من خلال ورودها في إحدى عشرة سور من القرآن الكريم، وهي: سورة مريم – الشعراء– هود – الحجر – الأنعام – الصافات – الذاريات– إبراهيم– الأنبياء– العنكبوت – البقرة.

سادسًا: منهج البحث:

سيعتمد البحث على المناهج التالية:

١. المنهج الاستقرائي وذلك من خلال تتبع الآيات التي وردت فيها قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم على وجه الاستقراء التام، وبيان علاقتها بفترة النزول وسياق السورة.

٢. والمنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل آيات قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في كل مشهد منها لاستخراج الفوائد في جوانب (العقيدة – الدعوة والتربية) وذكر ما يستفاد من القصة.

سابعًا: إضافة البحث على الدراسات السابقة:

من خلال البحث في الدراسات السابقة لم تجد الباحثة أية دراسة تناولت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من زاوية علاقتها بالدلالات السياقية والتاريخية في القرآن الكريم، ودراسة ما فيها من إشارات عقدية وتربوية ودعوية، ومن الدراسات ذات الصلة:

١. **أثر السياق في فهم المتشابه اللفظي في القصص القرآني**، محمد سقعان، وهي رسالة ماجستير، ١٦٧صفحة.

وقد اشتملت الرسالة على أربع فصول وكل فصل يتضمن ستة مباحث أو خمس، الفصل الأول: يحتوي على مفهوم وأنواع وأركان ودلالة وأهمية السياق، ثم الفصل الثاني يحتوي على مفهوم التشابه اللفظي، وتطوره، ونشأته، وأهم الكتب التي ألفت فيه، وأنواعه وأهميته، أما الفصل الثالث يحتوي على مفهوم القصة في القرآن، وخصائصها، وأهدافها، وعناصرها، وجماليات السياق الأدبي في القصة، وأما الفصل الرابع يحتوي على الدراسة التطبيقية التحليلية في قصص بعض الأنبياء وهم: سيدنا آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، وعيسى عليهم السلام.

ويختلف بحثي عن هذه الرسالة في أنها اقتصرت على بيان التشابه اللفظي فقط، بينما بحثي نظر في كل السور التي ورد فيها قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ودراسة سياق الآية، والمقطع، والسورة، بالإضافة إلى الجوانب التربوية الثلاثة.

٢. **منهج إبراهيم عليه السلام في تقرير العقيدة: دراسة وصفية تحليلية**، سعد عبود هادي، رسالة ماجستير، أم درمان، ٢٠١٨، ٢١٧ صفحة.

احتوت الرسالة على تمهيد وأربعة فصول، اشتمل التمهيد على تعريف للسورة وعناية الله بأنبيائه، ثم تناول الفصل الأول مناهج الأنبياء في تقرير العقيدة بشكل عام، ثم تناول الفصل الثاني والثالث والرابع منهج سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في تقرير العقيدة، من حيث آثار الخالق، ومنها النفع والضر، دلائل القدرة ودعوته لأبيه، ومن خلال الحديث عن اليوم الآخر، منها: بيان أحوال يوم القيامة، وصف الجنة والنار وأحوالهما وأيضا من خلال التفكر والوعد والوعيد، ومنها: الحث على التفكر في آيات الله، بيان ما أعده الله للمعارضين.

ويختلف بحثي عن هذه الرسالة في أنها تضمنت جانبًا واحدًا فقط هو العقيدة من غير عناية بالسياق، أما بحثي فيتضمن ثلاثة جوانب ومن خلال دلالة السياق.

٣. **دور السياق في فهم القصص القرآني قصتا آدم وإبراهيم -عليهما السلام- أنموذجا**، مختار بومدين، وهي رسالة ماجستير، في جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، عام ٢٠١٣-٢٠١٤م، ١٦٥ صفحة.

وقد اشتملت الرسالة على ثلاثة فصول، الفصل الأول: القصة القرآنية، واحتوى على ثلاثة مباحث المبحث الأول: تعريف القصة، المبحث الثاني: أنواع القصة، المبحث الثالث: فوائد القصة القرآنية، أما الفصل الثاني فتناول السياق، مفهومه وأنواعه، فدرس فيها السياق عند اللغوين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين، والمبحث الثاني: أنواع السياق القرآني حيث درس سياق كل من الآية، والمقطع، والسورة، والسياق العام للقرآن الكريم، أما في الفصل الثالث: أثر السياق في القصة القرآنية من خلال دراسة تقديم نظم القصة وتأخيرها، والتعريف والتنكير، وما يفرد وما يجمع، وما يضمر وما يظهر من ألفاظ القصة، وتغير الصيغة الصرفية في القصة.

و**تختلف هذه الرسالة عن رسالتي، فرسالته لم تتناول ذكر المشاهد المختلفة في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مقارنة بباقي السور، بالإضافة إلى أنها لم تتناول كل السور التي تحدثت عن القصة، كما لم تتناول دلالة السياق في المجالات الثلاثة: العقيدة، والدعوة، والتربية، كما لم يبين الترابط بين القصة وعلاقتها بوقت نزولها.**

٤. **ملامح من قصة إبراهيم –عليه السلام– في سورتي البقرة وإبراهيم دراسة موضوعية**، خليل بن عبد الله الدخيل، مجلة تبيان، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٨، ٢٠١٤، ٩١ صفحة.

احتوى البحث على تمهيد وأربعة مباحث، اشتمل التمهيد على التعريف بالقصة، والفرق بين القصص القرآني وغيرها من القصص، وبيان أسرار التكرار في القرآن، والمبحث الأول ذكر فيه جوانب الحديث عن إبراهيم –عليه السلام– في القصة القرآنية، والمبحث الثاني علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بمقصود السورة، والمبحث الثالث بين فيه أغراض قصة سيدنا إبراهيم في السورتين والمبحث الرابع ذكر أوجه الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في سورتي البقرة وإبراهيم.

وتختلف رسالتي عن هذا البحث في أن هذا البحث اقتصر على سورتي البقرة وإبراهيم بينما دراستي تشمل كل السور التي تناولت قصة سيدنا إبراهيم.

٥. **الدلالات السياقية للقصص القرآني –قصة النبي موسى عليه السلام أنموذجا–** بوزيد رحمون، وهي رسالة ماجستير، في جامعة فرحات عباس، الجزائر، عام ٢٠١٠–٢٠١١م، ١٣٤صفحة.

وقد اشتملت الرسالة على ثلاثة فصول، الفصل الأول: السياق والقصص القرآنية، واحتوى على خمسة مباحث المبحث الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحا، المبحث الثاني: أركان السياق، المبحث الثالث: دلالة السياق وأنواعه، المبحث الرابع: تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي، المبحث الخامس: حول القصص القرآني، وأما الفصل الثاني: الفترة المصرية وتناولت فيها سور وهي: (الأعراف– إبراهيم– طه– الشعراء–النمل– القصص– الزخرف – الدخان)، وأما الفصل الثالث: الفترة الإسرائيلية واحتوى على سور وهي: (البقرة – آل عمران – النساء).

وتختلف هذه الرسالة عن رسالتي، فرسالته لم تتناول دلالة السياق في المجالات الثلاثة: العقيدة، والدعوة، والتربية، كما لم يبين الترابط بين القصة وعلاقتها بوقت نزولها.

٥. ويعد كتاب **(قصص القرآن الكريم)**، للدكتور فضل حسن عباس، الذي نشر بطبعته الثالثة عام ٢٠٠٩م، من خلال دار النفائس – الأردن، وتعتبر من الدراسات النادرة التي ألقت الضوء على قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من خلال جمع كل المواضع التي وردت فيها حسب ترتيب النزول.

وقد احتوى الكتاب على بابين، والباب الأول احتوى على خمسة فصول ذكر فيهم الدراسة النظرية وهي الكاتبون في القصص، وأهداف وخصائص القصة، وشبهات المختلفة حول القصة القرآنية والتكرار، أما عن الباب الثاني احتوى على الدراسة التطبيقية لقصص الأنبياء واتبع في ترتيب القصص في الكتاب حسب وردها في القرآن.

أما منهجية البحث:

١. اعتمدت إيراد أقوال العلماء في محور السورة على الكتب التالية: الفراهي، شلتوت، حبنكة، سيد قطب، التفسير الموضوعي، البقاعي، سعيد حوى، الصابوني، طهماز، ثم ترجح منهم الباحثة من خلال تتبع النص أو تجمع بينهما.

٢. اخترت من مشاهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ما يحتوي على الحوار وهو الذي تضمنته الآيات من تفصيل عن حدث في حياة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أو دعوته، أما مجرد ورود ذكره مع غير من الأنبياء أو التذكير به دون تفاصيل فلا يدخل ضمن ضابط القصة.

٣. عند استخدام لفظ السياق في المبحث الثالث يقصد به سياق الآية.

٤. اعتمدت على ترتيب السور حسب ترتيب النزول من كتاب المكي والمدني في القرآن لمحمد الشايع، وأن اختلاف الروايات في الترتيب لم يكن له أثر في السور موضوع الدراسة.

٥. استخدمت عبارة المرحلة المكية الأولى من ٤-١٠ والمرحلة المكية الثانية الثلاث سنوات قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

٦. اعتمدت في تسمية المطالب على المشهد الأبرز في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أو ما انفرد به المشهد.

٧. اعتمدت في الترتيب التاريخي على تناول مرحلة وليس كل سورة بصورتها حديا.

٨. اعتمدت في ذكر الأحاديث على الكتب الست وبدأت بالصحيحين، فإن لم أجد فيهما بحثتُ في باقي الكتب ثم كتبت الحكم على الحديث.

الفصل التمهيدي: القصة القرآنية ودلالة السياق

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية، وأنواعها، وخصائصها:

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية.

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني.

المطلب الثالث: خصائص القصص القرآني.

المبحث الثاني: مفهوم السياق، وأنواعه، وأهميته:

المطلب الأول: مفهوم السياق.

المطلب الثاني: أنواع السياق.

المطلب الثالث . أهمية السياق القرآني في التفسير.

المبحث الثالث: توصيف لورود قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم

المطلب الأول: ورود لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في غير سياقات قصته.

المطلب الثاني: ورود لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في سرد قصته.

الفصل التمهيدي:

القصة القرآنية ودلالة السياق القرآني

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية، وأنواعها، وخصائصها

تناولت في هذا المبحث مفهوم القصة من حيث أصلها في اللغة وما اصطلح عليه العلماء، وبيان أنواعها المختلفة وخصائصها.

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية.

أولا: مفهوم القصة لغة:

قصص: تأتي الاستعمالات من الجذر ق ص ص بمعان عدة، ومنها[1]:

١. قَصَّ الخبر: أعلمه.

٢. قص الشعر: قطع منها.

٣. القَصة: الجَصَّةُ.

والمعنى الأول المستعمل بصيغة الفعل المُتَعَدّي هو الذي أخذ منه معنى "القَصِصُ" بمعنى "سَرْدِ القِصَصِ وَحِكَايتِهَا"[2].

ولفظ قصص ورد في القرآن عدة مرات، ومنها:

---

(١) ينُظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ)، ص٦٢٧.

(٢) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مؤسسة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، تاريخ الاقتباس: ١٣/ ١٠/ ٢٠٢٢، https://www.dohadictionary.org/root/%D9%82%D8%B5%D8%B5

١. في قوله تعالى: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ﴾ [سورة الشعراء: ٣] تأتي بمعنى البيان، والقاص من يسرد القصة(١).

٢. وقال تعالى: ﴿فَارتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصًا﴾ [سورة الكهف: ٦٤] وأيضا قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [سورة القصص: ١١] والمعنى هنا اقتص أثره أي تتبعه(٢).

ثانيا: مفهوم القصة اصطلاحا:

قصص القرآن: هو أنباء وأحداث عن تاريخ، حدث بالفعل، واشتمل على التشويق والإثارة، ولا تشبه القصص الأدبية بأية حال(٣).

وكذلك يقول القطان أن المفهوم هو: "إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة"(٤).

بناء على ما سبق يمكن تعريف القصة بأنها: الأخبار المتتابعة عن الأمم السابقة، والأحداث التي وقعت مع الأنبياء، والحوادث الواقعة في زمن النبي ﷺ.

---

(١) ينُظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، **القاموس المحيط**، ص٦٢٧؛ ينُظر: الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، **تاج العروس**، تحقيق: علي شيري، (د.م، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٤هـ)، ج٩، ص٣٣٥.

(٢) ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ)، ج٣، ص١٠٥١؛ ينُظر: الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (لبنان، دار المعرفة، د.ت، د.ن)، ص٦٧١؛ ينُظر: الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، ص٦٢٧.

(٣) ينُظر: عبد الكريم الخطيب، **القصص القرآني في منظوره ومفهومه**، (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ص٤٩.

(٤) القطان، مناع بن خليل، **مباحث في علوم القرآن**، (د.م: مكتبة المعارف، ط٣، ٢٠٠٠م-١٤٢١هـ)، ص١٠٧.

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني.

ينقسم القصص القرآني إلى قسمين من حيث المضمون والبنية:

القسم الأول: القصص القرآني من حيث مضمونه[1]: وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء:

وهي القصص التي تضمنت دعوة الأنبياء لأقوامهم، وتأييدهم بالمعجزات، وتبين القصص ما جرى معهم من أقوامهم، ففيها موقف المعاندين، وصبر الأنبياء، والطرق التي اتبعوها في الدعوة، وبيان عاقبة من اهتدى وآمن، ومن ضل وكفر.

ومن الأمثلة: قصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى -عليهم السلام- وخاتم الخلق والمرسلين محمد ﷺ.

النوع الثاني: قصص غير الأنبياء: وهي القصص التي تتحدث عن أشخاص لم تثبت نبوتها، وحوادث قد حدثت.

ومن الأمثلة: قصة أصحاب الكهف وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وطالوت وجالوت، وغيرهم.

---

(١) ينُظر: معبد، محمد أحمد محمد، **نفحات من علوم القرآن**، (القاهرة: دار السلام، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص١٠٦-١٠٧؛ ينُظر: القطان، مناع بن خليل، **مباحث في علوم القرآن**، ص٣١٧.

النوع الثالث: الأحداث التي وقعت للنبي ﷺ في زمنه: وهي القصص التي حدثت زمن النبي ﷺ مثل: الغزوات[1]، وحادثة الإسراء والمعراج، وغيرها.

القسم الثاني: القصص القرآني من حيث بنية القصة: وينقسم إلى نوعين:

أولا: القصة الطويلة:

وهي القصص التي ذكرت مجزأة المشاهد في عدد من السور كقصة سيدنا موسى ونوح وإبراهيم –عليهم السلام– أو القصة التي وردت في سورة واحدة كقصة سيدنا يوسف – عليه السلام–[2].

ثانيا: القصة القصيرة:

وهي قصة تكون قصيرة الحجم ومختلفة الأحداث من حيث القلة والكثرة، كقصّة النّمل والهدهد[3].

المطلب الثالث: خصائص القصص القرآني.

١. مصدرها الوحي (ربانية المصدر):

قصص القرآن هي آيات من كتاب الله فهي جزء من القرآن الكريم، وقد نزل بواسطة جبريل فالحديث عن القصص هو الحديث عن أجزاء من القرآن.

---

(١) غزوتا بدر الكبرى وأحد وردتا في سورة آل عمران، وغزوتا تبوك وحنين وردتا في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب وردت في سورة الأحزاب.

(٢) ينُظر: القرشي، منال بنت منصور، "القصص القرآنية في الدراسات التربوية"، **مجلة البحوث كلية الآداب**، ع٢٩، ص٨؛ ينُظر: السباعي، مريم عبد القادر، **القصة في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، ص٢٥١.

(٣) يُنظر: مرامي، جلال، دراسة القصة القرآنية القصيرة جدا وعناصرها، **مجلة إضاءات نقدية**، ع٢٢، ص١٠٤.

يقول فضل عباس: "مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن نفسه، فهي وحي الله تبارك وتعالى لذا نجدها هادفة، فهي ذات هدف ديني أخلاقي لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة غير أنها تجمع إلى سمو الهدف، وَرقي الشكل الفني"[١].

ولا يمكن دراسة القصة القرآنية كدراسة القصة الأدبية، فمن خصائص القصص القرآنية أن مصدرها من العليم الحكيم، الذي أبدع في فنون القول ما أعجز مقارعيه من أهل البيان عن معارضته.

٢. التكرار:

إن القصة القرآنية تنوعت بين قصص ذكرت في سورة واحدة وقصص ذكرت في عدد من السور وهي الأغلب، وأيضا تتنوع بين تقديم وتأخير، وإيجاز وإطناب، ومن المؤكد أن هناك حكمة وعبرة. فنجد بعض المشاهد من القصص تذكر في سورة واحدة بما يتناسق معها، ويبرز من كل القصة مشهد معين بما يتناسب مع السياق، فمواطن المشاهد تأتي كل مرة بجديد بما يتناسب مع الغرض الذي سيقت له، فيتكرر المعنى الواحد بصور مختلفة، فيرد في كل سورة بما يتناسب مع موضوعها، فلا تجعل النفس في ضيق أو ملل من التكرار، بل تضيف إلى نفس الإنسان معان جديدة[٢].

نجد الآيات التي ترتبط بالعقيدة الإسلامية أكثر من الآيات التي تتحدث عن المعاملات والعبادات؛ حتى تستقر العقيدة في النفوس وتترسخ[٣].

---

(١) عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، (الأردن: دار النفائس، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م)، ص٤٥.

(٢) ينُظر: مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص٣١٨.

(٣) ينُظر: نقرة، التهامي، **سيكولوجية القصة في القرآن**، رسالة دكتوراه، ص١١٩

ونضيف إلى ذلك أن تكرارها يتناسب مع الزمن والمخاطبين، فنجد المشاهد من القصص في العهد المكي تتميز بالإيجاز والعكس فيما جاء في العهد المدني[١].

يقول رشيد رضا: " إننا علمنا من سنة القرآن في قصصه المكررة أنها لما كانت منزلة لأجل العبرة والموعظة، والتأثير في العقول والقلوب، اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في البعض الآخر، حتى لا تمل للفظها ولا لمعانيها، وعلمنا أن الأقوال المحكية فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق، وليست نقلاً لألفاظ المحكي عنهم بأعيانها، فإن بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم، ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها ... ولكن الذي نجزم به أنه لا يمكن أن يكون في كتاب الله اختلاف في المعاني وإن لم يكن تناقضًا، وأن اختلاف الأساليب وطرق التعبير فيه عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لنُكَت تفيد من فهمها فائدة لفظية أو معنوية"[٢].

٣. الشمولية:

إنها تشمل موضوعات عدة، منها: العقيدة، والعبادات والأخلاق والتربية...[٣].

فنجد في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عند التأمل في المشاهد أنها تشمل في أغلبها الحث على التوحيد، وبيان جزاء كلا الفريقين وبيان البعث، وهي تدور حول العقيدة، وتظهر واضحة في القصة؛ لأنه أبو الأنبياء.

---

(١) ينُظر: القرشي، منال بنت منصور، "القصص القرآني في الدراسات التربوية"، **مجلة البحوث كلية الآداب**، ع٢٩، ص١٥.

(٢) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ١٩٩٠م)، ج٨، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٣) ينُظر: سردار، صباح بنت نور مياه، **أثر القصص القرآني في غرس العقيدة من خلال قصة إبراهيم**، رسالة ماجستير، ص٢٥.

ونرى أيضًا جانب العبادات، فقد ذكرت عبادة الحج والصلاة في إشارات سريعة قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝﴾ [سورة الحج: ٢٦-٢٧]

ونجد أيضا جانب الأخلاق والتربية حين دعا أباه وقومه إلى عبادة الله وحده، بأساليب مختلفة(١).

٤. الصدق والواقعية:

جاءت القصة القرآنية بالصدق والحق وقد بينت الآيات ذلك، قال تعالى: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هذَا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلينَ﴾ [سورة يوسف: ٣]، وكلام الله حق لا يدخل فيه شوائب أو تزييف، فالقصة حقيقة تاريخية صادقة لا يصطدم معها إلا من ينكر ما جاءت به الكتب السماوية.

٥. كونها هادفة:

قصص القرآن ليست للسرد والاستمتاع بها كأي قصة، إنما جاءت لتصحيح العقائد الفاسدة، وبيان الأخلاق الجيدة لإصلاح المجتمع والأفراد(٢).

وتأتي الآيات لتكون عبرة لما حدث للأمم السابقة فقد قال تعالى: ﴿قَد كانَ في قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِأُولِي الأَلبابِ ما كانَ حَديثًا يُفتَرى وَلكِن تَصديقَ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

---

(١) يأتي التفصيل إن شاء الله في الفصل الثاني.

(٢) ينُظر: فوزي، إبراهيم، **الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم**، (د.م: د.ن، د.ط ،د.ت)، ص٧٥-٧٦

يمكن القول مما سبق: إن خصائص القصص القرآني يختلف عن القصة الأدبية جملة وتفصيلاً، وأنه لا يمكن المقارنة بينهما، فأسلوب القرآن في عرض القصة له روعة خاصة تدل على إعجاز القرآن؛ لأنه من رب العالمين، ومهما تنوعت القصة البشرية، فلن تصل لمرحلة القصة القرآنية.

المبحث الثاني:

مفهوم السياق، وأنواعه، وأهميته

المطلب الأول: مفهوم السياق.

أولا مفهوم السياق لغة:

قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدو الشيء"، والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها[١]. ويقال: "ولدت فلانة ثلاثة بنين على سَوْقٍ واحد: أي بعضهم في إثر بعض"[٢]، والمنساق التابع والقريب[٣].

ثانيا: مفهوم السياق اصطلاحًا:

من المعروف أن مفهوم السياق لفظ غير مستحدث فكان أول من استخدمه الإمام الشافعي في الرسالة كان مفهومه عنده يخص السياق النصي اللغوي فقط، غير أنه لم يلغ أهمية السياق التاريخي وإن لم يسمه سياقًا[٤]، واستخدمه الشاطبي وفصل فيه وأكد على أهمية

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقايس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.م: دار الفكر، د.ت، ١٩٧٩م-١٣٩٩هـ)، ج٣، ص١١٧.

(٢) ابن عباد، الصاحب، **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، (لبنان: بيروت، ط١، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ)، ج٥، ص٤٧٤.

(٣) ينُظر: ابن عباد، **المصدر السابق**، ج٥، ص٤٧٥.

(٤) ينُظر: حللي، عبد الرحمن، "قراءة الشافعي في سياقه: نحو مقاربة جديدة"، **مجلة تبيان**، ع٣٤، ص٢٢٠-٢٢١.

مراعاته[١]، ويفهم من كلامه وجود نوعين من السياق، السياق التاريخي وهو اختلاف الأوقات والأحوال والنوازل، ويعين على هذا أسباب النزول؛ والسياق النصي وهو: ألا ينظر في أول الكلام دون أخره ولا في أخره دون أوله. أما السيوطي فيقول في الإتقان: "على المفسر مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف، والغرض الذي سيق له الكلام"[٢] وكأنه اقتصر على فهم الغرض والمقصد الذي سيقت له الآيات. ويشير الكفوي إلى التمييز بين السباق والذي يختص بما يسبق الكلام، واللحاق بما يختص بما بعده من الكلام، وبين السياق الذي يعم ما قبله وما بعده[٣].

وفي الدراسات الحديثة يرى المثنى عبد الفتاح أن السياق "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[٤]، ويرى المطيري أنه: "بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها أو

---

(١) ينُظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **موافقات**، تحقيق: أبو عبيدة، (د.م: دار بن عفان، ط١، ١٩٩٧م-١٤١٧هـ)، ج٣، ص٤١٣.

(٢) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، (لبنان: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م-١٤١٦هـ)، ج٤، ص٢٢٧.

(٣) ينُظر: الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت)، ص٥٠٨.

(٤) محمود، المثنى عبد الفتاح محمود، **السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي**، رسالة دكتوراه، جامعة، كلية اليرموك (الأردن، لجامعة الأردنية، ٢٠٠٥)، ص١٤.

بعدها"[1]، ويرى الشهراني أنه: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق ولاحق، أو حال المخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"[2].

نجد أن السياق في اللغة يعبر عن التتابع ومجيء الشيء في أثر الشيء فيكون قريب منه، فكذلك دلالة السياق الاصطلاحي هو تتابع المعاني والألفاظ، وبيان السابق واللاحق من الآيات.

ومن الملاحظ أن التعريفات السابقة غير شاملة؛ فمنهم من اقتصر على بيان اللفظ من الآيات السابقة واللاحقة ولم يذكر الجملة (مقطع من الآيات)، وأكثرهم لم يشمل حال المخاطب والظرف الذي سيقت فيه الآية أو الآيات فاقتصروا على جزء واحد من التعريف.

وترى الباحثة أن التعريف الشامل هو:

السياق هو بيان معنى الآية مع السابق واللاحق من الآيات، والمقطع، ومحور السورة، والقرآن ككل، وأيضا حال المخاطبين ومعهودهم في عصر النزول، والظروف والأحداث التي كانت في زمن نزول الآيات، والمعينة على فهم دلالاتها.

فالسياق متكامل بِبُعديه، والاقتصار على السياق التاريخي دون النصي أو العكس يخل بفهم المعنى.

---

(١) المطيري، عبد الرحمن، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير، ص٧١.

(٢) الشهراني، سعد بن محمد، **السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة دراسة نظرية تطبيقية**، (الرياض: د.ن، ط١، ١٤٣٦هـ)، ص٢٩.

المطلب الثاني: أنواع السياق.

ينقسم السياق إلى نوعين من حيث السياق التاريخي والنصي:

الأول: السياق التاريخي وينقسم إلى نوعين

الأول: يتعلق بالمخاطبين من حيث أحوالهم، ولغتهم، وثقافتهم، وعاداتهم.

والثاني: يتعلق بالظروف والأحداث التي كانت في فترة نزول الآيات سواء أكانت سببا للنزول أم حدثت في فترة النزول.

الثاني السياق النصي وينقسم إلى أربعة أنواع:

١. سياق الآية: إن اللفظ في القرآن يتعدد في أكثر من آية ويكون له أكثر من معنى، ولكن عند النظر لسياق الآيات التي قبلها وبعدها يتضح معنى اللفظ.
٢. سياق المقطع أو النص: إن السورة تحتوي على عدة آيات وكل مجموعة من الآيات تكون مقاطع تتحد وتتلاحم فيها الآيات بغرض معين[١]، فيكون لها موضوع واحد يتناسب مع محور السورة العام، ويظهر هذا في الأمثلة على القصص القرآني غالبًا[٢].
٣. سياق السورة: لكل سورة في القرآن محور واحد، وتكون المقاطع خادمة لمحور السورة، فتكون كلها متناسبة مترابطة محكمة متماسكة لا منفصلة مترامية المعاني.

---

(١) يُنظر: المطيري، عبد الرحمن، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير، ص١٠٧.

(٢) يُنظر: الأمين، آمال السيد، "أنواع السياق في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية"، **مجلة جامعة الناصر**، ع٧، ص١٠٤.

يقول دراز: " ...إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحُجُرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًّا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"(١).

٤. سياق القرآن: ويقصد به أغراض القرآن، ومقاصده الأساسية، والأساليب المطردة والمعاني الكلية (المعاني المطردة)(٢)، والجهل بالمقاصد يسبب عدم ضبط الفهم الصحيح، يقول الشاطبي: " فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر"(٣)، ويرى ابن عاشور أن مقاصد القرآن ثمانية ويقول "فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابا بينا وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه"(٤).

---

(١) دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم**، (د.م: دار القلم للنشر والتوزيع، د.ت، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ)، ص١٨٨.

(٢) يُنظر: المطيري، عبد الرحمن، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير، ص١١٨.

(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، ج٤، ص٢٠٩.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)**، (تونس: الدار التونسية، د.ت، ١٩٨٤هـ)، ج١، ص٣٩.

المطلب الثالث: أهمية السياق القرآني في التفسير:

وتتجلى الأهمية في قسمين:

القسم الأول: أهمية السياق في الاعتماد عليه كمصدر من مصادر التفسير

١. تفسير القرآن بالقرآن: يعد تفسير القرآن بالقرآن من أعلى درجات التفسير، والتفسير يحتاج لفهم سياق الآيات المرتبطة بها فيعتبر سياق الآية والمقطع من أعلى درجات التفسير لأنها تكون في نفس المحل[١]، يقول ابن القيم: "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"[٢] ومن الأمثلة على ذلك: عن عبد الله –رضي الله عنه–، قال: (لما نزلت ﴿ وَلَم يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]»)[٣].

٢. تفسير الرسول ﷺ بدلالة السياق القرآني: بين النبي ﷺ حكم عموم الآية بالاعتماد على السياق القرآني ومن الأمثلة على ذلك: عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–، أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، قال فنزلت: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الحَسَناتِ يُذهِبنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكرى لِلذّاكِرينَ﴾ [هود: ١١٤] قال: فقال الرجل: ألي هذه ؟

---

(١) ينُظر: المطيري، عبد الرحمن، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير، ص٧٦.

(٢) الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد حامد الفقهي، (لبنان: بيروت، د.ت، د.ن)، ص: ١٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة، ج٤، ص١٦٣، رقم(٣٤٢٩).

يا رسول الله، قال : لمن عمل بها من أمتي[1]. فنلاحظ أن الرسول ﷺ استدل بعموم حكمها للناس كافة.

٣. اعتماد الصحابة رضي الله عنهم على التفسير: ومما يدل على أهمية السياق اعتماد الصحابة رضي الله عنهم عليه في التفسير، ومثال على ذلك: قال عروة: سألت عائشة – رضي الله عنها– فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..﴾ [البقرة: ١٥٨]، فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أَوَلتَها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المُشَلَّلِ[2]، فكان من أَهَلَ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ [البقرة: ١٥٨]. الآية قالت عائشة رضي الله عنها: «وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الآداب، باب قوله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات)، ج٨، ص١٠١، رقم (٢٧٦٣).

(٢) المكان الذي كان يتعبدون فيه.

(٣) أخرجه البخاري **في صحيحه**، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله، ج٢، ص١٥٧، رقم (١٦٤٣).

٤. اعتماد العلماء على التفسير بدلالة السياق القرآني: يقول الزركشي[١]: "دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبين المجمل... وهي من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته"[٢]، وكتب التفسير حافلة بالاعتماد على السياق في التفسير.

والقسم الثاني: أهمية السياق في تفسير الآيات

١.يساعد على بيان المجمل، وتخصيص العام، والترجيح عند الاختلاف، وبيان المناسبات بين الآيات، وبيان المتشابه، والمحذوف، وقد صرح ابن جزيء بهذه الأهمية حين عدد من بين المرجحات في التفسير" أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"[٣].

٢.يعين على تحديد زمن نزول الآيات[٤]، وبيان الغرض الذي سيقت من أجله الآيات، السابقة واللاحقة، فيتحدد المعنى بما يتناسب مع الآيات، فمثلا كلمة آية ترد في أكثر من سياق فمرة تأتي بمعنى الآية المعجزة، ومرة بمعنى الآية المنزلة [٥].

---

(١) جعل دلالة السياق من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال.

(٢) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (د.ن: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ)، ج٢، ص٣٣٥.

(٣) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ).، ج١، ص١٩.

(٤) يُنظر: عبد الوهاب، محمد، "السياق القرآني في التفسير (نظرية تطبيقية من خلال تفسير التحرير والتنوير)"، **مجلة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية**، ع٨، ص١٤٧.

(٥) يُنظر: حمد، عبد الله خضر، **الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية**، (لبنان: بيروت، ط١، ٢٠١٧م-١٤٣٨هـ)، ج١، ص١٠٠.

المبحث الثالث:

توصيف لورود قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم

ورد لفظ سيدنا إبراهيم في القرآن الكريم كاملا ٦٩ مرة، وتوزع ذكرها في٢٥ سورة منها ما ورد في سياق القصة ومنهم ما ورد لفظه في سياقات أخرى مثل: ذكر الرسل والأنبياء[١]، وذلك كالآتي:

١. سورة البقرة: ذكر فيه ست وعشرون مرة.

٢. سورة آل عمران: ذكر فيها سبع مرات كلها في سياقات أخرى.

٣. سورة النساء: ذكر فيها أربع مرات كلها في سياقات أخرى.

٤. سورة الأنعام: ذكر فيها أربع مرات.

٥. سورة التوبة ذكر فيها ثلاث مرات كلها في سياقات أخرى.

٦. سورة هود: ذكر فيها أربع مرات.

٧. سورة يوسف: ذكر فيها مرتين كلها في سياقات أخرى

٨. سورة إبراهيم: ذكر فيها مرة واحدة.

٩. سورة الحجر: ذكر فيها مرة واحدة.

١٠. سورة النحل: ذكر فيها مرتين كلها في سياقات أخرى.

١١. سورة مريم: ذكر فيها ثلاث مرات.

---

(١) ينُظر: جلغوم، عبد الله إبراهيم، **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني**، (الرياض: المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ)، ص٧-٩.

١٢. سورة الأنبياء: ذكر فيها أربع مرات.

١٣. سورة الحج: ذكر فيها ثلاث مرات.

١٤. سورة الشعراء: ذكر فيها مرة واحدة.

١٥. سورة العنكبوت: ذكر فيها مرتين.

١٦. سورة الأحزاب: ذكر فيها مرة واحدة.

١٧. سورة الصافات: ذكر فيها ثلاث مرات.

١٨. سورة ص: ذكر فيها مرة واحدة.

١٩. سورة الشورى: ذكر فيها مرة واحدة.

٢٠. سورة الزخرف: ذكر فيها مرة واحدة.

٢١. سورة الذاريات: ذكر فيها مرة واحدة.

٢٢. سورة النجم: ذكر فيها مرة واحدة.

٢٣. سورة الحديد: ذكر فيها مرة واحدة في سياق أخر.

٢٤. سورة الممتحنة: ذكر فيها مرتين كلها في سياقات أخرى.

٢٥. سورة الأعلى: ذكر فيها مرة واحدة.

المطلب الأول: ورود لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في غير سياقات قصته:

أولًا: ما ذكر في آيات سورة آل عمران من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣]، يدور السياق حول اصطفاء الله العليم للطائعين المستمرين على الطاعة [١].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٥–٦٨]، يدور سياق الآيات حول بيان فساد دعوى انتساب سيدنا إبراهيم –عليه السلام– إلى اليهودية والنصرانية، أو الإشراك بالله، "ثم أكدت الآية على أن أولى الناس بسيدنا إبراهيم –عليه السلام– من اتبعوا ملته"[٢].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

---

(١) ينُظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (د.م: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م)، ج٣، ص١٤٢٧.

(٢) ابن عطية، أبو محمد بن عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص٤٥١.

أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٤]، نزلت هذه الآية على سيدنا محمد ﷺ "والأمة لاشتراكهما في وجوب العمل بما أنزل"، وأننا نحب كل الأنبياء ولا نعاديهم(١).

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٥-٩٧]، جاءت الآيات في سياق الأمر باتباع ملة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، وتخبرنا الآية أن أول بيت وضع لعموم الناس للعبادة هو الكعبة، وقد فرض الله زيارته وحجه(٢).

ثانيًا: ما ذكر في آية سورة النساء من لفظ سيدنا إبراهيم -عليه السلام-

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٢٥]، جاء اسم سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في سياق الآية بإشارة سريعة "عن الثناء على من اتبع الهدى"(٣)، أي ملة الخليل -عليه السلام.

ثالثًا: ما ذكر في آية سورة الأنعام من لفظ سيدنا إبراهيم -عليه السلام-

قال تعالى: ﴿ قُل إِنَّني هَداني رَبّي إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ دينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكينَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٦١]، جاءت الآية تبين في سياقها أن الهداية لا تكون

---

(١) ينُظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣٠٢.

(٢) ينُظر: دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث**، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ١٣٨٣هـ)، ج٧، ص١٩٣.

(٣) يُنظر: دروزة، **نفس المرجع السابق**، ج٨، ص٢٤٨.

إلا بإذن الله، وأن ملة إبراهيم –عليه السلام– موصوفة بالحنيفية، وتذييل الآية فيه رد على المشركين(١).

رابعًا: ما ذكر في آيات سورة التوبة من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿أَلَم يَأتِهِم نَبَأُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم قَومِ نوحٍ وَعادٍ وَثَمودَ وَقَومِ إِبراهيمَ وَأَصحابِ مَديَنَ وَالمُؤتَفِكاتِ أَتَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظلِمَهُم وَلكِن كانوا أَنفُسَهُم يَظلِمونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٠]، جاءت الآية في سياق تحذير المنافقين أن يصيبهم ما أصاب القرون الأولى التي كذبت(٢).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ وَما كانَ استِغفارُ إِبراهيمَ لِأَبيهِ إِلّا عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنهُ إِنَّ إِبراهيمَ لَأَوّاهٌ حَليمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١١٤]، يبين السياق استغفار سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لأبيه، وتبرؤه –عليه السلام– منه لما تبين أنه عدو لله(٣).

خامسًا: ما ذكر في آيات سورة يوسف من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ يَجتَبيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأويلِ الأَحاديثِ وَيُتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ وَعَلى آلِ يَعقوبَ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيكَ مِن قَبلُ إِبراهيمَ وَإِسحاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَليمٌ حَكيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٦]، يأتي سياق الآية ببيان أن الله اصطفى سيدنا يوسف واختاره بأن

---

(١) ينُظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ج٧، ص٢٨.

(٢) ينُظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، تحقيق: عبد الرحمن بن ملا اللويحق، (د.ن: د.، ط١، ٢٠٠٠م–١٤٢٠هـ)، ص٣٤٣.

(٣) ينُظر: رشيد، رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج١١، ص٤٩.

من عليه النعم وأنه أنعم على سيدنا إبراهيم وإسحاق –عليهما السلام– نعمًا عظيمة وواسعة، وأن الله محيط بكل شيء يضع كل الأشياء في موضعها، وينزلها منازلها(١).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعتُ مِلَّةَ آبائي إِبراهيمَ وَإِسحاقَ وَيَعقوبَ ما كانَ لَنا أَن نُشرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيءٍ ذلِكَ مِن فَضلِ اللَّهِ عَلَينا وَعَلَى النّاسِ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يَشكُرونَ﴾ [سورة يوسف: ٣٨]، يأتي سياق الآية يحكي عن سيدنا يوسف –عليه السلام– إعلانه اتباع ملة إبراهيم وبنيه، ثم يرغِّب السياق في التوحيد وأنه فضل من الله تعالى، وتذكر الآية أن كثيرًا من الناس يكفرون بنعم الله تعالى عليهم(٢).

سادسًا: ما ذكر في آيات سورة النحل من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانِتًا لِلَّهِ حَنيفًا وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكينَ ۝ شاكِرًا لِأَنعُمِهِ اجتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ ۝ وَآتَيناهُ فِي الدُّنيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحينَ ۝ ثُمَّ أَوحَينا إِلَيكَ أَنِ اتَّبِع مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٠–١٢٣]، يأتي سياق الآية عن إبراهيم –عليه السلام– حيث وصفه الله بأنه أمة، ثم ترد الآية على مزاعم المشركين(٣).

سابعًا: ما ذكر في آيات سورة الحج من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة الحج: ٢٦]، يبين الله عظمة البيت،

---

(١) ينُظر: السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، ص ٣٩٣.

(٢) ينُظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص٢٧٣.

(٣) ينُظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٣، ص٨٢٧٠.

وأمره الله إبراهيم –عليه السلام– ببنيانه هو وابنه إسماعيل –عليهما السلام–، وقد بناه على تقوى الله، وجعل سكانه من ذرية إبراهيم –عليه السلام–، وبينت الآية عدم الإشراك فيه، وأن يخلصوا العبادة فيه من صلاة وركوع وسجود(١).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [سورة الحج: ٤٣]، يوضح سياق الآيات أنها تخاطب النبي وتسليه وتبين له إن كان قومك قد كذبوك فهذا حال الأمم السابقة عندما كذبوا رسلهم ومنهم قوم نوح وإبراهيم وغيرهم(٢).

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، تبين الآية الأمر بالجهاد بأنواعه جهاد النفس وجهاد العدو، وقد جاء الإسلام بالحنيفية السمحة وليس كشدائد بنبي إسرائيل(٣).

---

(١) ينُظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، ص٥٣٦.

(٢) ينُظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ)، ج٥، ص٣٨٤.

(٣) هذا رأي فرقة أما الفرقة الأخرى فترى أنه أمر بقتال الكفار، ينُظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)**، ج٤، ص١٣٥.

ثامنًا: ما ذكر في آيات سورة الأحزاب من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧]، تبين الآية أن الله أخذ ميثاق النبيين أي تبليغ الرسالة، وذكر منهم سيدنا إبراهيم –عليه السلام–[١].

تاسعًا: ما ذكر في آية سورة ص من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [سورة ص: ٤٥]، يأتي سياق الآية بتذكير الرسول ﷺ بصبر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وفي الآية تشريف له –عليه السلام– [٢].

عاشرًا: ما ذكر في آية سورة الشورى من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: ١٣]، يأتي سياق الآية في بيان أن أولي العزم من الرسل كلهم جاؤوا لعبادة الله وحد لا شريك له، وجاء تذييل الآية يبين أن الله يقدر الهداية ويعطيها لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من فضله على طريق الهدى[٣].

---

(١) ينُظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٢، ص٣٣١.

(٢) ينُظر: الرازي، **نفس المرجع السابق**، ج١٣، ص٢٠٢.

(٣) ينُظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٤، ص٤٤٢.

الحادي عشر: ما ذكر في آية سورة الزخرف من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦]، يأتي ذكره في سياق بتذكير الكفار بأن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– متبرأ من دين آبائه(١).

الثاني عشر: ما ذكر في آية سورة النجم من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [سورة النجم: ٣٦]، يأتي سياق الآية مذكرًا بوفائه وصبره، قال أبو السعود: "وفى وأتم ما ابتلي به ... أو أمر به، أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله، وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره، كالصبر على نار الملك حتى إذا أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال: ألك حاجة فقال: أما إليك فلا، وعلى ذبح الولد"(٢).

الثالث عشر: ما ذكر في آية سورة الحديد من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]، يأتي ذكره في سياق الآية للتنبيه إلى انحراف المشركين عن منهج أبيهم سيدنا نوح وإبراهيم–عليهما السلام–(٣).

---

(١) ينُظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٣، ص٤٧١.

(٢) أبو السعود، **تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (أبي السعود)**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ن)، ج٨، ص١٦٣.

(٣) ينُظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص٤١٩.

الرابع عشر: ما ذكر في آية سورة الأعلى من لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

قال تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [سورة الأعلى: ١٩]، يأتي سياق الآية في بيان ما تضمنته الآيات من أصول العقيدة الكبرى هي أصل أصيل في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى(١).

المطلب الثاني ورود لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في سياق سرد قصته:

أولا: ما ذكر في سياق سورة البقرة (١٢٤–١٣٤):

الموضع الأول **سورة** : يدور سياق الآيات حول الاستخلاف في الأرض، وإعمارها:

١. بناء الكعبة، والدعاء لمكة بالرزق والأمن.

٢. الدعاء بإرسال رسول منهم يعلمهم الكتاب والحكمة.

٣. وصية إبراهيم لبنيه.

الموضع الثاني **سورة البقرة (٢٥٨–٢٦٠)**:

يدور سياق الآيتين حول الحياة والموت(٢):

١. المناظرة بين الملك المنكر وسيدنا إبراهيم –عليه السلام– حول وجود الله حيث إن الملك ادعى إحياء الموتى فطلب منه سيدنا إبراهيم أن يأتي بالشمس من المغرب فبهت.

٢. تجربة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عندما طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى.

---

(١) ينُظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٨٩٤.

(٢) ينُظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، ص٣٤٣.

ثانيا: ما ذكر في سياق سورة الأنعام (٧٤-٨٣)

تناول سياق الآيات الحوار بين سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وأبيه وقومه، وكيف أنكر عليهم عبادة الأصنام، وقدم لهم حججًا وبراهين تثبت بطلان ذلك، ثم تبرؤه -عليه السلام- مما يعبدون(١).

ثالثا: ما ذكر في سياق سورة هود (٨٩-٩٦)

ذكرت الآيات في سياقها قصة الملائكة مع سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

رابعا: ما ذكر في سياق سورة إبراهيم (٣٥-٤١)

الآيات في هذا السياق تتحدث عن دعوات سيدنا إبراهيم -عليه السلام-

الدعوة الأولى: أن يجنبه الله وأبناءه عبادة الأصنام.

الدعوة الثانية: أن يغفر لمن عصاه ولم يتبعه.

الدعوة الثالثة: دعا لزوجته وابنه بعد إسكانهما في أرض غير ذي زرع، أن يجمع الله ناسا حولهم، وأن يرزقهم الطيبات.

الدعوة الرابعة: شكر الله على نعمه أن وهب له إسحاق ويعقوب.

الدعوة الخامسة: دعا أن يكون -عليه السلام- وذريته من مقيمي الصلاة.

الدعوة السادسة: دعا أن يغفر الله للمؤمنين يوم الحساب.

---

(١) ينُظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٣١٢+ ٣١٩

خامسا: ما ذكر في سياق سورة الحجر(٥١-٦٠)

تتحدث الآيات عن قصة الملائكة مع سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

سادسا: ما ذكر في سياق سورة مريم (٤١-٥٠)

قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه.

سابعا: ما ذكر في سياق سورة الأنبياء (٥١-٧٣)

حوار سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وقومه عن عبادة الأصنام وجوابهم بأنهم يقلدون آباءهم، وتكسيره عليه السلام أصنامهم، ومعاقبته بالحرق في النار، وبيان رحمة الله بأن جعل النار بردا وسلامًا، وأن رزقه أبناء.

ثامنا: ما ذكر في سياق سورة الشعراء (٦٩-٨٩)

حوار سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وقومه في بيان أن الأصنام لا تنفع ولا ترزق، وأن الله القادر على كل شيء، فهو الذي خلقنا فهو يهدينا، وأنه الله يطعمنا ويسقينا، وأن الله هو القادر عن أن يميت الخلق ويحيهم.

تاسعا: ما ذكر في سياق سورة العنكبوت (١٦-٢٧)

قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع قومه وبيانه لهم أن تقوى الله خير لهم وأن عبادتهم لا تملك لهم نفعا، وكان رد قومه أن عذبوا سيدنا إبراهيم بأشد أنواع التعذيب وهو الحرق، ثم اختتمت الآيات ببيان رحمة الله على الخليل بأن الله وهب له ذرية صالحة.

عاشرا: ما ذكر في سياق سورة الصافات (٨٣-١١٣)

قصة سيدنا إبراهيم مع أبيه وقومه وتأمله في ملكوت السماوات والأرض.

الحادي عشر ما ذكر في سياق سورة الذاريات (٢٤-٣٧)

قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع الملائكة.

الثاني عشر ما ذكر في سياق سورة الممتحنة (٤-٦)

براءة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- والذين آمنوا معه مما يعبد قومهم.

ومما سبق يتضح أن من يتتبع الآيات التي ورد فيها ذكر سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أو مشاهد من قصته يجدها تأتي في صور متعددة ومنها[١]:

- علاقة الخليل -عليه السلام- مع أسرته، وإنجاب زوجته على كبر، ورزق الله له بأبناء صالحين[٢].
- دعوته لأبيه وقومه للتوحيد وترك عبادة الأصنام، وكيف نجاه الله من كيدهم[٣].
- عمارة إبراهيم -عليه السلام- وابنه إسماعيل البيت والدعوة إلى حج بيت الله الحرام[٤].
- علاقة إبراهيم بالرسل من حيث المنهج والهدف وما تعرضوا له من أذى[٥].
- موقف إبراهيم -عليه السلام- مع الملائكة[٦].

---

(١) يُنظر: حللي، عبد الرحمن، **رسالات الأنبياء**، (لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٥)، ص٧٣-٧٥.

(٢) النساء – الأنعام – هود – يوسف – يوسف – إبراهيم – الحجر – مريم – الأنبياء- الصافات – الذاريات.

(٣) البقرة – الأنعام – التوبة – مريم – الأنبياء – الحج – الشعراء- العنكبوت – الصافات – الزخرف.

(٤) البقرة – آل عمران – وإبراهيم – الحج.

(٥) البقرة – آل عمران – الأنعام – مريم – الأحزاب – الشورى- النجم – الحديد – الأعلى.

(٦) هود – والحجر – والذاريات.

- التأكيد على ملة إبراهيم –عليه السلام– ونفي انتساب الخليل إلى اليهودية والنصرانية[1].

(١) البقرة –آل عمران – النساء – الأنعام – يوسف – النحل – الحج.

الفصل الأول: دراسة السياق التاريخي والنصي لورود قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم.

المبحث الأول: علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق في السورة المنزلة في مرحلة المكية الأولى

المطلب الأول: دعوة الأقربين (سورة مريم: ٤١–٥٠).

المطلب الثاني: حوار سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع قومه وأبيه (سورة الشعراء: ٦٩–٨٩).

المطلب الثالث: بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتعجب امرأته (سورة هود: ٧٦–٩٦).

المطلب الرابع: بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتعجبه (سورة الحجر: ٥١–٦٠).

المطلب الخامس: تأملات سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وقومه في أسرار الكون (سورة الأنعام: ٧٤–٨٣).

المبحث الثاني: علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق في السور المنزلة في مرحلة المكية الثانية (ما قبل هجرة الرسول ﷺ):

المطلب الأول: نصر الله تعالى لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– على قومه (سورة الصافات: ٨٣–١١٣.

المطلب الثاني: قصة ضيف إبراهيم ومهمتهم في إهلاك قوم لوط أو دلائل القدرة الإلهية (سورة الذاريات: ٢٤–٣٧).

المطلب الثالث: إبراهيم –عليه السلام– والبيت الحرام (سورة إبراهيم: ٣٥–٤١).

المطلب الرابع: دعوة إبراهيم –عليه السلام–: الحوار والمحنة والنجاة (سورة الأنبياء: ٥١–٧٣).

المطلب الخامس: الفتن والابتلاءات (سورة العنكبوت: ١٦–٢٧).

المبحث الثالث: علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–بالسياق في السور المنزلة في مرحلة ما بعد الهجرة الرسول ﷺ:

المطلب الأول: بناء البيت، تمهيدا لبعثة خاتم النبيين (سورة البقرة ١٢٤– ١٣٤/ ٢٧٥–٢٦٠).

المطلب الثاني: براءة جد القرشين والذين معه من الشرك (سورة الممتحنة ٤–٦).

الفصل الأول: دراسة السياق التاريخي والنصي لورود قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم.

يتناول هذا الفصل السور المكية، والمدنية التي تناولت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وسأتدرج فيها من السور التي نزلت على الرسول ﷺ في بداية الدعوة حتى الهجرة إلى المدينة المنورة، ثم ما نزل بعد الهجرة، وسأتناول في كل منها علاقة القصة بمحور السورة وسياقها النصي والتاريخي وبيان أوجه الانفرادات للسورة وسينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق في السور المنزلة في مرحلة المكية الأولى من خلال دراسة سور مريم والشعراء، وهود، والحجر، والأنعام.

المبحث الثاني: علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق في السور المنزلة في مرحلة المكية الثانية (ما قبل هجرة الرسول ﷺ) من خلال دراسة سور الصافات، والذاريات، وإبراهيم، والأنبياء، والعنكبوت.

المبحث الثالث: علاقة قصة سيدنا إبراهيم بالسياق في السور المنزلة في مرحلة ما بعد هجرة الرسول ﷺ (تأسيس الدولة الإسلامية) من خلال سورة البقرة، والممتحنة.

المبحث الأول: علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق في السور المنزلة في مرحلة بداية دعوة الرسول ﷺ.

يتناول هذا المبحث السور التي نزلت على الرسول ﷺ في مرحلة المكية الأولى وهي سورة مريم، والشعراء، وهود، والحجر، والأنعام.

وسأدرس من خلال هذه السور: ارتباط قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بمحور السورة، وعلاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق، وبيان أوجه الانفرادات في القصة.

المطلب الأول: دعوة الأقربين (سورة مريم: ٤١–٥٠)

سورة مريم مكية[١]، نزلت أثناء سنة أربع من البعثة[٢]، وتعتبر من السور العتاق في العهد المكي، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ عن سور بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء (إنهن من العتاق الأول، وهن من تِلادي[٣])[٤]، نزلت قبل سورة طه وبعد سورة فاطر وتعد السورة الرابعة والأربعين في ترتيب النزول[٥]، وعدد آياتها تسع وتسعون آية في المدني الأخير، وقيل ثمان عند الباقين[٦].

---

(١) يُنظر: الماتريدي، محمد، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)**، تحقيق: مجدي باسلوم، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م–١٤٢٦هـ)، ج٧، ص٢١٨؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص٣٩.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٣٨.

(٣) القديم، يُنظر: إبراهيم، مصطفى، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (د.م: دار الدعوة، د.ط، د.ت)، ج١، ص٨٦.

(٤) أخرجه البخاري **في صحيحه**، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج ٦، ص١٨٥، رقم (٤٩٩٤).

(٥) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٨،ص٣٨.

(٦) يُنظر: الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص١٨١.

قال تعالى: ﴿ وَاذكُر فِي الكِتابِ إبراهيمَ إِنَّهُ كانَ صِدّيقًا نَبِيًّا ۝ إِذ قالَ لِأَبيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ وَلا يُبصِرُ وَلا يُغني عَنكَ شَيئًا ۝ يا أَبَتِ إِنّي قَد جاءَني مِنَ العِلمِ ما لَم يَأتِكَ فَاتَّبِعني أَهدِكَ صِراطًا سَوِيًّا ۝ يا أَبَتِ لا تَعبُدِ الشَّيطانَ إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا ۝ يا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فَتَكونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا ۝ قالَ أَراغِبٌ أَنتَ عَن آلِهَتي يا إِبراهيمُ لَئِن لَم تَنتَهِ لَأَرجُمَنَّكَ وَاهجُرني مَلِيًّا ۝ قالَ سَلامٌ عَلَيكَ سَأَستَغفِرُ لَكَ رَبّي إِنَّهُ كانَ بي حَفِيًّا ۝ وَأَعتَزِلُكُم وَما تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ وَأَدعو رَبّي عَسى أَلّا أَكونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيًّا ۝ فَلَمَّا اعتَزَلَهُم وَما يَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ وَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ وَكُلًّا جَعَلنا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبنا لَهُم مِن رَحمَتِنا وَجَعَلنا لَهُم لِسانَ صِدقٍ عَلِيًّا ۝﴾ [سورة مريم ٤١-٥٠]

محور سورة مريم:

يدور محور السورة -حسب الإمام البقاعي- حول بيان اتصاف الله عز وجل بكمال الرحمة بإسهاب النعم على خلقه، للدلالة على اتصافه سبحانه وتعالى بجميع صفات الكمال، المستلزم لتمام القدرة الموجب للقدرة على البعث والتنزه عن الولد [١].

ويرى سيد قطب: أن محور السورة يدور حول إثبات وحدانية الله، والنبوة، والبعث، ونفي الولد والشريك[٢].

---

(١) يُنظر: البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٥م-١٤١٥هـ)، ج٤، ص٥١٤.

(٢) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٢٩٩.

ويرى عبد الرحمن حسن حبنكة أن موضوعها تصحيح اعتقاد كفار مكة ومن تبعهم من المشركين، وإقامة الحجة عليهم، وقطع أعذارهم[١].

وترى الباحثة أن ما ذكره البقاعي يشمل ما ذكره العلماء في محور السورة، فمحور السورة الرئيس يدور حول توحيد الله من خلال بيان صفة الرحمة بما يستلزمها من صفات الكمال التي تستلزم القدرة على البعث ونفي الولد وغيرها، وذلك من خلال إيراد القصص في السورة، حيث كان القصص حوالي ثلثي السورة، فتبين السورة منهج المهتدين من خلال بيان رحمة الله تعالى عليهم، ومنهج الضالين، وتتناول السورة المنكرين للتوحيد[٢] وهم الذين أثبتوا معبودا غير الله تعالى، وهم فريقان:

الفريق الأول: الذي أثبت معبودا غير الله تعالى حيا وهم النصارى.

والفريق الثاني: أثبت معبودا غير الله تعالى جمادا وهم عبدة الأصنام.

فابتدأت ببيان ضلال الفريق الأول قبل بيان ضلال الفريق الثاني لما فيه من تدرج من الأضل إلى الأشد ضلالاً، فكان ضلال الفريق الثاني أشد وأعظم[٣]، فاستهلت السورة بالكلام عن النصارى من خلال قصة سيدنا عيسى –عليه السلام– واختتمت القصة ببيان ما في أسطورة الولد من كذب وضلال، والتي يستند إليها أصحاب العقائد الباطلة، التي اتخذت لله ولدا، ثم ذكرت السورة عبدة الأصنام من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتبيين الجدال العقلي مع والده

---

(١) يُنظر: حبنكة، عبد الرحمن حسن، **معارج التفكير ودقائق التدبر**، (جدة: دار البشير، ط١، ٢٠٠٠م-١٤٢٠هـ)،ج٧، ص٣٦٧.

(٢) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص ٢٢٩٩.

(٣) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٠، ص٣١٠.

الوثني، واعتزال الخليل إبراهيم –عليه السلام– الشرك[١]، والمشهد المذكور من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه اشتمل على الحوار بأسلوب سهل متضمنًا معاني الرحمة، وهذا ينسجم مع جو السورة التي تكرر فيها لفظ الرحمن[٢] ١٦ مرة في حين ذكرت ٥٧ مرة في القرآن كاملا، فجاء أسلوب القصة منسجمًا مع سياق السورة وما تضمنته القصص قبلها من رحمات الله تعالى على سيدنا زكريا وعلى السيدة مريم بنت عمران، وتعويض الله سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بأن وهبه ذرية صالحة، وشرفهم بالنبوة.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

بدأ الرسول ﷺ دعوته في مكة يدعو الأقربين والمشركين من أهل مكة إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، ولكنهم قابلوا ذلك بالرفض بحجة أنهم على دين آبائهم، وأنه هو الدين الحق.

فأمره الله تعالى أن يذكر لهم قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– الذي ينتسب إليه العرب من ناحية إسماعيل وكانوا مقرين بعلو شأنه وطهارة دينه، وكأن الله يقول لهم في هذه الآيات إن كنتم مقلدين كما تزعمون لآبائكم فها هو أبوكم إبراهيم –عليه السلام– قلدوه في ترك عبادة الأوثان، وانظروا إلى الدلائل التي ذكرها سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لتعرفوا فساد ما تعبدون[٣].

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص ٢٣١١.

(٢) يُنظر: جلغوم، عبد الله إبراهيم، **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني**، ج١، ص٥٧١–٥٧٢.

(٣) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٠، ص٣١٠.

يقول المراغي: "نبههم إلى أن الطريق التي جروا عليها وهي التقليد .... تخالف طريق الاستدلال التي سار عليها أبوهم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في حجاجه مع أبيه آزر"[١].

وفي القصة أيضا كثير من المشركين – في زمن الرسول ﷺ – كانوا يقولون كيف نترك دين آباءنا. فذكر الله لهم في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أنه قد ترك دين أبيه وأبطل قوله بالدليل؛ ليعلم الكفار أن عبادتهم للأصنام تخالف حجتهم[٢].

وبالرغم من عناد الكفار وإنكارهم لما جاء به النبي ﷺ، تظهر رحمة الله تعالى فقد جمع الله له عبادا صالحين يخلصون لهذا الدين ويخضعون له وينبذون آباءهم المعاندين لهذا الدين، ويعادون أقوامهم الكافرين في سبيل الله[٣].

يقول ابن عاشور: "وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ على ما لقي من مشركي قومه لمشابهة حالهم بحال قوم إبراهيم –عليه السلام–"[٤].

ففي القصة تشابه بين حال سيدنا محمد ﷺ مع المشركين وبين حال سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه من خلال تجلي صور الصراع بين الإيمان والكفر، حتى إنَّ هذا الصراع قد بلغ حد تفرقة الولد عن والده، فالقصة جاءت لتسلي النبي محمدًا ﷺ ألا يحزن كثيرا على ما وقع أو سيقع بينه وبين أهله ، فما وقع من صراع مع سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه قد يقع يا رسول

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، (د.م: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م) ، ج١٦، ص٥٥.

(٢) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٠، ص٣١٠.

(٣) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص١٦٢.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص١١١.

الله بينك وبين أهلك فلا تحزن[1]، وعلى الرغم من أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– امتلك امتيازات بقوته في الحق، وصدقه في دعوته، وتقديم الدعوة لأبيه بلطف وتعقل وتقديم الحجج والبراهين، فإنه لم يؤمن وقابل هذه الدعوة بالجحود، وهو ما سيقع من عمه أبي لهب من العنت والمكروه، فهذا الصراع بين الإيمان والكفر ليس صراعا حديثا إنما هو صراع منذ الأزل حدث لمن كان قبلك من الأنبياء والرسل.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تكمن العلاقة بما يتكامل مع محور السورة من خلال الآيات السابقة واللاحقة:

علاقة القصة بما قبلها:

- استهلت القصة بقوله تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ إبراهيمَ إِنَّهُ كانَ صِدّيقًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٤١] وهو معطوف على قوله تعالى ﴿وَأَنذِرهُم يَومَ الحَسرَةِ..﴾ [سورة مريم: ٣٩] أي أنذرهم ذاك واذكر لهم قصة إبراهيم –عليه السلام–[2] وهذا الاستهلال فيه تشويق للنفس إلى متابعة أحداث القصة ويلفت الأسماع إلى الإصغاء والمتابعة[3].

- **وعلاقتها بما قبلها من القصص:**

افتتاح القصة بقوله تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ﴾ [سورة مريم: ٤١] يتلاءم مع مطالع القصص المذكور قبل قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فقصة زكريا بدأت بقوله تعالى: ﴿ذِكرُ

---

(١) يُنظر: الخطيب، عبد الكريم، **تفسير القرآن بالقرآن**، (القاهرة: دار الفكر، د.ط، د.ت)،ج٨، ص٧٣٨.

(٢) يُنظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع والمثاني**،ج٨، ص٤١٣.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، الشحات محمد، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، (مصر: مطبعة الأمانة، ط١، ١٤١٢هـ–١١٩١م)، ص٢٧.

رَحمَتِ رَبِّكَ عَبدَهُ زَكَرِيّا﴾ [سورة مريم: ٢] ثم جاءت قصة مريم وابتدأت بقوله تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت مِن أَهلِها مَكانًا شَرقِيًّا﴾ [سورة مريم: ١٦][1].

ففي قصة سيدنا زكريا –عليه السلام– تبدأ القصة بالتذكير برحمة الله تعالى بعبده زكريا وهو ما وجدناه في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حين دعا أباه فكانت دعوته مملوءة بالرحمة وهو ما يتناسب مع جو السورة، وكما تبين الآيات نعمة الله عليهما فحين دعا زكريا ربه أن يهب له وليا تقر به عينه، فاستجاب الله ووهب له يحيى –عليه السلام– غلامًا عابدًا بارًا بوالديه نبيا، ووهب الله لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– إسحاق ويعقوب وكلا جعلهم الله أنبياء، ثم نجد التناسق العجيب والمبدع بنعمة الله عليهما حين رزقهم بأبناء رغم كبر سنهما.

وفي قصة مريم –عليها السلام– جاء الرد على مزاعم النصارى في تأليه سيدنا عيسى –عليه السلام– وجعله ابنًا لله تعالى، ثم جاءت الآيات لإثبات التوحيد لله تعالى، وكذلك نجد في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– دعوته لأبيه كان أساسها التوحيد وترك عبادة الأصنام، وهذا ما يتناسب مع محور سورة مريم أنها اهتمت بالتوحيد وذكر النبوة.

وثمة علاقة البر التي تربط القصص مع بعضها، فمن خلال سياق الآيات يتبين لنا الآتي:

- القصة الأولى: سيدنا يحيى –عليه السلام– تبين علاقة ابن بار مع والديه المؤمنين.
- والقصة الثانية: قصة سيدنا عيسى –عليه السلام– وهو بار بأمه المؤمنة.
- والقصة الثالثة: قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وهو بار بأبيه رغم كفره.

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٢٧.

ثم تتالت مواكب من الرسالات التي أرسلها الله لهداية الناس، وإثبات التوحيد[1].

فاشتمل القصص القرآني في سورة مريم على تنوع عجيب وتشابه أيضًا من خلال تناول البر تارة مع الأب والأم معا، وتارة مع الأم فقط، وتارة مع الأب فقط، فجاءت هذه القصص لتتناسب مع سياق السورة من حيث التشابه في دلالتها معًا على البعد الأخلاقي والتربوي.

ومن مظاهر انسجام قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع سياق السورة أن رزقه الله بمعجزة الولدين وهما سيدنا إسماعيل وإسحاق –عليهما السلام–، وهذا يتناسب مع معجزة ميلاد سيدنا يحيى –عليه السلام– ومعجزة ميلاد سيدنا عيسى –عليه السلام– المذكورتين في السورة.

تنوع الأسلوب الخطابي في القصص:

جاءت قصة زكريا تبين لنا الالتفات في قوله تعالى: ﴿ يا زَكَرِيّا إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسمُهُ يَحيى لَم نَجعَل لَهُ مِن قَبلُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: ٧] من الخطاب إلى الغيبية والعكس في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلى قَومِهِ مِنَ المِحرابِ فَأَوحى إِلَيهِم أَن سَبِّحوا بُكرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم: ١١].

وفي قصة مريم –عليها السلام– كان الالتفات من الخطاب إلى الغيبية ومن الغيبية للمتكلم ثم إلى الغيبية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَاذكُر فِي الكِتابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت مِن أَهلِها مَكانًا شَرقِيًّا ۝ فَاتَّخَذَت مِن دونِهِم حِجابًا فَأَرسَلنا إِلَيها روحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَرًا سَوِيًّا﴾[سورة مريم: ١٦–١٧].

وأما في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–فاستخدم الخليل الخطاب التأكيدي في قوله تعالى: ﴿يا أَبَتِ إِنّي قَد جاءَني مِنَ العِلمِ ما لَم يَأتِكَ فَاتَّبِعني أَهدِكَ صِراطًا سَوِيًّا﴾[سورة مريم: ٤٣]،

---

(١) يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٥، ص٩٠٩١.

فأكد ب(إن وقد) وجاء بلفظ (جاءني) و (ولم يأتك) ليدل على أن هذا العلم لم يطلبه وإنما جاء بوحي من الله[١]. فالخليل تعامل مع المخاطَب بخطاب من الأدنى إلى الأعلى أي من الابن إلى الأب، وحاول سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن ينجي أباه من عذاب الله، فنجد الأسلوب في سياق الآيات يتنوع في الوقت ذاته مع الخطاب، فالتحول من أسلوب إلى أسلوب فيه تنبيه للسامع[٢].

علاقتها بما جاء بعدها في السورة:

بعد ذكر قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تمضي الآيات مع ذرية إبراهيم من فرع إسحاق فيذكر موسى وهارون[٣]، فتبين الآيات امتنان الله على سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وإسحاق ويعقوب، وامتن الله على سيدنا موسى وهارون وإسماعيل وإدريس وغيرهم ممن اصطفاهم واجتباهم فبلغوا أسمى مقامات العبودية[٤].

وجاءت الآيات التالية تتلاءم مع بداية قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ إِبراهيمَ...﴾ [سورة مريم: ٤١] وبعدها جاء ذكر قصة سيدنا (موسى وإسماعيل وإدريس) –عليهم السلام– حيث تبدأ الآيات بقوله تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ...﴾ [سورة مريم: ٥١][٥].

---

(١) محمد، عبد الصمد، **خطاب الأنبياء قي القرآن الكريم خصائص التركيبية وصوره البيانية**، رسالة دكتوراه، كلية التربية الإسلامية، (المملة العربية السعودية: وزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م)، ص٣٨.

(٢) دزني، دلخوش جار الله، **المعاير السياقية في قصة الأنبياء (آدم وإبراهيم وعيسى عليهم السلام)**، (أربيل: جامعة صلاح الدين، د.ط، د.ت)، ص٦٨.

(٣) يُنظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣١٣.

(٤) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج٤، ص٤٥٣.

(٥) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–** ص٢٧.

وجاء في نهاية قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعتَزَلَهُم﴾ [سورة مريم: ٤٩] فحين ترك أهله وقومه وهبه الله بإسحاق ويعقوب لبيان كمال النعم التي أعطاها الله له –عليه السلام– وجاء ذكر قوله تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ إِسماعيلَ ..﴾ [سورة مريم: ٥٤] لبيان فضل إسماعيل –عليه السلام– وذكره على انفراد، فإنه كان صادق الوعد، وكان رسولا نبيا، فهي تكملة لنعم الله تعالى على سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالذرية التي كان يتوق إليها، فكانوا ما بين نبي ورسول، وقد روعي في القصص الفاصلة لتتلاءم مع فواصل السورة الكريمة ثم تأتي النعم الأخرى بذرية إبراهيم –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبنا لَهُم مِن رَحمَتِنا﴾ [سورة مريم: ٥٠] فعبر بوهبنا للإشارة إلى أنه عطاء خالص من الله عز وجل وحذف المفعول فلم تذكر الهبة وذكر مصدرها في قوله تعالى ﴿مِن رَحمَتِنا﴾ فبينت أن رحمة الله تعالى هي أساس الهبات، وأصل العطايا، وتشمل كل خير ديني ودنيوي فهي هبة عامة شاملة(١).

وقد عممت الآية الأخيرة في قوله تعالى: ﴿ أُولئِكَ الَّذينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّن حَمَلنا مَعَ نوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبراهيمَ وَإِسرائيلَ ...﴾ [سورة مريم: ٥٨] فشملت ما ذكر من الأنبياء في الآيات السابقة لها وغيرهم من أنبياء الله وذكرت كيف كان حالهم إذا تتلى عليهم آيات الله أنهم يخرون لله سجدًا، ويلاحظ أن كل حلقة في سلسلة الأنبياء احتوت إشارة إلى ما كان من إخلاص النبي، وهذا من دعائم الهدف الذي استهدفته السلسلة، ثم يأتي في قوله تعالى: ﴿ ... وَمِمَّن هَدَينا وَاجتَبَينا إِذا تُتلى عَلَيهِم آياتُ الرَّحمنِ خَرّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٨] إشارة إلى الذين صدقوا برسالة النبي ﷺ وصاروا على طريقة الأنبياء السابقين(٢).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٤٨، ٥٠–٥١

(٢) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص١٦١.

علاقة المشاهد ببعضها:

قد اختص مشهد واحد في السورة ببيان روعة منهج سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في دعوة أبيه للتوحيد رغم رفضه وعناده.

وتتناسب دعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لوالده إلى التوحيد بأسلوب لين فيه الرحمة،

فابتدأت قصة سيدنا إبراهيم ببراعة الاستهلال فبدأت بتشويق النفس إلى الإصغاء والإنصات لما يرد من أمر عظيم، والجملة ابتدأت بقوله تعالى ﴿وَاذكُر﴾ وجاءت الجملة التي بعدها لتجيب في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ كانَ صِدّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤١] وتعلل الأمر بذكر إبراهيم في الكتاب، وجاءت بصيغة المبالغة لتبين كثرة التصديق(١)، وقد رتبت حسب الأعم ثم الأخص احترازا من توهم تخصيص الصديقية بالنبوة(٢)، ثم جاء المشهد يبين دعوة أبيه في أسلوب الرفق واللين وهذا يتناسب مع جو السورة من الرحمة.

وأكد إبراهيم –عليه السلام– على أبيه وهو المخاطَب باستخدام الأمر المقرون بجوابه في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعني أَهدِكَ صِراطًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤٣]، وأيضا حرف الفاء الذي يدل على السرعة في قوله تعالى (فاتبعني) بأن بمجرد اتباعه يكون في الطريق الصحيح(٣).

---

(١) يُنظر: أبوستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٢٧–٢٨.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٢٩.

(٣) يُنظر: محمد، عبد الصمد، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائص التركيبية وصورة البيانية**، رسالة دكتوراه، ص٣٩.

ثم نكر الصراط ووصفه بأنه (سويا) استعارة عن –الدين الحق– بالصراط؛ لأن الدين يصل بالإنسان إلى طريق النجاة، وذكر في قوله تعالى: (صراطًا سويا) وهذا اللفظان يدلانا على التفخيم والتعظيم، فجاء بالتنكير والوصف معًا(١).

وجاءت الآيتان في قوله تعالى: ﴿يا أَبَتِ لا تَعبُدِ الشَّيطانَ إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا ۝ يا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فَتَكونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤٤–٤٥] التاليتان بمشهد يجمع الاسمين (الرحمن) و(الشيطان) ليحذر من اتباع الشيطان، فإيراد هذين اللفظين له دلالة وعبرة وعظة، ففيها تحذير وتخويف وترهيب ليس لوالد سيدنا إبراهيم –عليه السلام–فقط، وإنما لكل من يتخذ الشيطان وليا، ويتخلى عن ولاية الله سبحانه وتعالى(٢).

وهو ما يتناسب مع محور السورة من إثبات التوحيد وأسلوب السورة التي يغلب عليها خطاب الرحمة، فبينت السورة صفتين متلازمتين وهما: صفة الكمال الرباني وصفة كمال العبودية، وهو ما يتناسب مع دعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لأبيه للتوحيد وترك عبادة الأصنام، بأسلوب يغلب عليه الرحمة والتأدب والتلطف والبر بالرغم من كفر أبيه وإصراره على الضلالة، ثم تأتي رحمة الله بسيدنا إبراهيم–عليه السلام– بأن وهب له الله أبناء وجعلهم أنبياء، وهذه رحمة الله بعبده، وهذا ينسجم مع محور السورة وهذا المعنى يؤديه هذا المشهد من قصة إبراهيم دون غيره(٣).

---

(١) يُنظر: محمد، عبد الصمد، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائص التركيبية وصورة البيانية**، رسالة دكتوراه، ص٣٩.

(٢) يُنظر: غوادرة، فيصل حسين، المستوى البلاغي في سورة مريم، **مجلة الجامعة الإسلامية**، م١٧، ع١، يناير ٢٠٠٩، ص٦٤٢.

(٣) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣٠٠–٢٣١٢.

وجاءت الفاصلة في قوله تعالى: ﴿يا أَبَتِ لا تَعبُدِ الشَّيطانَ إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا ۝ يا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فَتَكونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا﴾[سورة مريم: ٤٤-٤٥] في صورة طباق حيث قال تعالى (عصيا) (وليا) وهنا يظهر تناسبٌ وتناسقٌ آخر في نفس الآيتين وهو التحذير من عصيان الله ومن ولاية الشيطان، فطاعة الشيطان وولايته لله لا يجتمعان في قلب رجل طائع لله(١).

جاءت الفاصلة في السورة بحرف (الألف) منها (نبيًا- شيئا- سويا – مليا – حفيا – شقيا – نبيا) للتعبير على جو السورة وما فيها من رقة ولين، وما تتميز به دعوة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لأبيه من تلطف ولين(٢)، فالألف اللينة "تعطي من الناحية الصوتية على السورة جوًا موسيقيًا خاصًا له دلالته على المحتوى النصي وما ورد من مضمون لهذه الآيات، وعلى المستوى النفسي والدلالي"(٣).

الخلاصة: تعد سورة مريم من أوائل السور التي نزلت على الرسول ﷺ بعد المرحلة السرية وهي تدور في محورها الرئيس حول الرحمة ويظهر ذلك من خلال الرد على مشركي مكة ومن تبعهم وإقامة الحجج عليهم في موضوعات محددة.

---

(١) يُنظر: غوادرة، فيصل حسين، المستوى البلاغي في سورة مريم، **مجلة الجامعة الإسلامية**، م١٧، ع١، يناير ٢٠٠٩، ص٦٤٢.

(٢) يُنظر: الطحان، يوسف سليمان، السمات الأسلوبية في القصص القرآنية قصة إبراهيم -عليه السلام- أنموذجًا، **مجلة أبحاث كلية التربية**، م١٠، ع٣، ٢٠١١، ص٢٢٠.

(٣) غوادرة، فيصل حسين، المستوى البلاغي في سورة مريم، **مجلة الجامعة الإسلامية**، م١٧، ع١، يناير ٢٠٠٩، ص٦٥١.

فتكمن علاقة القصة بالسياق التاريخي في:

- أن بعض المشركين في عهد الرسول ﷺ كان يعبدون الأصنام بحجة أن آباءهم كانوا يعبدونها فجاءت قصة سيدنا إبراهيم – تبين لهم بطلان كلامهم.
- تسلية للرسول على ما يلقاه من قومه من أذى وحتى من أقرب الناس له فجاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تسلي الرسول ﷺ وتذكره بأن أبا الأنبياء أوذي من أبيه آزر، واعتزل سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أباه وهو أقرب الناس إليه.
- تظهر رحمة الله تعالى مع نبيه محمد ﷺ حين جمع له أصحاب يبذلون كل ما يملكون في سبيل الدعوة إلى الله.

أما علاقة القصة بالسياق النصي للسورة فهي علاقة تكامل وتناسق فكل القصص تتناول البر سواء أكان عامّا أو خاصّا.

- فالقصة الأولى: قصة سيدنا يحيى –عليه السلام– تبين علاقة الابن البار مع والديه المؤمنين.
- والقصة الثانية: قصة سيدنا عيسى –عليه السلام– وهو بار بأمه المؤمنة.
- والقصة الثالثة: قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وهو بار بأبيه رغم كفره.

ثم تأتي الآيات بعد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تبين امتنان الله على أنبيائه واصطفاءهم حتى بلغوا أسمى مقامات العبودية.

تنوع الخطاب في السورة تنوعًا عجيبا مما أعطى للقارئ الانتباه والتشويق، وجاءت الفاصلة القرآنية في أغلب السورة ب(الألف اللينة) للتناسب مع جو السورة من الرحمة.

وانفردت السورة بذكر مشهد حوار سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه دون غيره من المشاهد ليتناسب مع سياق السورة ومحورها.

المطلب الثاني: حوار سيدنا إبراهيم مع قومه وأبيه (سورة الشعراء: ٦٩-٨٩)

سورة الشعراء سورة مكية عند الجمهور [١] إلا آخر خمس آيات نزلت بالمدينة [٢] وقيل آخر أربع آيات[٣]، عدد آياتها سبع وعشرون ومائتان في المدني الأول والكوفي، والشامي وست وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري[٤]، وهي السورة السابعة والأربعون حسب ترتيب النزول نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل، أما في ترتيب المصحف الشريف فتلي سورة الفرقان[٥].

لسورة الشعراء أسماء توقيفية واجتهادية، ومن أسمائها التوقيفية: الشعراء، وسبب تسميتها بهذا الاسم انفراد السورة بكلمة الشعراء مرة واحدة في آخرها [٦].

---

(١) يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز (تفسير ابن عطية)**، ج٤، ص٢٢٤؛ يُنظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **فتح القدير**، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ)، ج٤، ص١٠٨؛ يُنظر: صديق خان، أبو الطيب محمد، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، ١٩٩٢م-١٤١٢هـ)، ج٩، ص٣٥٩؛ يُنظر: ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن كثير)**، ج٦، ص١٢٢.

(٢) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تفسير أبي السعود)، ج٦، ص٢٣٣؛ يُنظر: صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٩، ص٣٥٩.

(٣) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج٢٤، ص٤٩٠؛ يُنظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق عبد المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٣، ص٣٣٤؛ ومن قال آخر خمس آيات قال تبدأ من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وآخر ٤ آيات.

(٤) يُنظر: الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص١٩٦.

(٥) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص٢٠.

(٦) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٩، ص٨٩.

وأما عن تسمية السورة اجتهاديا فهي [١]: سورة الجامعة: سميت بهذا الاسم؛ لأنه يغلب على هذه السورة حديث قصص الأنبياء مع أقوامهم[٢]، وأنها شملت ذكر الرسل أصحاب الشرائع حتى الرسالة المحمدية،[٣] وقال ابن عاشور: "ولم يظهر وجه وصفها بهذا الوصف"[٤].

وترى الباحثة: أن هذه التسمية لها دلالة مقبولة على أنها اجتهادية، وما وجد في سور آخر مثل سورة الأنعام والأنبياء فقد ورد فيها ذكر لأسماء الأنبياء وليست قصصًا.

ويرى ابن عاشور: أن موضوعات السورة هي: التنويه بشأن القرآن، وتسلية للرسول ﷺ على ما يجده من إعراض قومه عنه، وتنبيههم أن من يعرض له عذاب أليم، وضرب المثل لهم بالأمم السابقة التي كذبت[٥].

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۝ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

---

(١) يُنظر: الدوسري، منيرة محمد ناصر، **أسماء سور القرآن وفضلها**، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ)، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهر: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م-١٣٨٤هـ)، ج١٣، ص٨٧. أغلب من قال باسمها الجامعة نقل عن ابن كثير.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص٨٩.

(٤) ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٩، ص٨٩.

(٥) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٩، ص٥٩.

الدِّينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٦٩-٨٩].

محور سورة الشعراء:

يدور محور السورة – حسب الإمام البقاعي– حول بيان أن هذا الكتاب معجز في نفسه وأنه من عند الله، ومبين لكل ملتبس(١).

أما سيد قطب فيرى بأن محور السورة يدور حول العقيدة ملخصة في عناصرها الأساسية وهي: التوحيد، والخوف من الآخرة، والتصديق بالوحي المنزل على سيدنا محمد ﷺ، ثم التخويف من العاقبة في الدنيا أو الآخرة، وتسلية للرسول ﷺ وتثبيت العقيدة في نفوس المؤمنين(٢).

ويرى حبنكة الميداني أن محورها حول الإنذار والتكذيب ويشتمل التكذيب على عدة أمور منها (التكذيب بالرسول – والتكذيب بالقرآن)(٣).

ويرى سعيد حوى أن محور السورة يدور حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ واستدل على كلامه بأن الآيتين تكررتا بعد ورود كل قصة من قصص الأنبياء(٤).

---

(١) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٥، ص٣٤٤.

(٢) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٥٨٣.بتصرف يسير

(٣) يُنظر: حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج٨، ص ٦١٩-٦٢٠.

(٤) يُنظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ)، ج٧، ص٣٩٠١.

وترى الباحثة أن محور السورة يدور حول الإنذار والتكذيب ويدخل ضمن تكذيب كفار مكة ومن تبعهم تكذيبهم بالقرآن، وبالألوهية وبالرسل.

وجاءت قصص سيدنا (موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب) عليهم السلام، ممتدة لتشمل مئة وثمانين آية[١]، تعرض مخاطبة كل نبي ورسول لقومه، وتبين أنواع التكذيب، ومن ثم تبين آثار مصارع الأقوام السابقة، فكانت كل واحدة تختم كما اختتمت به صاحبتها، حتى يتعظ كفار مكة، وتكون أرسخ في الفهم، وأبعد عن النسيان، وانتهت السورة بما يؤول إليه المؤمن وما يؤول إليه الكافر[٢].

فجاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تعرض مشاهد وحلقات تتناسب مع محور السورة، فتبدأ بمشهد دعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لأبيه وقومه إلى ترك عبادة الأصنام وإنكار سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عبادتهم، وإثبات الوحدانية لله.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

حديث السورة عن التكذيب يتناسب مع سياق نزولها التاريخي، إذ تحمل المشاهد صلة وثيقة بالنبي محمد ﷺ ودعوته، فقد بدأت الآيات في السورة تبين شدة حزن النبي ﷺ وتسليته وتعزيته عن تكذيب قومه له، فيخبره الله من خلال القصص أن سيدنا موسى –عليه السلام– قد أوتي أعظم المعجزات، وعظيم الآيات ولم يؤمن بدعوته إلا القليل، وتأتي بعد ذلك قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أبي الأنبياء، وخليل الرحمن ولم يؤمن أقرب الناس إليه، وأحبهم إلى قلبه

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٥٨٣.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٩؛ يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، (الشارقة: جامعة الشارقة، ط١، ٢٠١٠م–١٤٣١هـ)، ج٥، ص٣٢٨.

فلم يؤمن أبوه، فحزنه لكفران أبيه وقومه كان أشد؛ لأنه كان يرى أباه وقومه لا يؤمنون وأنهم في النار وهو لا يتمكن من إنقاذهم، فهي إشارة للنبي ﷺ "حتى يعلم أنه ليس ببدع من الرسل وأن قومه ليسوا بأول من عاند واستكبر من الأمم"[١] ومعارضة أقوامهم أمر قديم فلا داعي للحزن، وكأنها تقول للنبي محمد ﷺ أنت لست أول رسول يُكَذَّب، بل كُذِّبَ رسل قبلك كثير[٢] وتخبره ﷺ بالنتيجة وهي هلاك المكذبين، فاصبر يا محمد إن العاقبة للمتقين.

وأُمِرَ النبي ﷺ أن يتلو السورة على المشركين حتى يقيم الحجة عليهم بما تضمنته من دليل عقلي على انتفاء ألوهية الأصنام، فقد كانوا يزعمون أنهم ورثة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وأنهم على دينه القديم، ومع ذلك يشركون بالله ويضعون الأصنام في بيت الله الحرام لعبادتها، وهو البيت الذي بناه سيدنا إبراهيم –عليه السلام– خالصا لله، فبهذا المشهد يثبت لهم أنهم ليسوا على دين سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فدينه التوحيد، وأنهم على الشرك، ثم يأتي التحذير من عواقب التكذيب من خلال مشهد كامل من مشاهد القيامة، يبين فيه فساد عقيدة الشرك، والذي يندم فيه المشركون على شركهم يوم لا ينفع الندم، وهنا عِبرَة القصة لمشركي قريش[٣].

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، ج١٩، ص٧٠. بتصرف يسير.

(٢) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١١، ص٤٨٢.

(٣) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٠٠.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تكمن العلاقة بما يتكامل مع محور السورة من خلال الآيات السابقة واللاحقة:

علاقة القصة بما قبلها:

تبدأ سورة الشعراء بالإشفاق على النبي ﷺ بسبب حزنه وألمه؛ لعدم إيمان قومه في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٣]، كما تبين الآيات أن هؤلاء القوم معروفون بالإعراض عن آيات الله قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٥] ثم تبين جزاء الإعراض وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٦]، فتأتي بعد ذلك قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لصلته الوثيقة بالعرب فهو الجد الأعلى لهم، ففي ذكر القصة للعرب عبرة وعظة لما بينهم وبين الخليل من صلة يفخرون بها؛ فموقف قريش وموقف قوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تشابه في عبادة الأصنام(١)، ولشدة الشبه بين قوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ومشركي العرب في عبادة الأصنام وفي تمسكهم بضلال آبائهم جاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فيها الاستدلال على انحطاط الأصنام وأنها لا تستحق العبادة، مستندا لدليل الفطرة، فرسالة خاتم الأنبياء وأبي الأنبياء صلى الله عليهما قائمتان على دعامة الفطرة في العقل والعمل(٢).

وعلاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا موسى –عليه السلام– القصص في هذه السورة لا تتبع الخط التاريخي، فالعبرة وحدها هي المقصودة، فاستهلت السورة بقصة سيدنا موسى –عليه السلام– ثم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ثم سيدنا نوح –عليه السلام–

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٥-٥٦.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٣٧.

مع أن الترتيب التاريخي يبدأ بسيدنا نوح فإبراهيم –عليهما السلام، وذكر الشعراوي أن الآيات التي تتحدث عن قصة سيدنا موسى –عليه السلام– جاءت لتعالج مسألة قمة العقيدة، وهي مواجهة مدعي الألوهية، أما آيات سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فتعالج قضية الشرك مع الله وعبادة الأصنام، فبدأ بقصة سيدنا موسى–عليه السلام– لمنعدمي الإيمان ثم قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لمن عندهم طرف من إيمان [١].

تنوع الأسلوب الخطابي في القصص: جاءت بداية السورة بخطاب من المتكلم إلى الغائب قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٤][٢]، ثم جاء الخطاب في قصة سيدنا موسى –عليه السلام– من الغيبية إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٠][٣]، ومنها ما جاء بالتفات العدد من المثنى للجمع ومن الجمع للإفراد[٤]. الأنبياء مبدأها جميعا بنسبة التكذيب إلى أقوامهم، ولعل السر في هذا الاختلاف هو الارتباط الشديد ببداية السورة والحديث عن المكذبين من قريش وعنادهم وهم ينتسبون إلى إبراهيم –عليه السلام– ويدعون أنهم يسيرون على طريقه، فلما ذكرت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ناسب ذلك أن يؤمر سيدنا محمد ﷺ بتلاوة القصة على قومه ليتيقنوا أنهم ليسوا على نهج أبيهم إبراهيم، ففي القصة بيان محاربة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– للأصنام وعابديها، وكما نجد في مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لم يسخر منه قومه

---

(١) يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٧، ص١٠٥٨٤.

(٢) يُنظر: أنجرإيني، ليا، **أسلوب الالتفات في سورة الشعراء وفوائده في تعليم البلاغة**، الإجازة العالية، الجامعة الإسلامية، (اللغة العربية، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م)، ص٤٦.

(٣) يُنظر: أنجرإيني، ليا، **نفس المرجع السابق**، الإجازة العالية، ص٤٨.

(٤) يُنظر: أنجرإيني، ليا، **نفس المرجع السابق**، الإجازة العالية، ص٥٠–٥١.

ولم يكذبوه وإنما عللوا عبادتهم للأصنام بتقليد الآباء، ولذلك لم تبدأ القصة بإسناد التكذيب لهم كما جاء في باقي القصص[١].

علاقتها بقصة سيدنا نوح عليه السلام: وبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قصة إبراهيم –عليه السلام– جاءت قصة سيدنا نوح –عليه السلام–، ولما لسيدنا نوح –عليه السلام– القدم في الزمان جاءت القصة لتعلم أن البلاء قديم؛ ولأنها أدل على صفتي الرحمة والنقمة، فبدأت قصة نوح –عليه السلام– بذكر تكذيب قومه في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥]، بإثبات التاء اختيارا للتأنيث للتنبيه على أن فعلهم أخس الأفعال، وأنهم رغم عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى أهون شيء وأضعفه فقد جعلهم هباء منثورا[٢].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوم عاد وثمود ولوط: وتأتي الآيات لعرض مصارع عاد وثمود وقوم لوط وهي تبين آيات الله في المكذبين إذ تصور نهاية قوم إبراهيم، ونهاية الشرك كافة، وهو موضع العبرة في القصص الذي ورد في السورة، وتأتي مشاهد القيامة تعرض كأنها واقعة وكأنما تشهدها الأبصار حين تسمعها[٣].

وجاءت الخطابات متنوعة ومنها التفات العدد من الجمع للإفراد في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٠–١٠١][٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٨٧–

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٢٤٧–٢٤٨.

(٢) يُنظر: البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٤، ص٦١.

(٣) يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٠٥.

(٤) يُنظر: أنجرإيني، ليا، **أسلوب الالتفات في سورة الشعراء وفوائده في تعليم البلاغة**، الإجازة العالية، ص٥١.

٨٩] جاء الخطاب من المتكلم للغيبية[١] وجاء الخطاب في قصة سيدنا نوح –عليه السلام– ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [سورة الشعراء: ١١٨–١١٩] بالتفات بين صيغتي الفعل[٢].

علاقة المشاهد ببعضها:

احتوت السورة على عدة مشاهد من قصة إبراهيم –عليه السلام– وهي:

- حوار سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وقومه.
- ثناء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– على الله تعالى.
- دعاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لربه سبحانه وتعالى.

وجاء لفظ "آباؤكم" معطوفًا على أنتم لزيادة إظهار قلة اهتمامه بتلك الأصنام مع أن الأقدمين عبدوها فتضمن ذلك إبطال شبهتهم في استحقاقها العبادة[٣].

وعن وصف الآباء بالأقدمية قال ابن عاشور "إيغال في قلة الاكتراث بتقليدهم؛ لأن عرف الأمم أن الآباء كلما تقادم عهدهم كان تقليدهم آكد"[٤].

ولما أعلن الخليل عداوته لمعبودهم استثنى من ذلك رب العالمين الذي يتصف بكل صفات الكمال، وسرد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– صفات عديدة ومنها الهداية والطعام والشفاء وعبر

---

(١) يُنظر: أنجرإيني، ليا، **أسلوب الالتفات في سورة الشعراء وفوائده في تعليم البلاغة**، الإجازة العالية، ص٤٧.

(٢) يُنظر: أنجرإيني، ليا، **نفس المرجع السابق**، الإجازة العالية، ص٤٩.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٤١. بتصرف يسير.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٤١.

عنها بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار، وقدم المسند إليه (هو) ليدل على اختصاص الله دون غيره من المخلوقات، ولم يذكر التخصيص في صفة الإماتة والإحياء؛ لأنه لا يوجد من يدعي ذلك، واستخدم حرف ثم لتفيد التراخي بين الإحياء والإماتة[١].

وجاء الحصر في بعض النعم؛ لأنهم كانوا يزعمون أن الأصنام قادرة على الإعانة، أو الإعاقة[٢].

وهذه الدعوة تتناسب مع محور السورة في الحديث عن التكذيب فجاءت الآيات تدحض أفكارهم فأوضحت وفصلت حتى تقيم عليهم الحجة.

وتنوعت الأساليب في المشاهد الثلاثة[٣]:

١. أسلوب الاستفهام: والذي استخدمه الخليل في الحوار مع قومه، ليحقق ما يرجوه في الإنكار عليهم ما كانوا يعبدون، وإرشادهم إلى الحق.

٢. أسلوب الخبر: من خلال ثنائه على ربه بصفاته وأفعاله عز وجل.

٣. أسلوب الدعاء وجاء بصيغة الأمر منتهيًا بصيغة النهي.

وجاءت الفاصلة بقصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بحرف النون ما عدا الفاصلة الأولى بالميم (إبراهيم – يعبدون – عاكفين – تدعون – تصبرون – يفعلون – يعبدون – الأقدمون – العالمين)، إذ تدل الفاصلة الأولى على سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لوحده في حين تدل باقي

---

(١) يُنظر: محمد، عبد الصمد عبد الله، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم وخصائصه التركيبية وصوره البيانية**، رسالة دكتوراه، ص٤٣.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٤٣.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٢٤٢.

الفواصل على قوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وهو يذكرهم بعبادة الله وحده، وأن ما كانوا عليه من عبادة هي ضلال مما أعطى القصص إيقاعا صوتيا[١].

وقد انفردت السورة بدعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قومه بالتفصيل في بيان العلة من عدم عبادة الأصنام حيث إنها لا تسمع، ولا ترى ولا تنفع ولا تضر ومن ثم ساد فساد هذه العبادة وتكرر هذا المعنى في سور عديدة إلا أن آيات سورة الشعراء فصلت وأوضحت سفه هذه العبادة[٢].

وانفردت أيضا بذكر الصفات التي ينبغي أن يعبد على أساسها الرب، وفصلتها أتم التفصيل[٣]. "وفي القصة شيء جديد وهو أن المحاورة لم تقتصر هنا على سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وأبيه، بل اشترك فيها قوم إبراهيم مع بيان كونهم كانوا يعبدون الأصنام" [٤].

الخلاصة: يدور محور السورة حول الإنذار والتكذيب، وجاءت القصص في سورة الشعراء تشمل جزءًا كبيرًا من آياتها، وكل قصة من قصص الأنبياء تبين نوعًا من أنواع التكذيب.

أما علاقتها بالسياق التاريخي:

- تسلية للرسول ﷺ على ما يلاقيه من قومه فتخبره الآيات أن سيدنا موسى –عليه السلام– أيده الله بالمعجزات وأن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لم يؤمن أبوه، حتى

---

(١) يُنظر: الطحان، يوسف سليمان، السمات الأسلوبية في القصص القرآنية قصة إبراهيم –عليه السلام– أنموذجًا، **مجلة أبحاث كلية التربية**، م١٠، ع٣، ٢٠١١، ص٢١٩. بتصرف يسير

(٢) يُنظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن مختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٩٥م–١٤١٥هـ)، ج٣، ص٤٢٣.

(٣) يُنظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج١٩، ص٧٠.

(٤) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص٢٥٠.

يعلم أنه ليس بدعًا من الرسل وإنما تكذيبيهم واستكبارهم نظيره موجود مع الرسل السابقين.

- أمر الله نبيه أن يتلو على المشركين الآيات حتى يثبت لهم أنهم ليسوا على دين أبيهم إبراهيم كما يزعمون، وبيان فساد عقيدتهم، وأن إمهال قوم سيدنا إبراهيم من دون عذاب كقريش.

أما علاقتها بالسياق النصي للسورة:

القصص في هذه السورة لا تتبع الخط التاريخي فيها وقدمت قصة سيدنا موسى –عليه السلام– على سيدنا إبراهيم –عليه السلام–؛ لأن قصة سيدنا موسى –عليه السلام– جاءت تعالج مسألة الإيمان بوجود الله، أما قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فتعالج مسألة الإشراك بالله، أما قصة سيدنا نوح –عليه السلام– فتتشابه مع حال سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في أن قومهما كانوا يعبدون الأصنام، تقليدا لآبائهم تقليدا أعمى.

وانفردت السورة بذكر قصة سيدنا إبراهيم مع قومه بالتفصيل في بيان أن الأصنام لا فائدة منها، وبيان صفات الرب التي يعبد على أساسها، ولم تقتصر السورة على سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بل شملت أباه وقومه.

تنوع الخطاب في السورة تنوعًا عجيبا، وجاءت الفاصلة القرآنية في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ب(النون) عدا الفاصلة الأولى، حتى تعطي دلالة خاصة بما تتناسب مع المضمون والإيقاع الصوتي.

المطلب الثالث: بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتعجب امرأته (هود: ٦٩ – ٧٦)

سورة هود عدد آياتها "مئة وإحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري، واثنان في المدني الأول والشامي، وثلاثة في الكوفي"[١]، نزلت بعد سورة إبراهيم، في ترتيب النزول، وفي ترتيب المصحف بعد سورة يونس، وهي تعد من السور المكية، ولكنهم اختلفوا في بعض آياتها أنها مدنية وهي ١٢و١٧و١١٤[٢].

ويرى ابن عاشور: أن موضوعاتها تدور حول الإيماء بالتحدي لمعارضة القرآن، والتنويه بالقرآن والنهي عن عبادة غير الله، وأن الرسول ﷺ بشير للمؤمنين ونذير للكافرين، ثم إثبات الحشر، والإعلام بأن الله يعلم السر والخفايا، وذكر نماذج من الأمم السابقة للعبرة والعظة[٣].

قال تعالى: ﴿وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إبراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ ۝ فَلَمّا رَءآ أَيدِيَهُم لا تَصِلُ إِلَيهِ نَكِرَهُم وَأَوجَسَ مِنهُم خيفَةً قالوا لا تَخَف إِنّا أُرسِلنا إِلى قَومِ لوطٍ ۝ وَامرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَت فَبَشَّرناها بِإِسحاقَ وَمِن وَراءِ إِسحاقَ يَعقوبَ ۝ قالَت يا وَيلَتى ءأَلِدُ وَأَنا عَجوزٌ وَهذا بَعلي شَيخًا إِنَّ هذا لَشَيءٌ عَجيبٌ ۝ قالوا أَتَعجَبينَ مِن أَمرِ اللَّهِ رَحمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيكُم أَهلَ البَيتِ إِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ ۝ فَلَمّا ذَهَبَ عَن إِبراهيمَ الرَّوعُ وَجاءَتهُ

---

(١) الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص١٦٥.

(٢) يُنظر: الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني**، تحقيق: علي عبد الباري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ) ج٦، ص١٨٩.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١١، ص٣١٢-٣١٣.

البُشرى يُجادِلُنا في قَومِ لوطٍ ۝ إِنَّ إبراهيمَ لَحَليمٌ أَوّاهٌ مُنيبٌ۝ يا إبراهيمُ أَعرِض عَن هذا إِنَّهُ قَد جاءَ أَمرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُم ءاتيهِم عَذابٌ غَيرُ مَردودٍ﴾ [هود: ٦٩ – ٧٦].

محور السورة:

يدور محور السورة – حسب الإمام البقاعي – حول بيان أن القرآن محكم في وصفه حالة البشارة لمن آمن بالله، والنذارة لمن أعرض عن عبادة الله فكل شيء مقدر في علم الله وهو نافذ لا محالة(١).

أما سيد قطب فيرى أن محور السورة هو الجزاء ولذلك كثر الحوار بين الأنبياء وأقوامهم لبيان الأمم التي بوركت والأمم التي كتب عليها العذاب(٢).

وقال سعيد حوى: "إن محور سورة هود هو الآية التي ما بعد مقدمة سورة البقرة وهي: قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾"(٣).

وترى الباحثة أن محور السورة يدور حول الجزاء من خلال بيان الأمم التي بوركت والأمم التي عذبت.

ونجد القصص يشكل جسم السورة، حيث تبلغ عدد آياتها تسعًا وثمانين آية من مئة وثلاثٍ وعشرين آية مفصلة، تتضمن الجدل حول حقائق العقيدة، وفيها الترغيب والترهيب، فبدأت بالترتيب (نوح – هود – صالح – إبراهيم – لوط – شعيب – موسى) عليهم السلام إلى سيدنا محمد ﷺ وكل الرسل بعثوا لينذروا قومهم من الشرك، وعبادة غير الله، ويأمروهم بالإيمان بالله وحده، والتأكيد

---

(١) يُنظر: البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٣، ص٤٩٨.

(٢) يُنظر: قطب، سيد ، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٨٤١.

(٣) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**،ج٥، ص٢٥٢٥.

على ذلك، ولكن الكفر ملة واحدة، بعقلية واحدة، على مدار التاريخ كله، فيسير القصص في السورة وفق خط تاريخي، حيث يذَكِّر التالين بمصير من سبقهم(١).

فكانت القصة الأولى قصة نوح –عليه السلام– وفيها مشهد الطوفان وهو إغراق المكذبين، ثم ذكر الله قصص بعض الأنبياء الذين أرسل عليهم العذاب، وهذه الأمم التي كتب الله عليها العذاب، ثم جاء ذكر الأمم التي بوركت وهي لقطات من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–(٢).

وردت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– على غير أسلوب القصص التي قبلها والتي بعدها لتبين مقام إبراهيم –عليه السلام– عند ربه(٣)، فعرضت لنا مشهدًا يتناسب مع محور السورة وهو مشهد مجيء رسل الله بالبشرى، وجاءت الآيات تسلية للنبي ﷺ لحزنه لما يلقاه من أذى وتحدٍّ، ومكابرة من قومه، وتكذيبه في فترة عصيبة، وهي فترة الدعوة بمكة(٤).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

نزلت هذه السورة في السنة العاشرة من البعثة النبوية وفيها توفي أبو طالب عمه، وكان له عضدا وحرزا في أمره، وزوجه خديجة ﵂ وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها همه، وبعد ذلك حدثت رحلة الإسراء وغرابتها، والتي أنكرها المشركون لما فيها من إعجاز صعب عليهم فهمه؛ لأن على أعينهم وقلوبهم غشاوة، وما كان منهم إلا مزيد من السخرية والاستهزاء، فتجرأ المشركون عليه ﷺ بعد وفاة عمه، ومع ارتداد بعض ضعاف القلوب ممن أسلموا، فهي من الفترات

---

(١) يُنظر: شحاته، عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٧٦م–١٣٩٦هـ)، ص١٣٤.

(٢) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن** ، ج٤، ص١٩١١.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص١١٦.

(٤) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٨٥٠.

الشاقة في تاريخ الدعوة بمكة، فالسورة جاءت لتثبت النبي ﷺ وتسليه بعد ما لاقاه من الوحشة والضيق والغربة، فجاءت القصص تعرض مواقف الرسل وهم يتلقون التهديد والاستهزاء ويقابلون ذلك كله بالصبر واليقين بأن الله ناصرهم، وأيضا تدمير الأمم المكذبة ونجاة الأمم الموحدة، وبيان قدرة الله تعالى من خلال القصص(١).

وأن أمر الله إذا أتى فلا راد له فقد حق العذاب على قوم لوط –عليه السلام– فلا بد أن يقع وفي هذا إنذار وتحذير لسامعي القرآن من كفار قريش بأن صلتهم بسيدنا إبراهيم –عليه السلام– لن ترد عنهم العذاب إذا أصروا على الكفر والإثم(٢).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة

تكمن العلاقة بما يتكامل مع محور السورة من خلال الآيات السابقة واللاحقة:

علاقتها بما قبلها:

ورد قصص الأنبياء في هذه السورة مرتبًا ترتيبا زمنيًا حيث بدأ بقصة نوح –عليه السلام– مع قومه وبعدها قصة هود –عليه السلام– مع قومه وهكذا قصة سيدنا صالح –عليه السلام– ثم جاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–.

وقد اختلفت بدايات القصص عن بعضها فقصة سيدنا نوح –عليه السلام– بدأت بقوله تعالى: ﴿وَلَقَد أَرسَلنا نوحًا إِلى قَومِهِ إِنّي لَكُم نَذيرٌ مُبينٌ﴾ [سورة هود: ٢٥] وقصة سيدنا هود بدأت بقوله تعالى: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُم هودًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلـهٍ غَيرُهُ إِن أَنتُم إِلّا مُفتَرونَ﴾

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٨٥٠وص١٨٤٠؛ يُنظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، ص٢٥٢٦.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ،ج١٢، ص١١٦؛ يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص٥٣٠.

[سورة هود: ٥٠] وقصة سيدنا صالح –عليه السلام– بدأت بقوله تعالى: ﴿وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلـهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ﴾ [سورة هود: ٦١]، ولعل السر في ذلك أن المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الأمم السابقة مع رسلهم المرسلين إليهم وما لحق بهم من عذاب، غير أن قوم إبراهيم –عليه السلام– لم يلحق بهم جميعا العذاب، وإنما جاءت بذكر البشرى؛ فلذلك جاءت بداية قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تختلف عما قبلها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إِبراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ﴾[سورة هود: ٦٩][(١)].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا نوح –عليه السلام–:

جاءت القصتان تتشابهان مع بعضهما في أنهما من أولي العزم من الرسل وجادل كلٌ منهما في شأن الكافرين، وشفقتهما عليهم رجاء نجاتهم، فسيدنا نوح تكلم في شأن ابنه قال تعالى: ﴿وَنادى نوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابني مِن أَهلي ...﴾ [سورة هود: ٤٥] بينما تكلم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في شأن قوم لوط ﴿فَلَمّا ذَهَبَ عَن إِبراهيمَ الرَّوعُ وَجاءَتهُ البُشرى يُجادِلُنا في قَومِ لوطٍ﴾[سورة هود: ٧٤][(٢)].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالمشركين الذين تحدوا النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ أَو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [سورة هود: ١٢] وذلك في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حين مجيء الملائكة إليه ومحاورته لهم وكأنها تقول للمشركين إن طلبكم بمجيء

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٢٧٤.

(٢) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٩، ص٣٢٨.

ملك مع النبي ﷺ ليس عزيزًا على الله؛ لأن الملائكة جاءت إلى بعض الرسل من قبل، لكن نزولهم مرعب[1].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا صالح:

اشتملت قصة سيدنا صالح –عليه السلام– على معجزة خارقة للعادة من قدرات الله تعالى، ثم تلتها قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وهي القصة الرابعة تحكي مشهد مجيء الملائكة إليه، تبشره بأن الله وهب له إسحاق مع أنه شيخ كبير، فجاءت القصتان تبينان قدرة الله سبحانه وتعالى فإذا أراد شيئًا يقول له كن فيكون..

علاقتها بما بعدها:

استهلت القصة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إِبراهيمَ بِالبُشرى ....﴾[سورة هود: ٦٩]، أسند المجيء دون الإرسال؛ لأن الملائكة كانوا مرسلين إلى قوم لوط قال تعالى: ﴿ ..إِنّا أُرسِلنا إِلى قَومِ لوطٍ﴾ [سورة هود: ٧٠][2].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا لوط –عليه السلام–:

جاءت قصة سيدنا لوط –عليه السلام– تكملة لإخبار الملائكة إبراهيم –عليه السلام– أنهم ذاهبون إلى قوم لوط، في قوله تعالى: ﴿ ..إِنّا أُرسِلنا إِلى قَومِ لوطٍ﴾ [سورة هود: ٧٠] وجاءت

---

(١) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٩، ص٣٢٨.

(٢) يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٤، ص٢٢٤.

الملائكة في صورة بشر كما جاؤوا إبراهيم –عليه السلام–، مما جعل سيدنا لوط –عليه السلام– يخشى أن يعتدي قومه عليهم بفعلتهم الشنيعة(١).

ويقول الشعراوي: "وانتهى الجدال، وذهبت الملائكة إلى مهمتها التي هي إيقاع العذاب بقوم لوط يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَمّا جاءَت رُسُلُنا لوطًا سيءَ بِهِم وَضاقَ بِهِم ذَرعًا وَقالَ هذا يَومٌ عَصيبٌ﴾[سورة هود: ٧٧]"(٢).

جاءت قصتا سيدنا إبراهيم ولوط –عليهما السلام– كمثالين للعبودية الخالصة لله، وفيهما عاقبة الانحراف عن الرسالة، والإخبار عن عذاب قوم لوط، ومجادلة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عن قوم لوط، وجاءت قصة سيدنا لوط –عليه السلام– متصلة مباشرة بقصة إبراهيم –عليه السلام– وكأنها متممة لها فجاءت الآيات لتؤكد لسيدنا لوط –عليه السلام– هلاك قومه المكذبين(٣) وجمع الله بين القصتين في موضع واحد؛ لأنهما كانتا في زمن واحد(٤).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة شعيب:

جاءت قصة سيدنا شعيب –عليه السلام– امتدادًا لقصة إبراهيم –عليه السلام– في قضية التوحيد فجاء بقضية الأمانة والعدالة التي هي وثيقة الصلة بالعقيدة في الله، وإن كان أهل مدين لم

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص١٢٤.

(٢) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١١، ص٦٥٧٣.

(٣) يُنظر:الهروي، محمد الأمين بن عبد الله، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (لبنان: دار طوق النجاة، ط١، ٢٠٠١م–١٤٢١هـ)، ج١٣، ص١٦١.

(٤) يُنظر: أبو زهرة، محمد، **زهرة التفاسير**،(د.م: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج٧، ص٣٧٢٩.

يدركوا تلك العلاقة بين المعاملات المالية والصلاة، وقد صارت قصة شعيب على نسق قصة هود وصالح –عليهما السلام– بنفس البدايات[١].

علاقة المشاهد ببعضها:

- مشهد إرسال الله الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالبشرى.
- ومشهد إخبار سيدنا إبراهيم عن عذاب قوم لوط، ومجادلته للملائكة.

وتتناغم قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع محور السورة وهو: جزاء من ءامن ومن كفر.

جاءت الفاصلة في هذه السورة ١٢ صوتا، ويعد حرف النون أكثر ما اختتمت به السورة ثم الدال ويعد صوتا الصاد والقاف أقل الأصوات فجاءت كل فاصلة متناسبة مع سياق الآية والسورة[٢].

وجاء حرف الباء بصفتيه الشدة والقلقة ففي قوله تعالى: ﴿وَامرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَت فَبَشَّرناها بِإِسحاقَ وَمِن وَراءِ إِسحاقَ يَعقوبَ ۝ قالَت يا وَيلَتى أَأَلِدُ وَأَنا عَجوزٌ وَهذا بَعلي شَيخًا إِنَّ هذا لَشَيءٌ عَجيبٌ﴾ [سورة هود: ٧١–٧٢] دلت على الشدة والانفجار فجاءت خاتمة الآيات تتحدث عن البشارة فشدة التعجب تتناسب مع صفة حرف الباء[٣].

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٩١٧.

(٢) يُنظر: محمود، محمد حسين، **تنوع الأصوات في ختام فواصل سورة هود دراسة صوتية دلالية**، مجلة قطاع اللغة العربية والشعب المناظرة، ع ١٥، ص١٨٠٢.

(٣) يُنظر: محمود، محمد حسين، **نفس المرجع السابق**، ص١٨٠٧.

وأما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إبراهيمَ لَحَليمٌ أَوّاهٌ مُنيبٌ﴾ [سورة هود: ٧٥] أي كثير التأسف لرقة قلبه المطيع لربه فانتهت بحرف الباء الدال على صفة القلقة التي هي من صفات القوة وصفة الشدة [١].

وأما حرف الذال جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إبراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ﴾ [سورة هود: ٦٩] وهو الدال على صوت احتكاكي رخو تختم به الفواصل، لتترك فرصة للقارئ بعد ذكر الوعيد للأمم التي كذبت رسلها ليعود ويقبل على طاعة ربه فنجد الآيات التي تسبق الآية السابقة تتحدث عن سيدنا صالح –عليه السلام– وما كان من قومه من جهل وعناد وتكذيب لنبيهم فجاءتهم العقوبة، وبعدها جاءت الآية تتحدث عن بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– ثم جاء السلام ثم إكرام الخليل للملائكة بتقديم الطعام لهم، فجاءت الآية مختتمة بصوت الذال لتتناسب مع المقصود من معنى الآية[٢].

وأما حرف الطاء ﴿فَلَمّا رَأى أَيدِيَهُم لا تَصِلُ إِلَيهِ نَكِرَهُم وَأَوجَسَ مِنهُم خيفَةً قالوا لا تَخَف إِنّا أُرسِلنا إِلى قَومِ لوطٍ﴾ [سورة هود: ٧٠] الدال على الانفجار، فختمت هذه الآية بصوت الطاء الذي يوصف بأنه مقلقل شديد الانفجار ليناسب شدة الفزع والخوف الذي أصاب الخليل عندما رأى أيديهم لا تصل للطعام[٣].

---

(١) يُنظر: محمود، محمد حسين، **تنوع الأصوات في ختام فواصل سورة هود دراسة صوتية دلالية**، ص١٨٠٧.

(٢) يُنظر: محمود، محمد حسين، **نفس المرجع السابق**، ص١٨١٤.

(٣) يُنظر: محمود، محمد حسين، **نفس المرجع السابق**، ص١٨٢٧.

وأيضا في قوله تعالى: ﴿فَلَمّا ذَهَبَ عَن إبراهيمَ الرَّوعُ وَجاءَتهُ البُشرى يُجادِلُنا في قَومِ لوطٍ﴾ [سورة هود: ٧٤] ختمت الفاصلة بصوت الطاء لأنها تناسب موقف الجدال الذي يتطلب شدة في الحديث والذي كان من الخليل إبراهيم –عليه السلام– مع الملائكة لتأخير قوم لوط لعلهم يؤمنون(١).

فانفردت القصة في هذه السورة عن غيرها من السور بما يتناسب مع محورها وهو الجزاء، فجاء مشهد مجادلة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع الملائكة ألا يعذب الله قوم لوط بما فعلوا، فأخبرته الملائكة أنه أمر الله فلا راد لأمره، وأن عذابهم من نوع خاص لم يعهده أحد من قبله ودل على ذلك تنكير كلمة العذاب، وجاء بعدها لفظ غير مردود وهذا يدل على حتمية العذاب ونفاذه وأنه لا يرد(٢).

وانفردت السورة بلفظ (حنيذ) ليناسب سياق الآيات فالكلام عن البُشرى فالمُبَشَر بالخير يتخير أجود الأنواع وبالتالي جاء لفظ (العجل الحنيذ) أي العجل المشوي (٣).

---

(١) يُنظر: محمود، محمد حسين، **تنوع الأصوات في ختام فواصل سورة هود دراسة صوتية دلالية**، ص١٨٢٨.

(٢) يُنظر: بومدين، مختار، **دور السياق في فهم القصص القرآني قصتا آدم وإبراهيم –عليهما السلام**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، (الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠١٣–٢٠١٤م)، ص١٠٧.

(٣) يُنظر: سقعان، محمد، **أثر السياق في فهم المتشابه اللفظي في القصص القرآني**، رسالة ماجستير، رسالة ماجستير، (تركيا، جامعة نجم الدين أربكان، م٢٠٢٠)، ص١٢٧.

الخلاصة:

يدور محور السورة حول الجزاء وبيان ذلك من خلال المناقشات التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم.

وأما علاقة المشهد بالنبي ﷺ فهذه السورة نزلت في فترة حرجة وهي فترة وفاة عمه والسيدة خديجة ثم تلتها رحلة الإسراء، وفيها تجرأ كل من أراد الاستهزاء وآذوا رسول الله ﷺ بكل ما يملكونه، فجاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تبشره وتصبره وتخبره أن الله إذا أمر أمرا فلا راد لأمره، وأن صلة قريش ومن تبعهم بالخليل لن تنفعهم.

وأما علاقة القصة بالسياق فجاءت قصتا سيدنا إبراهيم ونوح –عليهما السلام– يبينان شفقة الأنبياء، وطلب نجاة المشركين من العذاب، وأما قصتا سيدنا إبراهيم وصالح فتبينان قدرة الله تعالى على فعل المعجزات، وقصتا سيدنا إبراهيم ولوط –عليهما السلام– مثالان للعبودية الخالصة لله تعالى وأن عاقبة الانحراف واحدة وهي العذاب.

المطلب الرابع: بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتعجبه (سورة الحجر: ٥١– ٦٠).

سورة الحجر مكية[١]، وعدد آياتها تسعة وتسعون آية وليس فيها اختلاف[٢]، نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام[٣]، فتعد السورة الرابعة والخمسين في ترتيب النزول، ويتسم جو هذه السورة بالإنذار[٤] مفعما بظل من التهويل[٥] يذكر بجو سورة الأعراف.

فقد جاءت السورة في فترة حرجة بين العام العاشر وهجرة النبي ﷺ ويتضمن سياق السورة عرض بعض آيات الله في الكون، فابتدأت الآيات بعرض أصل الهداية والغواية من خلال مشهد خلق سيدنا آدم –عليه السلام– وسجود الملائكة له، وكفر الشيطان برفض إبليس السجود، وغروره واستكباره، ثم ذكرت نماذج من القصص، ثم يذكر السياق قصة سيدنا إبراهيم ولوط –عليهما السلام–[٦] وتبين البشارة للمهتدين والعذاب للضالين ثم ذكرت قصة أصحاب الحجر وعذابهم ثم اختتمت السورة بتثبيت النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئهُم عَن ضَيفِ إبراهيمَ ۝ إِذ دَخَلوا عَلَيهِ فَقالوا سَلامًا قالَ إِنّا مِنكُم وَجِلونَ ۝ قالوا لا تَوجَل إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَليمٍ ۝ قالَ أَبَشَّرتُموني عَلى أَن مَسَّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرونَ ۝ قالوا بَشَّرناكَ بِالحَقِّ فَلا تَكُن مِنَ القانِطينَ ۝ قالَ وَمَن يَقنَطُ مِن رَحمَةِ رَبِّهِ إِلَّا

---

(١) يُنظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص٣٩.

(٢) يُنظر: الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص١٧٣.

(٣) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٩، ص١١٦.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٦.

(٥) يُنظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١٢٣.

(٦) يُنظر: قطب، سيد، **نفس المرجع السابق**، ج٤، ص٢١٢١و٢١٢٣.

الضّالّونَ ۝ قالَ فَما خَطبُكُم أَيُّهَا المُرسَلونَ۝ قالوا إِنّا أُرسِلنا إِلى قَومٍ مُجرِمين ۝إِلّا آلَ لوطٍ إِنّا لَمُنَجّوهُم أَجمَعينَ ۝ إِلَّا امرَأَتَهُ قَدَّرنا إِنَّها لَمِنَ الغابِرينَ﴾ [سورة الحجر: ٥١-٦٠]

محور سورة الحجر:

يقول البقاعي "المقصود من السورة اعتقاد أن القرآن جامعٌ للأمور الموصلة إلى الله، مغنٍّ عن جميع الأسباب، فلا ينبغي الالتفات إلى شيء سواه ﴿ ذَرهُم يَأكُلوا﴾ [سورة الحجر: ٣]، ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ﴾ [سورة طه: ١٣١]، ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ﴾ [سورة الحجر: ٩٩]"(١).

ويرى قطب أن موضوعها "إبراز طبيعة الكافرين المكذبين، ودوافعهم الأصيلة للتكذيب، وتصوير مصيرهم المخوف الذي ينتظرهم"(٢)، أما الصابوني فيرى أن محور السورة يدور حول التوحيد، وأحوال يوم القيامة، والجزاء، فبعد أن بينت دلائل التوحيد وأحوال القيامة، وإبراز المصير الذي ينتظر الكافرين المكذبين، وأوضحت وصف الأشقياء وحالهم في الجحيم، أعقبها وصف حال السعداء من أهل النعيم(٣).

وترى الباحثة أن محور السورة كما ذكر قطب هو "بيان طبيعة الكافرين المكذبين، ودوافعهم الأصيلة للتكذيب، وتصوير مصيرهم المخوف الذي ينتظرهم".

فتبدأ السورة ببيان الكلام عن الكافرين، وقدمت الحجج، وعللت ضلالهم، كما بينت مكافأة المتقين، ثم جاءت بذكر بعض قصص الأنبياء -عليهم السلام- لتكون مرغبة في الطاعة والتي

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١١، ص٣.

(٢) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص ٢١٢٢.

(٣) يُنظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م-١٤١٧هـ)، ج٢، ص١٠٣

جزاؤها الفوز في الآخرة، ومحذرة من المعاصي التي جزاؤها الخسران في الدنيا والآخرة، وفي القصص تفصيل للوعد والوعيد، ويظهر الوعد في قصة إبراهيم –عليه السلام– وما فيها من الرحمة من خلال بشارته بغلام، رغم كبر سنه، ويظهر الوعيد من خلال قصة سيدنا لوط –عليه السلام– وما فيها من تنفيذ وعيد الله للعاصين بعذاب قومه وامرأته، وأيضا في قصة أصحاب الأيكة، كما جاء القصص تسلية للنبي ﷺ حتى يتأسى بهم في صبرهم، فيصبر على ما يتعرض له ﷺ من أذى، وتضمنت نماذج للترغيب والترهيب؛ وللعظة والعبرة[١].

فمشهد مجيء الملائكة في قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– يتناسب مع محور السورة، مبينا أن قوم لوط التي كذبت وعصت أرسل الله عليهم العذاب.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

هذه السورة تواجه واقع الدعوة في وقت النزول حيث أصبح الدخول في الإسلام شاقًا بسبب شدة أذى المشركين لأصحاب النبي ﷺ ووصفه ﷺ بالجنون، فجاءت تبين لنا متطلبات الفترة الحرجة بعد عام الحزن، وما حدث للنبي ﷺ من سفهاء الطائف ورفضهم لدعوته ﷺ، وتوجه بأمر من الله أن يخبر المشركين، ويحذرهم من عذاب الله، فالآيات تهدد المشركين المكذبين وتتوعدهم،[٢] فهي تعرض عليهم مصارع المكذبين، من خلال ضرب الأمثال من الأمم السابقة لعلهم يعتبرون، وليعلموا أيضا أن الله غفور رحيم.

---

(١) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٣، ٤٤٦، ص١١٥.

(٢) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١٢١.

وكما جاءت الآيات لتسلي النبي ﷺ وتصبره على ما يلاقيه من أذى وتواسيه، وتبشره، وتبين له ﷺ أن عناد المشركين وتكذيبهم لم يكن معه وحده ولا يتعلق به ﷺ[1] ولا بالحق الذي أنزل معه فقط، ويظهر ذلك من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– التي تبين أن رحمة الله واسعة فهو لم ييأس من رحمة الله، وأن يعلم رسول الله أن جزاءهم يكون في الدنيا والآخرة.

وعدم سجود الشيطان لآدم؛ لأنه قارن طبيعته من نار وآدم من طين ولم ينظر إلى العنصر الذي أضيف إلى الطين وهو روح الله وهذا ما وقع فيه مشركو قريش من عدم رؤية نور الله فهم يعبدون أصنامًا لا تسمع، ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، بل هم أضل من إبليس في عدم السجود لآدم، فإبليس رفض أن يسجد لما رآه أدنى منه وهو الطين أما المشركون فقد عبدوا وسجدوا لمن هو أدنى منهم.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تكمن العلاقة بما يتكامل مع محور السورة من خلال الآيات السابقة واللاحقة:

- **علاقة القصة بما قبلها:**

تدور قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حول حضور الملائكة وحوارهم معه –عليهم السلام– وهو مناسب لطلب العرب من النبي ﷺ في أول السورة أن يأتيهم بالملائكة في قوله تعالى: ﴿لَو ما تَأتينا بِالمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ﴾ [سورة الحجر: ٧] وكأن قصة سيدنا إبراهيم –

(١) يُنظر: الزحيلي، وهبة مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ)، ج١٤، ص٥.

عليه السلام- تقول لهم إن الإتيان بالملائكة ليس صعبًا على الله فقد أرسلهم إلى رسله من قبل ومنهم إبراهيم -عليه السلام-[١].

جاءت الآية قبل مشهد سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿نَبِّئ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ﴾ [سورة الحجر: ٤٩] وهي تتناسب مع قصة خلق آدم -عليه السلام- حيث تبين رحمة الله تعالى مع من أطاعه، ويرى سيد قطب أن رحمة الله تظهر في مشهد بشارة إبراهيم -عليه السلام- بالغلام رغم أنه عجوز عقيم[٢].

ثم تأتي بقية الآية ﴿وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ﴾ [سورة الحجر: ٥٠] وتظهر في عذاب مع من خالف أمر الله ويظهر ذلك في عدم إطاعة الشيطان لأمره ومن تبعه إلى يوم الدين، ويرى قطب أن إخبار الملائكة لسيدنا إبراهيم -عليه السلام- بعذاب قوم لوط هو ما تتضمنه بقية الآية[٣].

وقدمت الآيات قوله تعالى ﴿وَنَبِّئهُم عَن ضَيفِ إِبراهيمَ﴾ [سورة الحجر: ٥١]، معطوفة على قوله تعالى ﴿نَبِّئ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ ۝ وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ﴾ [سورة الحجر: ٤٩-٥٠] ففيها بداية تشويق لما يأتي بعدها فمهدت بما يبعث الشوق في النفس[٤]، "وإنما قدم الأمر بإعلام الناس بمغفرة الله وعذابه ابتداء بالموعظة الأصلية قبل الموعظة بجزئيات حوادث

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، ص٢٩١.

(٢) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١٤٦.

(٣) يُنظر: قطب، سيد، **نفس المرجع السابق**، ج٤، ص٢١٤٦.

(٤) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، ص٢٩١.

الانتقام من المعاندين وإنجاء من بينهم من المؤمنين لأن ذلك دائر بين أثر الغفران وبين أثر العذاب"[١].

كما أن قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مرتبطة أيضا بقوله تعالى: ﴿وَما أَهلَكنا مِن قَريَةٍ إِلّا وَلَها كِتابٌ مَعلومٌ﴾ [سورة الحجر: ٤] جاءت هذه الآية في مطلع السورة تبين نماذج من القرى التي أهلكها الله بعد إنذارهم، وما حل بهم[٢].

- **علاقتها بما جاء بعدها في السورة:**

نجد الترابط الدقيق والعجيب في مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– التي بينت فيها تبشير الملائكة له بغلام عليم، ثم إخباره بأن الله قد أحل العذاب بقوم لوط بسبب تكذيبهم وعصيانهم[٣]، وبين المشاهد التي تبين ما فعله الله بقوم لوط، وأصحاب الأيكة وما حدث لهم بسبب تكذيبهم[٤].

وهذه الحلقة تتسم بالإيجاز وسرعة الإيقاع لتتسق مع السورة في عمومها[٥].

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئهُم عَن ضَيفِ إِبراهيمَ﴾ [الحجر: ٥١] فيها من الآيات نزول الملائكة في بيت الخليل –عليه السلام– كرامة له وآية بشارته –عليه السلام– بغلام عليم، وآية إعلام له بما سيحل بقوم لوط ونجاة لوط –عليه السلام– وآله إلا أمرأته وآية عِماية أهل الضلالة عن دلائل

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٥٧.

(٢) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١٤٦.

(٣) يُنظر: قطب، سيد، **نفس المرجع السابق**، ج٤، ص٢١٤٦.

(٤) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج٤، ص١٢٣.

(٥) يُنظر، أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٢٩١.

الإنابة، وآية غضب الله مع المستمرين في عصيان الرسل، وإن في كل هذه الآيات لآية للمؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِلمُتَوَسِّمينَ﴾ [الحجر: ٧٥] وقال تعالى ﴿إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِلمُؤمِنينَ﴾ [الحجر: ٧٧] وهو تعريض للمشركين الذين لم تردعهم العبر(١)

قال ابن عاشور: "جمع الآيات في الأول، وإفراده ثانيا في هذه الآية بأن ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم وما كان من عاقبة أمرهم كل جزء من ذلك في نفسه آية. فالمشار إليه بذلك هو عدة آيات، وأما كون قرية لوط بسبيل مقيم فهو في جملته آية واحدة"(٢).

تتضمن الآيات في مشهد سيدنا إبراهيم وأصحاب الأيكة والحجر صورًا من رحمة الله وعذابه وتظهر رحمة الله تعالى في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وبشارته على الكبر بغلام عليم ونجاة سيدنا لوط وأهله إلا امرأته، وأما عذابه سبحانه وتعالى فكان في امرأة لوط وقومه، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر وما حل بهم من عذاب أليم(٣).

تنوع الأسلوب في السورة ما بين الأمر والنهي فقد ورد الأمر من الله تعالى لنبيه ١١ مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿نَبِّئ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] كما ورد في مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى: ﴿وَنَبِّئهُم عَن ضَيفِ إِبراهيمَ﴾ [الحجر: ٥١]، كما ورد أيضا في السورة خطاب من الله للملائكة قال تعالى: ﴿فإِذا سَوَّيتُهُ وَنَفَختُ فيهِ مِن روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، كما جاء الخطاب من الله عز وجل لإبليس ﴿قالَ فَاخرُج مِنها فَإِنَّكَ رَجيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]، ثم جاء خطاب من إبليس لله تعالى وقد ورد طلب على لسان إبليس مرة

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٧٩.

(٢) ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٤، ص٧٠.

(٣) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١٤٦.

واحدة في آية واحدة قال تعالى: ﴿قالَ رَبِّ فَأَنظِرني إِلى يَومِ يُبعَثونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، كما جاء خطاب الملائكة لنبي الله لوط وقد ورد ثلاث مرات منها قوله تعالى: ﴿فَأَسرِ بِأَهلِكَ بِقِطعٍ مِنَ اللَّيلِ وَاتَّبِع أَدبارَهُم وَلا يَلتَفِت مِنكُم أَحَدٌ وَامضوا حَيثُ تُؤمَرونَ﴾ [الحجر: ٦٥]، وورد خطاب من لوط إلى قومه المعاندين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخزونِ﴾ [الحجر: ٦٩][1].

وجاء الخطاب بالنهي من الله إلى نبيه مرتين في هذه السورة قال تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلى ما مَتَّعنا بِهِ أَزواجًا مِنهُم وَلا تَحزَن عَلَيهِم وَاخفِض جَناحَكَ لِلمُؤمِنينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقد ورد النهي في خطاب الملائكة لنبي الله إبراهيم –عليه السلام– مرتين في قوله تعالى: ﴿قالوا لا تَوجَل إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَليمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، وإلى نبي الله لوط ﴿فَأَسرِ بِأَهلِكَ بِقِطعٍ مِنَ اللَّيلِ وَاتَّبِع أَدبارَهُم وَلا يَلتَفِت مِنكُم أَحَدٌ وَامضوا حَيثُ تُؤمَرونَ﴾ [الحجر: ٦٥]، كما ورد النهي في مخاطبة لوط مرتين لقومه في السورة قال تعالى: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ ضَيفي فَلا تَفضَحونِ﴾[الحجر: ٦٨][2].

- **علاقة المشاهد ببعضها:**

- مشهد الملائكة وما فيه من تبشيره بغلام رغم كبر سنه.
- مشهد إخباره بأنهم أرسلوا لقوم لوط وأنهم منجو من ءامن معه وسيحل العذاب بمن كذب.

---

(١) الفراج، عبد الله بن صالح، **بلاغة أساليب الإنشاء في سورة الحجر**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ، ص17-16.

(٢) الفراج، عبد الله بن صالح، **نفس المرجع السابق**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ، ص١٧-١٨.

وهذه المشاهد تتناسب مع محور السورة في بيان نماذج من مصارع الكافرين جزاء تكذيبهم، ونماذج لمن غشيهم الله برحمته.

تتسم الفواصل في السورة باختلافها إلا أنها تتقارب بين أوزانها وصفاتها، وجاءت الفاصلة تتوسط بين الشدة والرخاوة في حرفي الميم والنون وبما يناسب عرض السورة من إيقاع تقريري ينسجم مع سرد مقالات المشركين، وعرض الأدلة على التوحيد وعلى بطلان الشرك، ويتناسب مع القصص الذي تسرد للفت انتباه المشركين المكذبين إلى عاقبة شيعهم الأولين"[١].

وجاءت الفاصلة لفظ (العليم) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحشُرُهُم إِنَّهُ حَكيمٌ عَليمٌ﴾ [الحجر: ٢٥] جاءت صفة الله تأكيدًا على حشر الناس، وأما في قوله تعالى: ﴿قالوا لا تَوجَل إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَليمٍ﴾ [الحجر: ٥٣] وصفه لإسحاق الذي بشرت الملائكة به[٢]، تبين ما سيكون عليه إسحاق عند كبره ويصير نبيا فهي إشارة إلى علم الله بالوحي[٣].

وتنفرد هذه السورة عن غيرها من السور بأن

- وجل سيدنا إبراهيم –عليه السلام– (والوجل أشد من الخوف).
- تصف السورة مشهد عدم تصديق الخليل بقوله (مسني الكبر).
- زادت هنا صفة عدم القنوط.

---

(١) الكبيسي، خليل، المناسبات في فواصل سورة الحجر دراسة تطبيقية، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية**، السنة التاسعة، العدد السادس والثلاثون، ٢٠١٨، ص١٢.

(٢) الكبيسي، خليل، المناسبات في فواصل سورة الحجر دراسة تطبيقية، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية**، السنة التاسعة، العدد السادس والثلاثون، ٢٠١٨، ص٢٣.

(٣) الفرحان، راشد عبد الله، البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم: أول سورة الحجر، **مجلة البعث الإسلامي**، م٦٤، ع٨، ص١٥.

وقد اختلف ترتيب الحوادث في قصة قوم لوط، فقدم وصف طبيعة الملائكة؛ لأن المقصود هنا تقديم النذير وهذا ما يتناسب مع محور السورة في بيان مصارع المكذبين وأن العذاب عندما ينزل لا ينتظر.

ولفظ الوجل في القصة يبين شدة خوف سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وهذا يتناسب مع جو السورة من الخوف.

الخلاصة:

يدور محور السورة حول المكذبين، وهذه الآيات نزلت في فترة عصيبة على رسول الله ﷺ حيث تضررت الدعوة بسبب شدة أذى المشركين بعد وفاة عضده وسنده السيدة خديجة ﵂ وعمه أبي طالب، فجاءت الآيات تُصَبر النبي ﷺ وتواسيه وتبين له أن الله ينزل رحماته كما نزلها على سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، وأن الله ناصره ومؤيده.

المطلب الخامس: تأملات سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وقومه في أسرار الكون (سورة الأنعام: ٧٤-٨٣)

سورة الأنعام مكية بالإجماع، وتعد السورة الخامسة والخمسين في ترتيب النزول نزلت قبل سورة الصافات وبعد سورة الحجر[١]، "وعدد آياتها في العدد الكوفي مائة وستون وخمس، وست في العدد البصري والشامي، وسبع في المدنيين والمكي"[٢]، وتعدّ السّورة في ترتيب المصحف أول سورة مكية في (السبع الطوال) [٣]، ونزلت في آخر السنة العاشرة، بعد أن اشتد على النبي ﷺ الإيذاء من المشركين، وتعد السورة أصلا في محاجة المشركين، ومن كذب بالبعث والنشور، فساقت لنا دلائل التوحيد؛ حيث جاءت الآيات بحججها السّاطعة والبراهين القاطعة التي تخاطب الوجدان، وترهف الآذان، وتحاور العقول التي تزيد الإيمان[٤]، وقد تميزت الفترة التي نزلت فيها السورة بقسوة المشركين مع المسلمين وإنكارهم التام دعوة النبي ﷺ .

قال تعالى: ﴿وَإِذ قالَ إِبراهيمُ لِأَبيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصنامًا آلِهَةً إِنّي أَراكَ وَقَومَكَ في ضَلالٍ مُبينٍ ۝ وَكَذلِكَ نُري إِبراهيمَ مَلَكوتَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلِيَكونَ مِنَ الموقِنينَ ۝فَلَمّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأى كَوكَبًا قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلينَ ۝ فَلَمّا رَأَى القَمَرَ بازِغًا قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِن لَم يَهدِني رَبّي لَأَكونَنَّ مِنَ القَومِ الضّالّينَ ۝ فَلَمّا رَأَى الشَّمسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبّي هذا أَكبَرُ فَلَمّا أَفَلَت قالَ يا قَومِ إِنّي بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ ۝ إِنّي وَجَّهتُ وَجهِيَ لِلَّذي فَطَرَ

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص١٢٣.

(٢) الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص١٥١.

(٣) يُنظر: شحاته، عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ص٧٤؛ يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٢، ص٣٩٦.

(٤) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٣، ص٣٩٣+ ص٣٩٦.

السَّماواتِ وَالأَرضَ حَنيفًا وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ ۝ وَحاجَّهُ قَومُهُ قالَ أَتُحاجّونّي فِي اللَّهِ وَقَد هَدانِ وَلا أَخافُ ما تُشرِكونَ بِهِ إِلّا أَن يَشاءَ رَبّي شَيئًا وَسِعَ رَبّي كُلَّ شَيءٍ عِلمًا أَفَلا تَتَذَكَّرونَ ۝ وَكَيفَ أَخافُ ما أَشرَكتُم وَلا تَخافونَ أَنَّكُم أَشرَكتُم بِاللَّهِ ما لَم يُنَزِّل بِهِ عَلَيكُم سُلطانًا فَأَيُّ الفَريقَينِ أَحَقُّ بِالأَمنِ إِن كُنتُم تَعلَمونَ ۝ الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُهتَدونَ ۝ وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إِبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤-٨٣]

محور سورة الأنعام:

يدور محور السّورة الأساسي حول قضية تقرير العقيدة الصّحيحة، ويقول البقاعي أن المقصود من السورة "الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد بأنه سبحانه الحائز لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره"(١).

ويرى سيد قطب أن محور "هذه السورة يعالج قضية العقيدة الأساسية.. قضية الألوهية والعبودية.. تعالجها بتعريف العباد برب العباد.."(٢).

أما سعيد حوى فيرى أن المحور الرئيس هو إقامة الحجة على الكافرين والحوار مع المشركين شيء رئيس في السورة(٣).

---

(١) البقاعي، إبراهيم ين عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٨٧م-١٤٠٨هـ)، ج٢، ص١١٨.

(٢) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١٠١٧.

(٣) يُنظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، ج٣، ص١٦٦١.

وخلاصة القول إن محور السورة يدور حول بيان قدرة الله وتفرده بالتوحيد من خلال إبطال حججهم، فنزلت السورة تعرف العباد برب العباد، من هو؟ ما مصدر هذا الوجود؟ من يدبر الأمر؟[١] وهكذا تسير السّورة بإقامة الحجج على الكفار، ومحاورتهم في عقائدهم الباطلة، وبيان العقيدة الصّحيحة بالبرهان والأدلة العقلية القاطعة[٢].

فالسورة تعالج موضوعها الأساسي بصورة فريدة وجديدة عن غيرها من السور وهي تعرضها من خلال مجال نشأة الكون والحياة، وتبين ضلال العقائد الفاسدة بأساليب مختلفة ومنها: الأسلوب التقريري، وأسلوب الأمثال، وأسلوب الوعد والوعيد، وأسلوب القصص[٣].

ومن الأسلوب القصصي مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في إنكاره لعبادة الأصنام، وبيان أن الكواكب والنجوم والشمس لا تصلح أن تكون معبودة، ومن خلال مناظرة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لأبيه وقومه.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

يأتي السياق التاريخي للسورة ليسلي النبي ﷺ ويخفف عنه ما يحزنه من تكذيب قومه فكان نزول السورة في وقت شديد الصعوبة على الرسول ﷺ وأصحابه بعد السنة العاشرة وما حدث للنبي ﷺ من أذى صبيان أهل الطائف، ويجعل له أسوة في الرسل الذين أتوا قبله؛ فقد صبروا على ما

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٠١٧.

(٢) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٣، ص٣٩٦؛ يُنظر: الهرري، محمد الأمين، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ج٨، ص١٨٧.

(٣) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٣، ص٣٩٦.

كذبوا وتحملوا الأذى حتى تحقق وعد الله لهم بالنصر وهي سنة الله في الأرض، وأن سنة الله لا تتبدل ولا تتغير[١].

فجاء مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– يسرد جدال قومه معه بعبادتهم للنجوم والقمر والشمس من دون الله متوافقا مع جدال قريش للنبي ﷺ، فتارة يقولون نعبد إلهك عامًا وتعبد إلهنا عامًا، وتارة يطلبون أن ينزل الله ملكا رسولا، وتارة يقولون إنهم يصدقونه ولكن لا يصدقون ما أنزل عليه، وتارة يطلبون طرد جلسائه من الضعاف إذا جالسه أشراف قريش[٢]، وهكذا فالجدال كان قائما ودائما مع من كانوا قبلك من الرسل وكما كانت حجة قوم إبراهيم ضعيفة وهشة، كذلك هي حجج مشركي قريش، فقد بين سيدنا إبراهيم –عليه السلام–أن هذا الكون بشمسه ونجومه وكواكبه لابد له من مسير ومدبر واحد وهو الخالق سبحانه وتعالى، فيا قريش يا من تعترفون بإبراهيم –عليه السلام– وبفضله وقدره، مقرين بأنكم من أولاده، فهلا آمنتم بما آمن به إبراهيم –عليه السلام–! وهلا أيقنتم أن لهذا الكون إلهًا واحدًا؟!

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

علاقة القصة بما قبلها:

استهلت السورة بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى

(١) يُنظر: مهدي، رزق الله، **صفوة السيرة النبوية**، ص١١٣

(٢) يُنظر: مهدي، رزق الله، **نفس المرجع السابق**، ص١١٣.

عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١-٣].

فبدأت الآيات بذكر خلق الله سبحانه وتعالى للسماوات والأرض، وأيضا خلقه للظلمات والنور، فنجد هذه الآيات تتناسب مع آيات مشهد قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- التي فيها تدبر آيات الله تعالى في الكون واستدلاله -عليه السلام- على استحالة ربوبية الكواكب وأنها لا تصلح للعبادة(١).

وثمة علاقة لمشهد قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٧-٩]، إذ تنتقل الآيات إلى بيان تكذيب المشركين بالنبي ﷺ وعنادهم وتحديهم للرسول ﷺ بأن يأتيهم بكتاب من السماء أو ملك يكون معه نذيرا، ففي قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- تذكير لمشركي قريش وحثهم على النظر في تاريخ أبيهم وأن يهتدوا بهديه وأن يتبعوا سيدنا محمدًا ﷺ الذي صار على نهج أبيه واهتدى بهديه(٢).

وثمة علاقة أخرى لمشهد قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَومُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُل لَستُ عَلَيكُم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الأنعام: ٦٦]، فبدأت قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى (وإذ) وهو عطف على الآية السابقة والتي اشتملت على المجادلة في شأن إثبات التوحيد فعقبت بذكر أول رسول ناظر في إبطال الشرك بالحجج الواضحة، فقد جادل أباه

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، ص٢٠٥.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٢٠٦.

وقومه لإثبات التوحيد فكانت أكبر حجة على مشركي العرب تبين لهم أن أباهم لم يكن مشركًا ولا مقرًا به[١].

ومهدت الآيات ببيان ما أراه الله لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– من ملكوت السماوات والأرض وهذا يتسق مع سياق السورة، فالنجوم والكواكب والشمس، لا تصلح أن تكون آلهة، فاستدل على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته، وسعة علمه، وفي آيات السورة أدلة ساطعة على أن الله خلق السماوات والأرض[٢]، وتشمل أيضا العديد من الطرق المختلفة لإقامة الحجج، كالأسلوب الاستفهامي، والتقريري، والقصصي فناسب هذا مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في تقديم الحجة على بطلان عبادة تلك الأجرام، كما أن الآيات تبين طريق النجاة وأن هذا هو طريق كل الأنبياء[٣].

علاقتها بما جاء بعدها في السورة:

علاقة مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ كُلًّا هَدَينا وَنوحًا هَدَينا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داوودَ وَسُلَيمانَ وَأَيّوبَ وَيوسُفَ وَموسى وَهارونَ وَكَذلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٤]

لما ذكر في الآيات حجج الخليل عليه السلام في إثبات التوحيد جاء ذكر نعم الله سبحانه وتعالى وإحسانه على نبيه عليه السلام ومن هذه النعم قوله تعالى ﴿وَوَهَبنا .....﴾ [سورة الأنعام:

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٣١٠.

(٢) يُنظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج١، ص٥٧١–٥٧٢.

(٣) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٣، ص٤٨٧.

٨٤] جاءت باللفظ الدال على العظمة ليدل على عظيم العطية، فقد جعل سبحانه وتعالى من نسل إبراهيم –عليه السلام– أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل.

وفي قوله ﴿وَنوحًا هَدَينا مِن قَبلُ﴾ [سورة الأنعام: ٨٤] هي بيان كرامة إبراهيم –عليه السلام– فهدايته كما كانت في الآباء، امتدت للأبناء إلى ذريته من الأنبياء[١] ولم يكن ذكرهم مراعيًا للترتيب الزمني فإن وجه الترتيب أن الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الكرامة.

﴿وَوَهَبنا﴾ تفيد تكرمه وتفضله سبحانه وتعالى على إبراهيم –عليه السلام– فقد وهب له يعقوب من ابنه إسحاق في حياته فكان قرة عين لإبراهيم عليه السلام[٢].

وقال تعالى: ﴿ كُلًّا هَدَينا﴾ وذكر هديهما تفيد الهداية لإسحاق ويعقوب –عليهما السلام– أنهما نبيان نالا هدى الله سبحانه وتعالى كهديه لإبراهيم –عليه السلام–[٣].

ونوحا هدينا من قبل: تنبيه على أن الهداية متأصلة في أصول إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهما السلام[٤].

أما علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوله تعالى ﴿لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] فقد بينت الآيات في قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– جهل قومه في عبادة الكواكب حيث إنهم يعبدون ما يحتجب عنهم فقوله لأبيه لم

---

(١) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٦، ص٣٥٩.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٣٣٧.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج٧، ص٣٣٧.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج٧، ص٣٣٨.

تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فالكوكب والقمر والشمس يتحولون من حال إلى حال فبعد الظهور ينتقل إلى خفاء واحتجاب وهذا لا يليق بإله يعبد فالإله المستحق للعبادة وحده لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف خبير[١].

جاءت الآيات تعرض أسماء الرسل بدءًا من سيدنا نوح عليه السلام مرورا ببعض الرسل إلى سيدنا محمد خاتم النبين، فيعرض السياق ذكر أسماء الرسل وبخاصة الممتدة والموصولة بسيدنا إبراهيم وبنيه، ولم تُعرض بالتسلسل التاريخي، وقد ذكر فيها ١٧ نبيًا ورسولاً[٢]، "وهذا الفصل القصصي عن الأنبياء جاء حسب النظم القرآني، والذي اقتضته حكمة التنزيل بحيث يقال إن هذه الآيات جاءت خاتمة للفصول السابقة، والتي تشمل نقاش حجج الكفار، ومواقفهم وتحيزاتهم"[٣]، ثم جاءت التعقيبات تبين أن الله اصطفاهم وهداهم إلى الطريق المستقيم، وكل هذا تمهيد لتقرير ما يأتي:[٤]

١. أن الله تعالى يهدي من يشاء.

٢. أن هؤلاء الرسل هم الذين آتاهم الله الكتاب والحُكم والنبوة.

٣. أن هؤلاء الذين هداهم الله فبهداهم اقتد.

ومعلوم أن الله لم يترك الناس لأنفسهم وعقولهم، إنما اقتضت سنة الله ورحمته أن يرسل أنبياء ورسلًا إلى الناس، فأرسل سيدنا محمد ﷺ إلى قومه ليحاورهم ويدعوهم إلى عبادة الله ويعيدهم

---

(١) يُنظر: الهرري، محمد الأمين، **حدائق الروح والريحان**، ج٨، ص٤٢٤.

(٢) يُنظر: قطب، سيد ، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١١٣٧و١١٤٣.

(٣) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٤، ص١١٥.

(٤) يُنظر: قطب، سيد ، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١١٤٤.

إلى فطرتهم السليمة، حتى يهتدوا إلى ربهم كما أرسل سيدنا إبراهيم والأنبياء –عليهم السلام– من قبل، المذكورين في السورة.

علاقة المشاهد ببعضها:

- مشهد تأمل سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في ملكوت السماوات.
- مشهد إقامة الحجة على قومه.

وهما يتناسبان مع محور السورة في بيان تفرد الله بالتوحيد وإبطال حجج الكافرين.

وانفردت سورة الأنعام بأمرين:

الأول: أنه لم ترد أية قصة في السورة سوى مشهد من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فلم يذكر قصصًا قبلها ولا بعدها.

والثاني: أن قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في السورة انفردت بذكر مشهد التأمل في ملكوت السماوات والأرض، حين نظر إلى الكواكب ثم إلى القمر، ثم إلى الشمس، والتبرؤ من عبادتها[1].

جاءت الفواصل في السورة أغلبها ب(ون) و(ين) وهي فواصل تناسب مع جو السورة الذي اتسم بالهدوء والصبر في المجادلة، كما جاءت فواصل منتهية ب (م) تأتي في سياق صفات الله المتفردة بالعلم والرحمة ووصف الصراط المستقيم، وأما المنتهية ب(ر) و (ل) و (ظ)، فجاءت في

---

(١) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٤، ص١١٧.

الحديث عن صفات الله المتفرد بالعزة مثل الحكيم والوكيل والعليم والحفيظ على عباده والرحمن الرحيم[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذ قالَ إِبراهيمُ لِأَبيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصنامًا آلِهَةً إِنّي أَراكَ وَقَومَكَ في ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤] بينت الآية قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من باب تذكير المشركين بأبيهم الذين يزعمون أنهم على ملته حين أنكر على أبيه وقومه شركهم جاءت الفاصلة تقر انحرافهم عن الطريق الصحيح وعن الحق بشكل واضح فدلت الفاصلة على أن عبادة غير الله موصلة للهلاك[2] فعلاقة الفاصلة بما قبلها هي التمكين فما قبلها مهد لها[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ نُري إِبراهيمَ مَلَكوتَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلِيَكونَ مِنَ الموقِنينَ ۝ فَلَمّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأى كَوكَبًا قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلينَ ۝ فَلَمّا رَأَى القَمَرَ بازِغًا قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِن لَم يَهدِني رَبّي لَأَكونَنَّ مِنَ القَومِ الضّالّينَ ۝ فَلَمّا رَأَى الشَّمسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبّي هذا أَكبَرُ فَلَمّا أَفَلَت قالَ يا قَومِ إِنّي بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ ۝ إِنّي وَجَّهتُ وَجهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرضَ حَنيفًا وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٥–٧٩] بينت مناظرة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لقومه حيث بين لهم بطلان ما يعبدون من الأوثان والأجرام السماوية متبعا في ذلك أسلوب الاستدراك في الدعوة فجاءت الفاصلة تبين الحقيقة الدامغة التي أراد أن

---

(١) يُنظر: المحارقري، إيمان محمد أحمد، **بلاغة الحجاج في سورة الأنعام**، رسالة ماجستير، كلية اللغات، (اليمن: جامعة صنعاء، ٢٠٠٨–٢٠٠٩م)، ص٢٧٤.

(٢) يُنظر: رضا، رشيد، **تفسير المنار**، ج٧، ص٤٦١.

(٣) يُنظر: عقيلان، طارق، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، رسالة ماجستير، (غزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م–١٤٣٠هـ)، ص٩١.

ينصحهم بها فلا مستحق للعبادة سوى الله تعالى، وجاءت الجملة الثانية من الفاصلة مبينة ما يستلزمه التوحيد بعدم الاشراك بالله تعالى في العبادة فعلاقة الفاصلة هي التمكين(١).

نجد في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– التدرج مع قومه في إبطال الشرك فبدأ معهم بالنظر إلى الكوكب وقال هذا ربي فلما أفل صرح بأنه لا يحب الآفلين، فلا يصح أن يعبد، ثم انتقل في يوم آخر إلى القمر حيث إنه أكثر نورا وقال هذا ربي تمهيدا لإبطاله أيضا كما أبطل عبادة الكوكب وصرح بأنه إن لم يهديني ربي لأكونن من الضالين، وفي هذا تعريض يقترب من التصريح بضلال قومه وفي المرة الثالثة تحول من التعريض إلى التصريح بالبراءة مما يعبدون والتصريح بأن قومه على الشرك(٢).

الخلاصة:

يدور محور السورة حول بيان قدرة الله تعالى، وتقديم الحجج على ذلك، والسياق التاريخي في السورة يبين جدال المشركين مع الرسول ﷺ في عبادة الله وحده، كما كان حال قوم سيدنا إبراهيم – عليه السلام–، أما عن السياق النصي للقصة فلم يسبقها ولم يليها قصص للأنبياء، بينما ذكر مشهد التأمل في الكون والتبرؤ من أي شريك مع الله، وهذا ما انفردت به هذه السورة.

---

(١) يُنظر: عقيلان، طارق، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، رسالة ماجستير، ص٩٢.

(٢) يُنظر: الهرري، محمد الأمين، **حدائق الروح والريحان**، ج٨، ص٤٢٥.

المبحث الثاني: علاقة قصة سيدنا إبراهيم بالسياق في السور المنزلة في مرحلة المكي الثاني (ما قبل هجرة الرسول ﷺ)

سأتناول في هذا المبحث السور التي نزلت على الرسول ﷺ قبل هجرته إلى المدينة وهي سور الصافات والذاريات، وإبراهيم، والأنبياء، والعنكبوت.

وسأدرس من خلال هذه السور قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وبيان ارتباطها بمحورها الرئيس وعلاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق، وبيان أوجه الانفرادات.

المطلب الأول: نصرة الله تعالى لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– على قومه، (سورة الصافات من آية ٨٣ إلى آية ١١٣)

سورة الصافات مكية بالإجماع، عدد آياتها إحدى وثمانون ومئة آية، وهي السورة السابعة والثلاثون حسب ترتيب المصحف بعد سورة يس وفي تعداد ترتيب النزول هي السادسة والخمسون، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان(١).

وتشتمل السورة على عدة موضوعات وهي: الدعوة إلى وحدانية الله تعالى، وإثبات الميعاد، وتتناول أحوال المؤمنين، وأحوال المشركين، وجزاء الفريقين يوم القيامة، ثم تعرض السورة تنظير دعوة سيدنا محمد ﷺ قومه بدعوة الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم (نوح– وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق – وموسى وهارون – وإلياس– ولوط – ويونس) ونصرة الله لهم، ورفع شأنهم، كما ناقشت فساد عقائد المشركين، وبيان سنة الله في نصرة عباده وجنده(٢).

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٣، ص٨١.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج٢٣، ص٨١– ٨٢.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۝ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۝ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [سورة الصافات: ٨٣-١١٣].

محور سورة الصافات:

يدور محور السورة الرئيس عند سيد قطب حول معالجة صورة من صور الشرك وهي زعم كان موجودًا في البيئة العربية أن هناك قرابة بين الله والجن، وتتناول السورة جوانب أخرى من العقيدة(١).

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٩٨١.

وأما حبنكة فيرى أن محور السورة الرئيس حول أركان الإيمان، وخاصة القضية التي أرسل من أجلها الرسل، وهي الدعوة إلى التوحيد بالحجة والبرهان، وأيضا الإيمان والتصديق بالرسل، ويظهر ذلك جليا في قصص الأنبياء، ومن المشاهد التي تضمنتها السورة مشهد سيدنا إبراهيم – عليه السلام– ودعوة أبيه وقومه لترك عبادة الأوثان، وتوحيد الله، بالحجة والبرهان، فما كان من قومه إلا أن آذوه بإلقائه في النار، فلم يتركه الله وجاءت نجاة الله له[١]. ونصرة الله للمؤمنين وامتنانه عليهم[٢].

ويرى طهماز: أن محور السورة يبين مقام العبودية لله، ثم يقارن بين مصير المكذبين المعرضين ومصير الطائعين لله المنقادين له[٣].

ويرى صاحب كتاب الأساس أن محور السورة يدور حول وحدانية الله عز وجل من خلال التعريف بالله وما تحتاج تلك المعرفة من مواضيع متعلقة بها مثل الإيمان بالغيب[٤].

وترى الباحثة أن محور السورة يدور حول وحدانية الله عز وجل، من خلال بيان عجز وضعف ما يعبدونه من دون الله، وتعرض أصحاب الدعوة إلى توحيد الله للابتلاء وصبرهم على ذلك، ثم يأتي نصر الله لهم، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا مع سياق قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حين دعا قومه إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام ونبذ الشرك[٥].

---

(١) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٦، صـ٣٦٢.

(٢) يُنظر: حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١١، ص٥٤١–٥٤٣.

(٣) يُنظر: طهماز، عبد الحميد محمود، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م)، ج٧، ص١٣١–١٣٢.

(٤) يُنظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، ج٨، ص٤٦٧٩.

(٥) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٦، ص٣٨٩.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

ذكر في السورة ست قصص تتحدث عن الرسل مع أقوامهم، وفي كل قصة شبه بحال الرسول ﷺ.

فالنبي ﷺ تلقى الإيذاء الكثير من قريش كما تلقى الأنبياء السابقون الأذى من قومهم، فالآيات جاءت تخبره أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تعرض للإيذاء والابتلاء حتى وصل بهم الجحود والإنكار والضلال ببنيان صرح لإلقائه في النار، ولكن تأتي هنا قدرة الله ليحول المحنة إلى منحة، كما جاءت الآيات أيضا لتسليه النبي ﷺ من خلال قصة الذبح والفداء[١] وما فيها من ابتلاء وعناية الله بهما فهذه السورة نزلت بعد رحلة الإسراء والمعراج والتي من خلالها أراد الله أن يخفف على النبي ﷺ.

يقول صاحب الظلال: " يعرض فيها قصة الهدى والضلال منذ فجر البشرية الأولى فإذا هي قصة مكررة ومعادة، وإذا القوم الذين يواجهون الرسول ﷺ في مكة بالكفر والضلال بقية من أولئك المكذبين الضالين.... وَيُطَمّئِنُ المؤمنين برعاية الله لهم، والتي لم تتخل في الماضي عن المؤمنين"[٢].

والآيات تمهد لهجرة النبي ﷺ من خلال ذكر قصة سيدنا إبراهيم–عليه السلام– ويرى القرطبي أنه: حين خَلص الله سبحانه وتعالى الخليل من النار قال إني ذاهب إلى ربي أي مهاجر من بلدي الذي ولدت فيه إلى بلد أستطيع أن أعبد الله فيه[٣]، فإن كانت مكة أحب البلاد إليك يا

---

(١) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٦، ص٣٩٠.

(٢) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٩٩٠.

(٣) يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ج١٥، ص٩٧.

رسول الله إلا أن أهلها يضيقون عليك وعلى أصحابك في إقامة شرائعكم، فلابد من التضحية بهذه الهجرة لنشر هذا الدين، ولإعلاء كلمة الله في الأرض، وجعلها هي العليا، فكانت بعدها هجرته ﷺ إلى المدينة.

وذكر القرطبي أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– يعتبر أول من هاجر من البشر مع سيدنا لوط –عليه السلام–[١]

وفي قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تبيين مسيرته الدعوية والجهادية، وتتضمن طمأنينة للرسول ﷺ بأنه مؤيد من ربه، ومنصور لا محالة، كما نصر الله سبحانه وتعالى إبراهيم –عليه السلام– من قبل[٢].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تأتي القصص بتناسقها الرائع لتترابط وتتلاحم بين بعضها:

- **فكانت علاقة القصة بما قبلها:**

استهلت السورة بذكر قسم الله بالملائكة على وحدانيته، ثم تأتي بعض الأدلة على ربوبية الله تعالى، وهذا ما يتناسب مع الحلقة الأولى من مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– والتي فيها دعوته إلى قومه لعبادة الله وحده وتكسيره لأصنامهم[٣].

---

(١) يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ج١٥، ص٩٧.

(٢) يُنظر: حبنكة، **معارج التفكير ودقائق التدبر**، ج، ص٥٩٦. بتصرف يسير.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٨٢.

علاقة مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بصفات عباد الله الصالحين [سورة الصافات: ٤٠– ٥٢].

فنجد أن هذه الآيات تعرض مشهد عباد الله المخلصين وما أعده الله لهم من ألوان النعيم، وهذا ما يتناسب مع الحلقة الثانية من مشهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– والتي فيها تبشيره بسيدنا إسماعيل –عليه السلام– جزاء له، فقد وصفه الله تعالى أنه جاء بقلب سليم ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات: ٨٤][١]، وهو وصف يناسب وصف المخلصين من عباد الله.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا نوح –عليه السلام–:

فجاءت قصة سيدنا نوح –عليه السلام– مع قومه باعتباره أول الرسل من أولي العزم، وكأنها تمهد لتفاصيل قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع قومه والتي هي أشد وثوقًا بالعرب، لما بين العرب وإبراهيم عليه السلام من صلة النسب والدم[٢].

ونجد الترابط البديع بين المشهدين والصلة الوثيقة بين الأنبياء حيث تبين النجاة والبشارة:

ففي قصة سيدنا نوح –عليه السلام– نجاه الله من الغرق، وفي قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– نجاه الله من النار، وبشره بإسحاق نبيا من الصالحين[٣]، ويرى البقاعي: وكان أشهر أمر لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– النار التي هي ضد أشهر أمر لسيدنا نوح –عليه السلام– الماء[٤].

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٨٢.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٨٣.

(٣) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٦، ص٣٨٤.

(٤) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٦، ص٢٥٢. بتصرف يسير.

ويرى صاحب الظلال أن ذكر قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بعد سيدنا نوح –عليه السلام– لما بينهما من صلة في العقيدة والدعوة والطريق، فسيدنا إبراهيم –عليه السلام– من شيعة نوح رغم تباعد الزمن بينهما(١).

- **علاقة القصة بما بعدها في السورة:**

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا موسى –عليه السلام–:

جاءت قصة سيدنا إبراهيم وموسى –عليهما السلام– ببيان النجاة والبشارة:

فذكرت السورة أن سيدنا موسى وهارون –عليهما السلام– مَنَّ الله عليهما بالنبوة، ونجاهما من الغرق، وأيضا في مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– نجاه الله من النار وبشره بإسحاق نبيا من الصالحين(٢).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا يونس –عليه السلام–:

جاءت قصة سيدنا يونس وإبراهيم –عليهما السلام– لاشتراكهما في الابتلاء وتجردهما لربهما وإخلاصهما له:

فالسورة تناولت مشهد سيدنا يونس –عليه السلام– وهو يسبح ربه ويناجيه وهو في ظلمات البحر، وظلمات بطن الحوت؛ لأنه يعلم أنه لا نجاة له مما هو فيه من ابتلاء إلا باللجوء إلى الله تعالى، فكانت النتيجة أن نجاه الله مما هو فيه، أما حلقة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فتظهر فيها عظمة الإيمان وأعلى صور الطاعة والاستسلام الخالص لله، وأعلى مراتب التضحية من خلال

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٩٩٢.

(٢) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٦، ص٣٨٤.

الانقياد لله تعالى عندما رأى الخليل في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل –عليه السلام– فالتزم أمر ربه، وهذا لا يتم إلا بالإيمان الخالص وطبيعة الإيمان الحقيقي في نفس سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهما السلام– [1].

ثم تظهر عناية الله لهما بعد أن استسلما وانقادا لأمره سبحانه وتعالى، بأن أنزل الله كبشا عظيما، حتى يذوقا حلاوة ولذة استسلامهما وطاعتهما لله.

وقد ورد في الآيات ستة من الرسل وكان اختيارهم؛ لأن سيدنا نوح –عليه السلام– القدوة الأولى، وسيدنا إبراهيم –عليه السلام– رسول الملة الحنيفية، وسيدنا موسى –عليه السلام– لشبه شريعته بالشريعة الإسلامية، فهؤلاء الرسل الثلاثة أصول ثم يأتي بعد ذلك ثلاثة رسل تفرعوا عنهم وهم على ملة سيدنا إبراهيم وموسى –عليهما السلام– فسيدنا لوط –عليه السلام– على ملة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، وسيدنا آل ياس ويونس –عليهما السلام– على ملة سيدنا موسى –عليه السلام–[2].

- **علاقة المشاهد ببعضها:**

تبين المشاهد الترابط العجيب بينها فجاءت على النحو التالي:

- مشهد حواره مع أبيه وقومه.
- مشهد بناء البنيان لإلقائه فيه، ونجاته منه.
- مشهد قصة الذبح.

---

(١) يُنظر: شحاته، عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ص٣٣١.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٣، ص١٣٠.

فيأتي تناسق السياق مع محور السورة والذي يدور حول أمرين الأول الابتلاء، والثاني عناية الله للمؤمنين، وجاءت القصص مترابطة ولها هدف واحد ورسالة واحدة، فكل رسل الله دعوا أقوامهم إلى التوحيد ونبذ الشرك(١).

وتنوعت الأساليب المستخدمة في السورة من استفهام ونداء وغيرها ومنها:

أسلوب النداء في السورة من الله لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– تشريفا وتكريما له في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٤–١٠٥]، واستخدم أداة البعيد حتى تشعره بعلو المنزلة ومشيرا إلى ما يعانيه من آلام الابتلاء، وأيضا جاء نداء سيدنا إسماعيل –عليه السلام– لأبيه في أشد ساعات المحن بأسلوب رقيق معبرا عن الصبر وطاعته لله في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢]، واستعمل أداة البعيد لتشير إلى انشغال الأب بالمحنة حيث نبه بأقوى الأدوات(٢)، وأيضا جاءت الآية باسم الموصول (ما) محكي عن سيدنا إسماعيل –عليه السلام– لتدل على رضاه التام عما يفعله والده؛ لأنه أمر الله(٣).

وجاء أسلوب الاستفهام في السورة محكيا عن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في آيات عديدة قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٩٩٢.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٧٠.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥١٨.

الْعَالَمِينَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٨٥-٩٥].

فالاستفهام في الآيات السابقة ما بين الإنكار والتوبيخ والتعجب والاستهزاء والتهكم والتحقير من فعلهم الذي يناقض العقل، وأن الأصنام لا تستطيع أن تأكل(١).

وجاء استعمال الاستفهام في هذه السورة بالاستفهام المجازي، ولعل السر في ذلك أن الخطاب في مجمله موجه للمشركين والرد عليهم(٢)، إلا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] جاء الاستفهام في معناه الحقيقي؛ ليشير إلى الاطلاع على رأيه وليعلم موقفه ومدى صبره على تنفيذ هذا الأمر(٣).

وجاء التكرار في المشهد في قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الصافات: ١١٠] ليبين الجزاء، ففي الآية الأولى جاء بعد نداء الله تعالى لإبراهيم -عليه السلام- للكف عن ذبح ابنه لأنه نفذ أمر الله فاستحق هذا الجزاء، أما في الآية الثانية جاءت بعد إبقاء السلام على إبراهيم -عليه السلام- فهو محسن مستحق هذا الجزاء(٤).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، ص٥٥٠-٥٥٣،٥٥١.

(٢) يُنظر: أبو حميد، محمد صلاح زكي، أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في سورة الصافات: دراسة أسلوبية، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، الكويت، مجلد ٣٢، العدد ١٢٥، سنة ٢٠٢٤.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، ص٥٥٢.

(٤) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٩٣.

وجاء مشهد الأصنام في هذه السورة مع زيادة بسط عما جاء في سورة الأنبياء[١].

وأيضا انفردت السورة بلفظ قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات:٩٨] وقد ناسب اللفظ سياق السورة فجاء قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، أي بنوا له بنيانًا عاليًا وأشعلوا نارا عظيمًا، ورفعوه ورموه من أعلى هذا البنيان إلى أسفله فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من الأسفلين[٢]، وخص بهذا اللفظ ليفيد القصر بأنه يخصهم دون غيرهم[٣].

وانفردت السورة عن غيرها من السور التي تناولت مشهد بناء البنيان، وإلقائه فيه –عليه السلام– وقصة الذبح التي اشتملت على الابتلاء وعناية الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– وابنه إسماعيل رغم الاختلاف في الأسلوب فنجد أن ما ورد في هذين المشهدين قد تناسب مع محور السورة وسياقها من بيان الإيمان بأركان الإيمان ونصرة الله تعالى وعنايته بمن يخلص لله ويسلم نفسه لخالق الخلق ومدبر الكون.

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٦٠٦. في سورة الصافات من آية ٩١–٩٣، أما ما جاء في سورة الأنبياء في آية واحدة ٥٨.

(٢) يُنظر: النيسابوري، نظام الدين الحسن، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ)، ج٥، ص٣٤.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٤٣.

الخلاصة:

تعد سورة الصافات من السور التي جاءت بعد الجهر بالدعوة بفترة، فنزلت بعد العام العاشر من الدعوة، ويدور محورها الرئيس حول وحدانية الله عز وجل وبيان صبر الأنبياء على الابتلاءات ونصر الله عز وجل لهم.

فتكمن علاقة القصة بالسياق التاريخي في:

- أن النبي ﷺ تعرض للابتلاءات من قريش كما تعرض الأنبياء السابقون للأذى من أقوامهم.
- طمأنة النبي ﷺ أن التكذيب الذي يلقاه في مكة هو امتداد للأمم السابقة المكذبين مع الأنبياء السابقين، وأن الله لا يترك عباده الصالحين.
- تمهيد للنبي ﷺ للهجرة من خلال ما ذكر أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– هاجر مع زوجته وابنه إسماعيل، عندما ضيق قومه عليه، فيا رسول الله لا تحزن فقد سبقك أبو الأنبياء، وعوضه الله ونصره.

أما علاقة القصة بالسياق النصي للسورة فهي علاقة تكاملية فكل القصص تبين البشارة أو الابتلاء.

- قصة سيدنا نوح وموسى عليهما السلام يبينان النجاة والبشارة.
- قصة سيدنا يونس –عليه السلام– تبين جانبين الابتلاء والنجاة.
- أما قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فتبين الجانبين معًا البشارة والنجاة والابتلاء.

وانفردت السورة بذكر مشهد بناء البنيان، ومشهد الذبح دون غيره من المشاهد ليتناسب مع سياق السورة ومحورها.

المطلب الثاني: قصة ضيف إبراهيم ومهمتهم في إهلاك قوم لوط ودلائل القدرة الإلهية (سورة الذاريات: ٢٤ – ٣٧)

سورة الذاريات مكية[١] بالإجماع[٢]، ونزلت بعد سورة الأحقاف وقبل سورة الغاشية، وتعد السادسة والستين في ترتيب النزول، وعدد آياتها ستون آية[٣].

وهي السورة الثانية من السور السبع (ق – الذاريات – الطور – النجم – القمر – الرحمن – الواقعة) التي تثبت الرسالة والقرآن العظيم، كما أنها نذير لمن أشرك بالله تعالى وكذب رسله صلوات الله وسلامه عليهم وما أنزل معهم من كتب ثم تخبر عن جزائهم[٤].

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

---

(١) يُنظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)**، ج٩، ص٣٧٢

(٢) يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)**، ج٥، ص١٧١؛ يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ج١٧، ص٢٩.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٣٣٥.

(٤) يُنظر: الفراهي، عبد الحميد، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، (الهند: مدرسة الإصلاح، ط١، ٢٠٠٨م)، ص١١٩-١٢٠.

غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [سورة الذاريات: ٢٤-٢٧].

محور سورة الذاريات:

يدور محور السورة حول البعث والجزاء، حيث قال الفراهي: في هذه السورة "جعل عمودها جهة الدينونة والجزاء بدأها بالشهادات عليها وصرح بها"(١)،

وقد احتوت السورة على موضوعات عدة وهي: وقوع البعث والجزاء، وإبطال مزاعم وحجج المكذبين بالله ورسوله ﷺ، ووعيدهم بالعذاب، ثم تتحدث الآيات عن وعد المؤمنين بالنعيم، والاستدلال على أن البعث واقع لا محالة، وتبين قدرة الله وعظمته في إعادة خلق الإنسان بعد الفناء، وبيان نماذج من الأمم السابقة التي كذبت رسل الله، وبيان ما حل بهم، ودعوة المكذبين إلى الرجوع إلى الحق بالإيمان بالله وتصديق محمد ﷺ وترك الشرك وإلا سيحل بهم ما حل بأمثالهم من الأمم السابقة(٢).

فجاءت بداية السورة تتحدث عن البعث وتبين جزاء من كذب وجحد، وفي المقابل جزاء من آمن واهتدى فذكرت صفات المتقين وأعمالهم الصالحة، ثم ذكرت السورة لقطات سريعة من قصص الأنبياء وهم: سيدنا (إبراهيم – لوط– موسى– نوح) عليهم السلام ثم بينت فيها من دلائل قدرة الله بما يتناسب مع المحور الرئيس للسورة، وفيها تثبيت لفؤاد النبي ﷺ عما يلاقيه من إنكار

---

(١) الفراهي، عبد الحميد، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ص١٢٠.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٣٣٦.

رسالته، كما تحذر كفار قريش من كفرهم وإنذار المكذبين الضالين من سوء المصير، وبشارة للمؤمنين المتقين بالنجاة والفلاح[1].

وقد غلب على هذه السورة الإنذار فلم يذكر جانب الرحمة بالتصريح، كما تبين أن الله لم يخلق الخلق عبثا.

يرى سعيد حوى أن محور السورة يدور حول الخمس آيات الأولى من سورة البقرة قال تعالى: ﴿الم ۝ ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وترى الباحثة أن محور السورة يدور حول البعث والجزاء وتبين الآيات سوء مصير المكذبين وتبشر المؤمنين بالهدى والفلاح.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

نزلت هذه الآيات بعد حدوث بيعة العقبة الأولى وجاءت الآيات بطلب وتسلية وتوصية[3]:

فكان الطلب بتوجيه النبي ﷺ أن يطلب من غير المؤمنين أن يفروا من الكفر إلى الإيمان؛ لأن الكفر موجب لسخط الله وغضبه، مما يؤدي إلى تعذيبهم وإهلاكهم، وأن يلجؤوا إلى الله تعالى بالإيمان بوحدانيته، ويعلموا أنه إله لا شريك له في ألوهيته، وأنه رب لا شريك له في ربوبيته.

---

(١) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٣٣.

(٢) يُنظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، ج١٠، ص٥٥٠٦.

(٣) يُنظر: حبنكة، **معارج التفكير ودقائق التدبر**، ج١٣، ص٢١٩.

فجاء مشهد الخليل –عليه السلام– مع الملائكة حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم مجرمين لتدميرهم ولإهلاكهم لاستمرارهم على الكفر والبغي كما أنه سينجي الله المؤمنين الطائعين لله سبحانه وتعالى.

وفيها تسلية للنبي ﷺ بما حدث للأمم السابقة فلا يحزن من الذين يؤذونه من كبراء قومه، بأفعالهم، وأقوالهم.

وتوصي النبي ﷺ بألا يلقي بالا للمعاندين الذين لن يؤمنوا وميؤوس من إصلاحهم، وأن يجعل دعوته لمن يرجو إسلامه، حتى لو رجاءً ضعيفًا، وفيها تهيئة للنبي ﷺ للهجرة بعد أن اشتد إيذاء قومه له ولأصحابه وأصبحوا يضيقون عليهم.

حيث ذكر الطبري: إن القصة جاءت لتخبر النبي ﷺ أن من أصر على الكفر وتمادى فيه سيحل به ما حل بالأمم السابقة، فهو إنذار وإخبار لقريش[1].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تترابط الآيات بالسابق واللاحق من الآيات فيتبين لنا التناسق:

- **فكانت علاقة القصة بما قبلها:**

استهلت السورة بآيات الله الكونية وصدق وقوعها، ثم ذكرت المكذبين الذين ينكرون يوم الدين حتى فاجأ هم ذلك اليوم وفيه يذوقون العذاب الأليم، ثم عرضت أعمال المتقين وثواب المتقين العظيم، فتأتي قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لتتسق مع بداية السورة حيث عرضت هلاك قوم

(١) ينُظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م–١٤٢٠هـ)، ج٢٢، ص٤٢٤.

لوط وما سيحل بهم من شدة العذاب وأيضا ذكر جزاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لتقواه حين بشروه بغلام عليم[1].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم بقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات: ٢٠-٢٢].

لقد بينت الآيات أن في الأرض آيات للموقنين تدل على رحمة الله سبحانه وتعالى ونعمه بما يرزق به العباد، وإذا نظرنا للآية قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢]، نجدها تشتمل على الرحمة والإنذار معًا، وآيات أخرى فيها ما يدل على غضب الله تعالى فيما ذكر من عذاب المجرمين، فكان الإنذار هو الغالب في السورة ولم يذكر جانب الرحمة بالتصريح[2]، وهذا يظهر جليا في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– والتي اشتملت على قصة سيدنا لوط –عليه السلام–، وفي القصة ظهرت رحمة الله تعالى على سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من خلال تبشيره بغلام عليم، فقد رزقه الله هو وامرأته بغلام لم يتوقعه أحدٌ منهم ولم ينتظره، كما ظهرت أيضا النقمة والإنذار لقوم لوط، وما حل بهم من عقاب وعذاب.

- **علاقة القصة بما بعدها في السورة:**

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا موسى –عليه السلام–:

نجد آيات قصة إبراهيم –عليه السلام– مرتبطة بالآيات التي تليها في قصة سيدنا موسى –عليه السلام– والتي تناولت نصر الله للمؤمنين وانتقامه سبحانه وتعالى من المشركين، حيث

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٣٠٤.

(٢) يُنظر: الفراهي، عبد الحميد، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ص١٢٠-١٢١.

عقبت ما حدث لقوم لوط بقصة موسى وفرعون لما بينهما من تناسب، حيث إن عذاب قوم لوط وفرعون عذابٌ أرضي، فقوم لوط عذبوا بالحجارة، وعذاب فرعون وقومه بالغرق في البحر[١].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالأمم الأربعة:

نجد قصة سيدنا لوط –عليه السلام– تأتي في ثنايا قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وفيها إخبار الملائكة له بعذاب قوم لوط ثم تلتها بيان عذاب الأقوام الآخرى وهم قوم فرعون وعاد وثمود فكان عذابهم من أسباب وجودهم وهو التراب والماء والهواء والنار، فقد عذب الله قوم لوط وفرعون بالعذاب الأرضي، وقوم عاد وثمود بالعذاب السماوي[٢].

علاقة المشاهد ببعضها:

- مشهد الملائكة والبشارة.
- مشهد إخبار الملائكة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– عن عذاب قوم لوط.

وهذه المشاهد تتناسب مع محور السورة حول البعث والجزاء لمن ءامن ومن كفر.

وتنوعت الأساليب المستخدمة في السورة ومنها:

أسلوب الاستفهام وقد ورد من جانب الله في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] ليفيد التشويق واختيرت هل؛ لأنها أعلى تنبيهًا وأقوى إيقاظا لما يليها[٣].

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص١٠.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج٢٧، ص١٦.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٤٨.

وأيضا جاء أسلوب الاستفهام محكيا عن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٣١] وهو استفهام حقيقي خص من الخليل –عليه السلام– للملائكة عن سبب مجيئهم(١)، وقوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] الاستفهام هنا يفيد الإنكار أي أنكر عليهم ترك الطعام(٢).

وأما الحذف فجاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩] ليفيد ضيق صدرها وشدة الأمر عليها بعد تبشيرها، وأيضا في قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٧–٢٨] ليفيد المسارعة في وصف الحال، وما حدث له من الخوف(٣) وقدم المخوف منه على المخيف في حواره مع الملائكة ليبين أن سبب خوفه ليس من قومه وإنما من الملائكة(٤).

تأتي الفاصلة في أغلب السورة تنتهي ب(ون) أو (ين) وتسمى بالأصوات الذلاقية،

أي تتصف بالخفة والسلاسة في النطق، وإن كانت (ون) هي الأكثر تواترًا في هذه السورة والتي تعطيه جرسًا موسيقيًا عذبًا(٥).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٥٣.

(٢) يُنظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٤، ص٤٠١.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٨٥–٥٨٦.

(٤) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٢٨.

(٥) يُنظر: عموري، نعيم، **دراسة أسلوبية في الصوت والتكرار في سورة الذاريات**، جامعة شهيد، ص٧و١٢.

وقد انفردت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في سورة الذاريات ببيان معاني الطمأنينة والإكرام، ويظهر ذلك في رد سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، ووضع عجل سمين وتقريبه إليهم[١]،

جاء لفظ سمين ليتناسب مع سياق الآيات فلم ترد البشرى في السياق إنما كان وصف دخول الملائكة، وجاء وصف سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بأنهم قوم منكرون، فناسب عجل سمين؛ لأنه لم يكترث بنوعية الطعام، وإنما بكميته[٢].

وعند التأمل في السياق نجد أن سورة الذاريات ذكر فيها مشهد آداب الإكرام من حيث ردهم للسلام بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت، وإكرامهم بنفسه، وسرعة إحضار الطعام، وتقريب الطعام لهم عند عدم أكلهم، ثم سؤالهم ألا تأكلون ولم يسألهم لماذا جئتم وإنما أكرمهم وأخفى الخوف في نفسه[٣].

وقد انفردت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في سورة الذاريات ببيان معاني الطمأنينة والإكرام، ويظهر ذلك في رد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– السلام، ووضع عجل سمين وتقريبه إليهم[٤]، وجاء اللفظ "السمين" ليتناسب مع سياق الآيات فلم ترد البشرى إنما كان وصف سيدنا إبراهيم –عليه السلام–؛ لأنهم قوم منكرون، فناسب عجل سمين؛ لأنه لم يكترث بنوعية الطعام[٥].

---

(١) قارن السامرائي بين قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في سورتي الحجر والذاريات يُنظر: السامرائي، فاضل، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، (عمان، دار عمار للنشر، ط٣، ٢٠٠٣م–١٤٢٣هـ)، ص٨٤–٨٩.

(٢) يُنظر: سقعان، محمد، **أثر السياق في فهم المتشابه اللفظي في القصص القرآني**، رسالة ماجستير، ص١٢٧.

(٣) يُنظر: الرازي، **تفسير الرازي**، ج١٤، ص٢٩٢–٢٩٣.

(٤) قارن السامرائي بين قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في سورتي الحجر والذاريات يُنظر: السامرائي، فاضل، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، (عمان، دار عمار للنشر، ط٣، ٢٠٠٣م–١٤٢٣هـ)، ص٨٤–٨٩.

(٥) يُنظر: سقعان، محمد، **أثر السياق في فهم المتشابه اللفظي في القصص القرآني**، رسالة ماجستير، ص١٢٧.

الخلاصة:

نزلت سورة الذاريات بعد العام العاشر للبعثة قبل الهجرة ويدور محورها الرئيس حول البعث والجزاء ومصير الكافرين وتبشير المؤمنين.

فتكمن علاقة القصة بالسياق التاريخي في:

- طلب النبي ﷺ من الكافرين أن يفروا من الكفر إلى الإيمان، ومن العذاب والهلاك إلى توحيد الله وحده.
- وتسلية للنبي ﷺ وأن أذية قومه له حدثت مع الأمم السابقة.
- تطمئن النبي ﷺ وتمهد له بالهجرة.

أما علاقة القصة بالسياق النصي للسورة فهي متناسقة فكل القصص تبين جزاء من عصى وكذب، وجزاء من ءامن واهتدى، فجاءت قصتا سيدنا موسى وإبراهيم –عليهما السلام– تبينان أن الله ينذر الأقوام ثم يحاسبهم على معصيتهم، أو يكافئهم على طاعتهم، وهذه سنة الله في الأرض.

وانفردت السورة بذكر لقطة الإكرام، دون غيره من المشاهد ليتناسب مع سياق السورة ومحورها.

المطلب الثالث: إبراهيم عليه السلام والبيت الله الحرام، (سورة إبراهيم: ٣٥-٤١)

سورة إبراهيم مكية عند الجمهور، نزلت بعد الشورى وقبل سورة الأنبياء وتعد السورة السبعين في ترتيب النزول، وعدد آياتها اثنتان وخمسون[١]

واشتملت هذه السورة على عدة موضوعات: التنبيه بإعجاز القرآن، وإيقاظ المعاندين، وضرب الأمثلة من الأمم السابقة، وبيان ما فيها من دعاء الأنبياء لأقوامهم وتذكيرهم بنعم الله ووجوب شكره، وإقامة الحُجَّة على تفرُّدِ الله بالألوهية، وتذكيرهم بالبعث، وتثبيت النبي ﷺ بوعده بالنصر، وخُتِمت السورة بكلمات شاملة جامعة حيث قال تعالى: ﴿هذا بَلاغٌ لِلنّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٥٢][٢].

قال تعالى: ﴿وَإِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّ اجعَل هذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجنُبني وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثيرًا مِنَ النّاسِ فَمَن تَبِعَني فَإِنَّهُ مِنّي وَمَن عَصاني فَإِنَّكَ غَفورٌ رَحيمٌ ۝ رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهوي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَشكُرونَ ۝ رَبَّنا إِنَّكَ تَعلَمُ ما نُخفي وَما نُعلِنُ وَما يَخفى عَلَى اللَّهِ مِن شَيءٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ ۝ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي وَهَبَ لي عَلَى الكِبَرِ إِسماعيلَ وَإِسحاقَ إِنَّ رَبّي لَسَميعُ الدُّعاءِ ۝ رَبِّ اجعَلني مُقيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتي رَبَّنا وَتَقَبَّل دُعاءِ ۝ رَبَّنَا اغفِر لي وَلِوالِدَيَّ وَلِلمُؤمِنينَ يَومَ يَقومُ الحِسابُ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥-٤١].

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص١٧٧.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٣، ص١٧٨-١٨٨.

محور سورة إبراهيم:

يدور محور السورة الرئيس حول وظيفة الرسل، وهي أن تبين لهم ظلمات الكفر وضلاله اعتقادا وسلوكا، وتبين لهم نور الإيمان والصراط المستقيم اعتقادا وسلوكا(١).

وفيها بيان للرسول ﷺ أن وظيفته هي وظائف الرسل السابقين في التاريخ البشري كله، وأنهم أُرْسِلوا لهداية الناس، وإخراج الناس من الشرك إلى التوحيد.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧-٢٥٨].

ويظهر مما سبق أن محور السورة الرئيس يدور حول إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتفصل وتستفيض من خلال ضرب الأمثال على أنواع الخروج من الظلمات ثم تسير بهم إلى نور الهدى(٢).

فيبين لنا محور السورة مهمة النبي ﷺ بدعوة وتحذير كفار العرب وبخاصة كبراءهم من ظلمات الجهل والشرك والكفر، وتذكيرهم ببعض الرسل السابقين وما حدث معهم من أممهم وإنذارهم

---

(١) يُنظر: حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١٤، ص١٤-١٥.

(٢) يُنظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، ج٥، ص ٢٧٧٤.

بمصير المكذبين منهم، وتأكيد أن الإيمان هو الأساس لكل عمل صالح وهو الطريق القويم وأنَّ الكفرَ مُحْبِطُ للعملِ ومورِدُ للهلاك[١].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بالسياق التاريخي لنزولها:

جاءت الآيات في السنة الأخيرة من المرحلة المكية وكانت بعد بيعة العقبة الثانية، وبالرغم مما كان يعانيه النبي ﷺ وأصحابه خلال سنوات الدعوة، إلا أن بوادر النور ظهرت وبدأت تلوح في الأفق، فقد جاءت بيعة العقبة الثانية كبداية لفتح عظيم وفي السورة ذكر دعاء سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ربه لأهم ما يهمه وهو إقامة التوحيد، وعبادة الله وحده، وكان يرجو من الله إجابة دعوته[٢] ويأتي هذا الدعاء في سياق مشهد سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وهو بجوار بيت الله الحرام الذي بناه لعبادة الله وحده، ودعا أن يكون آمنا وأن يرزق أهله الثمرات، هذا البيت الذي جاءت تسكنه العرب ومنهم قريش، ولكنهم لم يوحّدوا الله فيه بل وضعوا الأصنام بجوار الكعبة وعبدوها من دون الله، فكان الدعاء أن يحفظ الله ذريته من عبادة الأصنام وقد وصفن بأنهن أضللن كثيرا من الناس، ويأتي مشهد أخر يدعو فيه سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بالأمن والأمان لهذا البلد، وبالرغم من أن الله استجاب دعوته، إلا أن قريشًا لم تشعر بعظمة هذه النعمة ولم تشكرها، واستمر الأمن حتى عهد النبوة[٣].

وقد ظهر في هذه الآيات سماحة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- كما كانت هي سماحة النبي ﷺ مع قومه.

---

(١) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٢١٣.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٢٤٣.

(٣) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١٠٨-٢١٠٩.

ونرى تركيز سيدنا إبراهيم –عليه السلام– على الربوبية بتكرار لفظ ربنا؛ لأن قضية الألوهية لم تكن موضع جدال مع قومه وحتى مع قريش[١].

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تترابط الآيات بالسابق والاحق من الآيات فيتبين لنا التناسق:

- **فكانت علاقة القصة بما قبلها:**

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ بَدَّلوا نِعمَتَ اللَّـهِ كُفرًا وَأَحَلّوا قَومَهُم دارَ البَوارِ...﴾ [إبراهيم: ٢٨]

يرى ابن عاشور أن مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– معطوف على قوله تعالى: ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ بَدَّلوا نِعمَتَ اللَّـهِ كُفرًا وَأَحَلّوا قَومَهُم دارَ البَوارِ...﴾ [إبراهيم: ٢٨]، كما بدلوا نعمة الله كفرا، أهملوا الشكر على ما أعطاهم الله من النعم بإجابة دعوة أبيهم إبراهيم –عليه السلام– فاختاروا من السلف ما يتناسب معهم فبدلوا الصالح منهم واقتدوا بالضَّال من أهل الضلال منهم، وبدَّلوا دعاء أسلافهم بشكر النعم بالكفران على تلك النعم الوفيرة[٢].

وأيضا بدلوا نعمة الأمان التي رزقهم الله إياها بالجحود وعدم الإيمان، والاستكبار، والمعاندة، والمكابرة.

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١١١.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٢٣٧.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿اللَّـهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزقًا لَكُم وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلكَ لِتَجرِيَ فِي البَحرِ بِأَمرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنهارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]

ويجوز أن تكون معطوفة على قوله تعالى: ﴿اللَّـهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ ...﴾ [إبراهيم: ٣٢] حيث انتقل من ذكر نعم الله تعالى العامة للناس إلى ذكر النعم التي خص الله بها أهل مكة، وغير الأسلوب في الامتنان فيها إلى أسلوب آخر وهو الحكاية عن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لإدماج التنويه به والتعريض لذريته من المشركين(١).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿وَآتاكُم مِن كُلِّ ما سَأَلتُموهُ وَإِن تَعُدّوا نِعمَتَ اللَّـهِ لا تُحصوها إِنَّ الإِنسانَ لَظَلومٌ كَفّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]:

تبين الآيات أن الله خالق الوجود كله، وأنه مالك الملك، ولا يصح معه شريك سبحانه، فيأتي الأمر من الله لنبيه ﷺ أن يذكرهم بأيام الله عند أبيهم إبراهيم –عليه السلام– وما حلَّ لمن بدَّل نعمة الله بالظلم والكفران، وهذا يدل على أن هناك بعث وحساب، وأن الإصرار على عبادة الأصنام تؤدي إلى الهلاك والعذاب(٢).

بعد أن ذكرت الآيات السابقة جحود ونكران الأقوام مع رسلهم وتمسكهم بالكفر، فجاء مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ليدعوا ربه ولذريته أن يقيهم من الشرك، وأن يخرج القلب من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإيمان لما وجد من الأقوام السابقة ضلال كثير.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٢٣٨.

(٢) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٠، ص٤٢٣.

- **علاقة القصة بما بعدها في السورة:**

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿وَلا تَحسَبَنَّ اللَّـهَ غافِلًا عَمّا يَعمَلُ الظّالِمونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُم لِيَومٍ تَشخَصُ فيهِ الأَبصارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

ورد في الآيات سمت سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أنه رحيم وعطوف وأواه، وفيها يدعوا له ولذريته بالهداية والصلاح، ورغم كفر قومه وعنادهم وتآمرهم عليه، لم يطلب هلاكهم، وإنما طلب لهم الرحمة والمغفرة ولمن يأتي بعدهم، ولم يأت في الآيات ذكر عقوبة لقوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فتأتي الآيات التالية للمشهد تبين أن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون وإنما لهم موعد سينالون فيه أشد العقاب، وأن الله يمهلهم لهذا اليوم.

قال القرطبي: "تسلية للنبي ﷺ بعد أن أعجبه من أفعال المشركين ومخالفتهم دين سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، أي اصبر كما صبر سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، وأعلم المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم، بل سنة الله إمهال العصاة مدة. قال ميمون بن مهران: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم"(١).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بما بعدها من الآيات(خاتمة السورة)

جاءت آيات مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وما فيه من دلالات التوحيد ودعاء إبراهيم –عليه السلام– أن يوفقه للأعمال الصالحة، وأن يصونه عن الشرك بالله ثم جاءت الآيات التي تليها بالتأكيد على أن الله عز وجل يمهل الكافرين ولا يهملهم، وتمضي الآيات لتعرض بعض من مشاهد يوم القيامة التي تحيط بالكافرين وما حل بهم من ذهول وانكسار، وفيه يرجون الله أن يردهم

---

(١) القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٩، ص٣٧٦.

للحياة الدنيا ليتداركوا ما فرطوا في أمر الله، وما كانوا عليه من غفلة، وجهل، وسفه، وأن يعملوا الصالحات[1].

فنجد هذا الترابط البديع بين دعاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لله عز وجل بالتوفيق وبالرحمة والمغفرة وبين طلب الكافرين يوم القيامة أن يأخرهم إلى أجل قريب ليتبعوا الرسل، ولكن هيهات هيهات.

و"جاءت مناجاة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– استطرادية للتذكير والتدعيم وأنها غير منقطعة عن السياق الاحق لها حتى جاءت خاتمة السورة قوية كطابع الختام المألوف في أغلب السور وبخاصة على الآية الأخيرة"[2].

- **علاقة المشاهد ببعضها:**

مشهد دعاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بأن يجعل مكة بلدًا ءامنا، وقد ترك ذريته فيها دون متطلبات الحياة، ثم يأتي مشهد شكره لنعمة الله على نعمة الذرية رغم كبر سنه.

تتناسب هذه المشاهد مع بعضها البعض وتترابط مع محور السورة في بيان دعوة الأنبياء في إخراج الناس من الظلمات إلى نور الهدى، ويظهر ذلك في دعاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام.

وتنوعت الأساليب في السورة ومنها:

حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهوي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم

---

(١) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج٤، ص٧٤–٧٥.

(٢) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٢٥٠.

يَشكُرونَ ۝ رَبَّنا إِنَّكَ تَعلَمُ ما نُخفي وَما نُعلِنُ وَما يَخفى عَلَى اللَّهِ مِن شَيءٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾ [سورة إبراهيم:٣٦- ٣٧] فحذف مفعول يشكرون، للدلالة على أن الفعل ثابت على الدوام؛ ولأن العباد يجب أن يتصفوا بهذا الفعل على سبيل الدوام لا ينقطعون عنه، وحذف مفعول ما نعلن وما نخفي لإثبات الفعل على الإطلاق فالله تعالى وحده عليم بكل شيء على سبيل الإطلاق(١).

وجاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغفِر لي وَلِوالِدَيَّ وَلِلمُؤمِنينَ يَومَ يَقومُ الحِسابُ﴾[سورة إبراهيم: ٤١] عطف عام على الخاص لبيان الشمولية في الدعاء وحرص الخليل على المؤمنين، واهتمامه بما ينفعهم في الدنيا والآخرة(٢).

وجاء في قوله تعالى: ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي وَهَبَ لي عَلَى الكِبَرِ إِسماعيلَ وَإِسحاقَ إِنَّ رَبّي لَسَميعُ الدُّعاءِ﴾[سورة إبراهيم: ٣٩] تبين الآية عظيم نعمة الله على الخليل حيث من الله عليه بالذرية في وقت يستبعد فيه حصولها(٣)، وقال أبو السعود: "تتمة الحمد والشكر إذ هو وصف له تعالى بأن ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه إيذان بتضاعيف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة"(٤)، وقدم سيدنا إسماعيل -عليه السلام- على سيدنا إسحاق -عليه السلام- للسبق الزمني وتقديم أبو الأنبياء عليهما لمكانته عند الله وكونه أساس وجودهما(٥).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، ص٥٨٢.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٩٩.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٦٠١.

(٤) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٥، ص٥٤.

(٥) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، ص٥٣١.

انفردت هذه السورة[1]:

بالتصريح والقطع بنوة إسماعيل وإسحاق لأبيه إبراهيم –عليه السلام–.

وهو ما يتناسب مع سياق السورة في استجابة الله للدعاء، وتعداد نعم الله تعالى على عباده الصالحين، الذين يشكرون نعم الله تعالى عليهم.

الخلاصة:

إنَّ سورة إبراهيم نزلت بعد العام العاشر من البعثة وقبل العام الأول من الهجرة ويدور محور السورة الرئيس حول وظيفة الرسل في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فتكمن علاقة القصة بالسياق التاريخي في:

- دعاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بأن يجعل البلد آمِنًا، واستجاب الله له، لكن في المقابل قريش لم تشكر الله على نعمة الأمن حتى عهد النبوة.
- بنى سيدنا إبراهيم –عليه السلام– الكعبة لتوحيد الله بينما قريش استخدمتها لعبادة الأصنام.
- تشابه دعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– والنبي محمد ﷺ في سماحة دعوة قومهما إلى الإسلام، وأيضا بأن القومين كانوا يعبدون الأصنام وكان جدالهم في الألوهية ولم تكن في الربوبية.

أما علاقة القصة بالسياق النصي للسورة:

فهي ترتبط بآيتين تبين من خلالهما حال الشاكر والكافر لأنعم الله، وتبين أن الذين كفروا بدلوا الإيمان والشكر بالكفر والجحود، واتخذوا شريكًا مع الله، وجاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه

---

(١) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٢٤٠.

السلام- تذكر الذين كفروا وجحدوا ولم يشكروا الله، واتخذوا الأصنام آلهة من دون الله فكان مصيرهم النار.

المطلب الرابع: دعوة إبراهيم -عليه السلام-: الحوار والمحنة والنجاة (سورة الأنبياء: ٥١-٧٣).

سورة الأنبياء مكية[١] بالإجماع[٢]، نزلت بعد سورة السجدة وقبل سورة النحل، وهي الحادية والسبعون في ترتيب النزول ومن أواخر السور التي نزلت قبل الهجرة[٣]، وعدد آياتها مئة واثنتا عشرة آية في الكوفي، وفي غير الكوفي مائة وإحدى عشر[٤].

ووجه تسميتها بسورة الأنبياء أنها ذُكِرَ فيها أسماء عدد من الأنبياء ويبلغ عددهم: ستة عشر نبيًا كما ذكر اسم السيدة مريم، ولم يأت في سورة من سور القرآن مثل هذا العدد عدا سورة الأنعام، فقد ذكر فيها أسماء ثمانية عشر نبيًا[٥].

وقد احتوت السورة على موضوعات عدة وهي:

الإنذار والبعث، وإقامة الحجة على المنكرين بأن الله خلق السماوات من عدم، فخَلْقُ السماوات والأرض والشمس والقمر، كلها تدل على وحدانية الله، ثم ينتقل السياق إلى وحدة مصدر

---

(١) يُنظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)**، ج٧، ص٣٢٥.

(٢) يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)**، ج٤، ص٧٣؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ج١٧، ص٢٩؛ ﴿وهناك خلاف في آية قال تعالى: مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، الجعبري، إبراهيم بن عمر، **حسن المدد في فن العدد**، ص٩٠.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص٦.

(٤) يُنظر: الجعبري، إبراهيم بن عمر، **حسن المدد في فن العدد**، ص٩٠.

(٥) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص٥.

الحياة وخلق الموجودات من ماء ووحدة نهاية هذه الحياة وهو الموت ووحدة المصير[١]، وتحذر من يُكذب بما جاء من عند الله، وتذكرهم بأن الرسول ﷺ ما هو إلا بَشر مثلكم، وتبين أيضا ما أصاب الأمم السابقة من عذاب جَرَّاء تكذيبهم، وإعلامهم بعلامات أشراط الساعة، وحذرهم من اغترارهم واستهزائهم برسلهم، ثم جاءت الردود القوية التي تبرهن على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الشريك والولد، ثم أعقب بعد ذلك بتذكيرهم بنعم الله تعالى، ثم ذكر سلسلة من الأنبياء، وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال رسول الله ﷺ، وبيان عناية الله تعالى برسله، ونصرهم على أقوامهم، وإجابة دعوتهم[٢]، وسنة الله أن يغلب الحق ويزهق الباطل وأن يهلك المكذبين الظالمين، وينجي الله المؤمنين[٣]، ثم ختمت السورة بالثناء على الرسل وعلى من آمنوا برسالتهم، وأن العاقبة للمؤمنين في خيري الدنيا والآخرة، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق، ثم تقرير لأهمية الرسالة وتبليغها[٤].

قال تعالى: ﴿وَلَقَد آتَينا إبراهيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ وَكُنّا بِهِ عالِمينَ ۝ إِذ قالَ لِأَبيهِ وَقَومِهِ ما هذِهِ التَّماثيلُ الَّتي أَنتُم لَها عاكِفونَ ۝ قالوا وَجَدنا آباءَنا لَها عابِدينَ ۝ قالَ لَقَد كُنتُم أَنتُم وَآباؤُكُم في ضَلالٍ مُبينٍ ۝ قالوا أَجِئتَنا بِالحَقِّ أَم أَنتَ مِنَ اللّاعِبينَ ۝ قالَ بَل رَبُّكُم رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ الَّذي فَطَرَهُنَّ وَأَنا عَلى ذلِكُم مِنَ الشّاهِدينَ ۝ وَتَاللَّهِ لَأَكيدَنَّ أَصنامَكُم بَعدَ أَن تُوَلّوا مُدبِرينَ ۝ فَجَعَلَهُم جُذاذًا إِلّا كَبيرًا لَهُم لَعَلَّهُم إِلَيهِ يَرجِعونَ ۝ قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمينَ ۝ قالوا سَمِعنا فَتًى يَذكُرُهُم يُقالُ لَهُ إِبراهيمُ ۝ قالوا فَأتوا بِهِ عَلى أَعيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُم

---

(١) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣٦٤.

(٢) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٢٥٣؛ يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص٧.

(٣) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣٦٤.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص٧.

يَشهَدونَ ۝ قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ ۝ قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ ۝ فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ ۝ ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ ۝ قالَ أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم ۝ أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ ۝ قالوا حَرِّقوهُ وَانصُروا آلِهَتَكُم إِن كُنتُم فاعِلينَ ۝ قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إِبراهيمَ ۝ وَأَرادوا بِهِ كَيدًا فَجَعَلناهُمُ الأَخسَرينَ ۝ وَنَجَّيناهُ وَلوطًا إِلَى الأَرضِ الَّتي بارَكنا فيها لِلعالَمينَ ۝ وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ نافِلَةً وَكُلًّا جَعَلنا صالِحينَ ۝ وَجَعَلناهُم أَئِمَّةً يَهدونَ بِأَمرِنا وَأَوحَينا إِلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإيتاءَ الزَّكاةِ وَكانوا لَنا عابِدينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١-٧٣].

محور سورة الأنبياء:

يدور محور السورة -حسب الإمام البقاعي- حول التوحيد من خلال بيان قدرة الله وعظمته بالحجة والبرهان، وتظهر قدرة الله على إعادة الإنسان بعد أن كان ترابا(١).

يرى سعيد حوى أن محور سورة الأنبياء هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٦-٧]، فيرى أن تأمل هاتين الآيتين، ثم النظر في الآيات الثلاث الأولى من سورة الأنبياء، يجلي مصداق ذلك: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١-٣](٢).

---

(١) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١١، ص٤٣٢.

(٢) يُنظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، ج٧، ص٣٤٢٣.

وحسب دروزة فإن سورة الأنبياء جاءت بالرد القوي على كفار قريش وزعماء الكفر لعنادهم ورفضهم لدعوة النبي ﷺ كما تثبت وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن النِّدِ والشريك والولد، ثم تُبَيِّن الآيات مصير الكافر في الآخرة(١).

وترى الباحثة أن محور السورة يدور حول دعوة الأنبياء إلى توحيد الله بالحجة والبرهان وبيان قدرة الله وعظمته وتَعَرُّضُ الرسل للإيذاء وعناية الله بهم.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بالسياق التاريخي لنزولها:

جاءت الآيات لتسلِّيَ النبي ﷺ وتخبره أنّ كُفْرَ قومك وعنادهم وجحودهم رغم أنك جئتهم بالنور الساطع والحق المبين، ولكنهم لم يجدوا طريقا ليأتوا بمثل هذا النور فاستكبروا وعاندوا، وهنا جاء أمر الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة وانتظار أمر الله تعالى له وكان ذلك بيعة العقبة الثانية، وهذا ما حدث أيضا من قوم إبراهيم -عليه السلام- حين أقام الخليل عليهم الحُجَّة، وبيَّن لهم بالحجة والبرهان بأن عبادتهم باطلة وأن إلههم باطل، فرجعوا إلى أنفسهم وعلموا أنهم ظالمون إلا أنهم بعد ذلك وبعد هذا العلم، نكسوا على رؤوسهم ورفضوا دعوة الخليل -عليه السلام-، بل قالوا حرِّقُوه ظنًا منهم أنهم ينصرون بذلك آلهتهم، ولم يجدوا مَخْلَصًا من الخليل إلا بهلاكه، فقرروا إلقاءه في النار، والنار أشد وأفظع ما يعاقب به الإنسان ولكن الله نجاه، وكذلك تحاول قريش أن تتخلص من هذه الدعوة بكل الطرق وبكل وسائل الإيذاء، فقصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- نموذج في الدعوة ونموذج في الإقناع، ونموذج في الصبر على قومه حين دعاهم للتوحيد بالإقناع وبالحجة

(١) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٢٥٣.

القاهرة والبراهين الواضحة وعندما عجزوا عن الرد فما كان منهم إلا البغض فلا أحد أبغض إليهم من المحق[1].

وكأن الآيات تطمئن النبي ﷺ بأن الله لم يترك نبيه إبراهيم –عليه السلام– في المواقف الشديدة التي حدثت له من قومه وإيذائهم له، بل جاء لطف الله وعنايته بأن نجاه من النار وجعلها بردا وسلاما عليه، ثم تأتي عناية أخرى من الله سبحانه وتعالى بأن وهب له أيضا إسحاق ويعقوب وجعلهم يفعلون الخيرات ويخلصون لله وحده، فيا رسول الله كل ما تتعرض له من أذى وعناد وتكبر حدث لأنبياء سابقين، ولكن عناية الله لك دائمة ومستمرة.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تترابط الآيات بالسابق والاحق من الآيات فيتبين لنا شدة التناسق:

- **فكانت علاقة القصة بما قبلها:**

استهلت السورة ببيان اقتراب يوم القيامة وتحذر الناس من التمادي في الضلال والعصيان، ثم تحكي اعتراض المشركين على الرسول بأنه بشر مثلهم، كما يدعون بأن القرآن سحر أو شعر أو أضغاث أحلام، ثم يأتي رد الله عليهم بأن كافة المرسلين مثله ﷺ، وأن الخليل –عليه السلام– واحد منهم، ثم تعرض الآيات قضية التوحيد عرضًا مفصلا وهو ما جاء في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وما فيها من إثبات وحدانية الله تعالى، وإبطال عبادة الأصنام بالدليل العقلي والفعل العملي المؤيد له[2].

---

(١) يُنظر: الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ)، ج٤، ص٢٤٣.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص١١٣.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا موسى –عليه السلام–:

بدأت السورة بقصة سيدنا موسى وهارون –عليهما السلام– لما لهما من صِلَة مباشرة باليهود وقربهما منهما، وكان اليهود ولا زالوا أهلَ جَدَل وعناد[١]، وبعدها جاءت قصة إبراهيم –عليه السلام–؛ لأن شريعة إبراهيم –عليه السلام– أشهر شريعة بعد شريعة سيدنا موسى –عليه السلام– وأنها شريعة خاصة نزلت لقوم غير القوم الذي بعث إليهم سيدنا موسى –عليه السلام–[٢] وهي تبين بطلان حجج الشرك، فقد قاوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– الشرك واستمر على ذلك وتحمل أذى قومه، ثم بنى الكعبة وهي رمز لتوحيد الله تعالى، وجاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تؤكد على وحدانية الله بالحجج والبراهين، وعلى بطلان الشرك [٣].

وقد مدح الله سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالرشد، وإسناد إيتاء إلى ضمير لفظ الجلالة، كما في قصة سيدنا موسى وهارون –عليهما السلام– للتنبيه على تفخيم ذلك الرشد الذي أوتيه، وأن هذا الرشد الذي انفرد به[٤].

فالعلاقة مشتركة بين القصص وهي حلقة الرسالة، قصة سيدنا موسى –عليه السلام– عرضت لقطة سريعة من الحلقة، أما قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فعرضت حلقة كاملة تبيِّن رسالته[٥].

---

(١) يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٥، ص٩٥٦٧.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص ٩٢، ١١١

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٧، ص٩٢.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٧، ص٩٢.

(٥) يُنظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣٨٥.

- **علاقة القصة بما بعدها في السورة:**

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا لوط –عليه السلام–

جاءت النجاة الثانية لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– بعد نجاته من النار وهي أن نجاه الله مع سيدنا لوط –عليهما السلام– من قوم كافرين وهي نجاة من دار الشرك وفساد الاعتقاد(١).

كما ارتبطت أيضا مع سيدنا لوط –عليه السلام– لأنَّ أحواله في مقاومة الشرك تابعة لأحوال الخليل –عليه السلام–(٢)، وجمع بينهما في ذكر إنعامه سبحانه وتعالى عليهما لما كان بينهما من القرابة والنبوة مزيد من الإنعام(٣).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا داود وسليمان –عليهما السلام–

عطف ذكر سيدنا داود وسليمان –عليهما السلام– بإبراهيم –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[سورة الأنبياء: ٧٩]، غير أن حكم داود وسليمان لم يكن عن وحي من الله إنما كان عن علم أعطاه الله لهما فكان بالاجتهاد(٤).

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص١٠٨.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج١٧، ص٩٢.

(٣) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١١، ص٤١.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص١١٧.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بما بعدها من القصص:

فجاءت القصص كلها تبين نعم الله تعالى على أنبيائه

فنجد في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–: أن الله نجاه من النار، ونجاه إلى الأرض المباركة، ووهب له سيدنا إسحاق ويعقوب.

وسيدنا لوط –عليه السلام–: نجاه الله إلى الأرض المباركة.

وسيدنا نوح –عليه السلام–: نجاه الله وأهله من الغرق.

وسيدنا داود وسليمان –عليهما السلام–: سخر لداود الجبال والطير يسبحن معه وعلمه الله صنع الدروع ولسليمان سخر الله له الرياح والجن، وأعطاهما الحكم والعلم.

وسيدنا أيوب –عليه السلام–: استجاب لدعاه، وشفاه.

وسيدنا يونس –عليه السلام–: نجاه من بطن الحوت.

وسيدنا زكريا –عليه السلام–: رزقه الله بسيدنا يحيى –عليه السلام– وأصلح زوجته.

وكما قال الإمام الرازي: "وقد وفَّى الأنبياء ومنهم سيدنا إبراهيم –عليهم السلام– بعهد العبودية أي الاشتغال بالعبادة والطاعة بعد أن وفَّى الله بعهد الربوبية في الإنعام والإحسان"[1].

- **علاقة المشاهد ببعضها:**

- مشهد دعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لأبيه وقومه للتوحيد.
- مشهد تكسير الأصنام.

---

(١) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١١، ص٤٢.

- مشهد نجاة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من النار، والبشارة.

وما ذكر من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من المشاهد يتناسب مع محور السورة وهو: دعوة الأنبياء إلى توحيد الله تعالى.

وتنوعت الأساليب في السورة ومنها:

أسلوب القصر في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ نافِلَةً وَكُلًّا جَعَلنا صالِحينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٢]، فقصر الصفة على الموصوف لتدل على اهتمام الله بالثناء عليهم بالهداية والصلاح والتفضيل(١).

وجاء أسلوب الاستفهام في العديد من الآيات منها ما هو محكي عن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وقد وردت مرة واحدة في السورة في قوله تعالى: ﴿قالَ أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم﴾ [الأنبياء: ٦٦] ليفيد الإنكار والتوبيخ، وحرف الفاء للدلالة على سرعة الترتيب والهمزة تفيد الإنكار عما سبقه من الكلام(٢)، وما جاء محكيًا عن قومه في ثلاث آيات قال تعالى: ﴿قالوا أَجِئتَنا بِالحَقِّ أَم أَنتَ مِنَ اللّاعِبينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥] تفيد التعجب من وصف الخليل –عليه السلام– الآباء بأنهم ضالين، وفي قوله تعالى: ﴿قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩] تفيد البحث عن الفاعل، وفي قوله تعالى: ﴿قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢] تفيد تقريرا بالفاعل(٣).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٣٧.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٥٠.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٥٥.

أما أسلوب النداء فجاء في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿**قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إبراهيمَ**﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فالنداء للنار للتنبيه للأمر القادر سبحانه وتعالى، وتستجيب على الفور وكأنها من العقلاء(١).

وأما أسلوب الحذف في قوله تعالى: ﴿ أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] وهو أبلغ من التعقيب والتوبيخ، حيث أنكر عليهم عدم التعقل في عبادة ما لا ينفع ولا يضر وبهذا وبخهم توبيخا شديدا(٢).

ذكر الله تعالى في ختام قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– نعم الله تعالى التي توالت عليه، فكانت النعمة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيناهُ وَلوطًا إِلَى الأَرضِ الَّتي بارَكنا فيها لِلعالَمينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، والثانية في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ نافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]، والثالثة في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلنا صالِحينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، والرابعة في قوله تعالى: وَجَعَلناهُم أَئِمَّةً يَهدونَ بِأَمرِنا﴾[الأنبياء: ٧٣] والخامسة في قوله تعالى: ﴿وَأَوحَينا إِلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإيتاءَ الزَّكاةِ والسادسة في قوله تعالى: وَكانوا لَنا عابِدينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

فجاء تعبير القرآن البديع المعجز في اختيار كل نعمة بما يناسبها، فلفظ ﴿وَنَجَّيناهُ﴾ تأتي مع نعمة الأمن والاستقرار، ولفظ ﴿ وَوَهَبنا لَهُ﴾ في نعمة الإنجاب، ولفظ ﴿جَعَلنا﴾ في نعمة الصلاح والإمامة لما تتطلبه النعمتان من تحول من حال إلى حال، ولفظ ﴿وَأَوحَينا﴾ في نعمة النبوة، ولفظ ﴿عابِدينَ﴾ في نعمة العبادة فأثبتت لهم(٣).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٦٩.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٨٥.

(٣) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص١٥٨.

وقد رتبت هذه النعم ترتيبًا دقيقًا فلما كانت الآيات السابقة لهذه النعم تتحدث في إلقاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في النار، وإنقاذ الله له منها كان من المناسب أن تبدأ بنعمة نجاته من قومه وهجرته إلى أرض بارك الله فيها، ولما قد خرج معتزلا قومه كان في أمس الحاجه للذرية فجاءت نعمة هبة الأولاد، ثم تلتها نعمة الصلاح والإمامة والنبوة لهم والعبادة، وبدأ بالصلاح لما فيه من تكميل للنفس أما الإمامة فهي تكميل للغير ثم بالنبوة التي هي أعلى درجات الإمامة، وختمت ببيان محافظتهم على هذه النعم من خلال شكر المنعم(١).

وانفردت هذه السورة بذكر أنَّ الله نجَّى سيدنا لوطًا وسيدنا إبراهيم –عليهما السلام– إلى الأرض التي بارك الله فيها(٢)، وهجرتهما.

وانفرد لفظ ﴿الأَخسَرينَ﴾ ليتناسب مع سياق الآيات لأن إبراهيم –عليه السلام– كادهم قال تعالى:﴿..لَأَكيدَنَّ أَصنامَكُم..﴾ وكادوه لقوله تعالى: ﴿وَأَرادوا بِهِ كَيدًا﴾، فكانت الغلبة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام–؛ لأنه استطاع كسر أصنامهم وسلم من نارهم، فكانوا هم الأخسرين(٣).

الخلاصة:

سورة الأنبياء يدور محورها حول دعوة الأنبياء إلى توحيد الله، وإثبات ذلك بالحجج والبرهان.

أما علاقتها بالسياق التاريخي:

- تعد السورة من أواخر ما نزل في مكة قبل الهجرة من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فكان الإيذاء من أصعب ما يكون على النبي ﷺ وأصحابه، فجاءت الآيات تُسَلِّيَهُ وتخبره

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص١٥٧.

(٢) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٢٧٦.

(٣) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٥، ص٣٤. بتصرف يسير.

أن عناد قومك كان مع من سبقك من الأنبياء بمن فيهم أبو الأنبياء فقد ألقاه قومه في النار والنار من أشد أنواع العذاب.

- وجاءت الآيات تطمئن رسول الله ﷺ بأن عناية الله بعباده دائمة ومستمرة فكما جعل النار بردا وسلاما على سيدنا إبراهيم –عليه السلام– هو القادر على جعل المواقف الشديدة يا خيرَ البشرِ سلامًا عليك.

وأما علاقتها بالسياق النصي:

- بدأت الآيات بقصة نبي الله موسى وهارون –عليهما السلام– ثم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وبيَّنت بُطْلان الشرك وأن الخليل صبر على أذى قومه بأشكاله المتعددة مقاوما للشرك، وتشترك القصتان أيضا في بيان حلقة الرسالة بين الإيجاز والإطناب.
- ارتبطت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بلوط لما لهما من علاقة تابعة في مقاومة الشرك وما لها من صلة قرابة والنبوة.
- وارتبطت قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– بسيدنا داود وسليمان –عليهما السلام– في النعم التي أنعمها الله عليهم.

وانفردت السورة ببيان هجرة سيدنا لوط وإبراهيم –عليهما السلام– إلى الأرض المباركة.

المطلب الخامس: الفتن والابتلاءات، سورة العنكبوت (١٦-٢٧)

سورة مكية[١] تعتبر من أواخر ما نزل في مكة، نزلت قبل الهجرة بسنة، وتعد في ترتيب النزول السورة الخامسة والثمانون نزلت بعد سورة الروم وقبل سورة المطففين، وعدد آياتها تسع وستون[٢].

كما احتوت السورة على عدة موضوعات وهي: تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون، ووعد الله لهم بالنصر، ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وفيها الأمر لنبيه بالثبات على دعوة قومه والتأسي بما حدث مع الأمم السابقة، وتذكير المشركين بنعم الله، وتوعد المكذبين والمشركين بالعذاب بعد أن ضرب لهم الأمثلة[٣].

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُون ۝ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ

---

(١) هناك خلاف بين أن هذه السورة مكية أم مدنية إلا أنهم اجمعوا على مكية السورة من حيث افتتاحها وموضوعاتها؛ يُنظر: الشايع، محمد بن عبد الرحمن، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، ص٦٣.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص٢٠٠.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **نفس المرجع السابق**، ج٢٠، ص٢٠١.

يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ۝ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٦-٢٧].

محور سورة العنكبوت:

تتحدث السورة -حسب الإمام البقاعي- حول الفتن والابتلاء وأن القوة لله وحده، ويظهر ذلك من خلال قصص الأنبياء، ومنها قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بعرض مشهد النار وهو مشهد امتحان واختبار في الثبات في النهي عن المنكر، وإخراجه منها سالمًا، وفي نهاية القصة تتجلى عناية الله وقدرته وعظمته(١).

فتبين الآيات شدة معاناة بعض الأنبياء وهم يبلِّغون رسالات ربهم، ومعاناة من تبعهم، وتبين أن الفائز من ثبت وصبر على الابتلاء، والخاسر في الابتلاء ممن أعرض عن منهج ربه(٢)، ويرى طهماز أن محور السورة يدور حول أهل الإيمان وتثبيت الله لهم وقت الابتلاء وأن الفتن كثيرة ومتعددة، وأن الابتلاء من سنن الله وأنَّ المؤمنَ مبتلَى فمواجهة الابتلاء يكون بالصبر(٣).

---

(١) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٥، ص٥٣٤.

(٢) يُنظر: طهماز، عبد الحميد محمود، **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، ج٦، ص٣٦١-٣٦٢.

(٣) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج٥، ص٥٨٠.

ويقول سيد قطب: أن محور السورة يتحدث عن "الإيمان والفتنة وعن تكاليف الإيمان التي تبين معدن الإنسان، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان، إنما هو الصبر على الابتلاء والفتن في طريق هذه الكلمة المحفوفة بالمكاره والتكاليف"(١).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

جاءت القصة لتسلية النبي ﷺ وتطمئنه بأن ما يلقاه في مكة من عناد وكفر وجحود وتكذيب من كفار قريش قد حدث لأبيه إبراهيم –عليه السلام– حين دعا قومه إلى التوحيد، ولكنهم كذبوه كما كذبت قريش سيدنا محمدًا ﷺ بل وصل جحود قوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن تآمروا عليه وقالوا اقتلوه أو حرقوه(٢)، كما أراد زعماء قريش التآمر على قتْلِ الرسول ﷺ حين ظهرت ملامح الخوف من ازدياد أعداد المؤمنين، والخوف من أن تشتد قوة المسلمين في المدينة، بعد أن اتفقوا مع زعماء الخزرج والأوس مما أدى إلى دخولهم في الإسلام(٣).

كما تبين الآيات أن الله سبحانه وتعالى لا يترك عباده الصالحين، وأن جزاء المنكرين الجاحدين المكذبين سخط الله عليهم وعذابه، وينزل بهم من عاجل عقوبته، فجزاؤكم يا مَنْ تكذبون النبي ﷺ هو نفس جزاء مَنْ كذب مِنْ الأمم السابقة(٤)، فالقصة تذكير لقريش بحال من مضى حتى يمتنعوا عن التكذيب ويعتبروا(٥)، فالخبر عن سيدنا نوح وإبراهيم –عليهما السلام– وسائر الأمم، إنما هو تذكير من الله لقريش ومَنْ تبعهم، وتحذير مما حلَّ بهم، قال الطبري: " فكأنه قيل في هذا

---

(١) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٧١٨.

(٢) يُنظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)**، ج٣، ص٤٤٨.

(٣) يُنظر: طه، محمد، **الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية**، ص١٢٩.

(٤) يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ج٢٠، ص٢٠

(٥) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٢، ص١٤٣.

الموضع: فاعبدوه واشكروا له وإليه ترجعون، فكذبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمدا، كما كذب أولئك إبراهيم"[1].

ثم تبين الآيات هجرة الخليل عليه السلام- وكأنها تهيئ النبي ﷺ إلى الهجرة من مكة كما هاجر سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، وأنت على ملته يا محمد ﷺ[2].

لقد ترك سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أهلا ووطنا وقوما، ترك وطنه فعوضه الله وطنا خيرا منه وهو الأرض المباركة، وترك أهله فعوضه الله بإسحاق ومن بعده يعقوب فكانوا أهلا خيرا من أهله، وترك قومه فعوضه الله من ذريته أمة عظيمة، وأصبحوا خيرا من قومه فجعل سبحانه وتعالى نسله أئمة يدعون الناس ويهدونهم بأمر الله، وجعل نسله يفعلون الخيرات ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة طائعين عابدين لله عز وجل.

فجاءت قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- تطمئن النبي ﷺ وتؤانسه، في موقف مماثل له مع سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وقومه.

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ج٢٠، ص٢٣.

(٢) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٥، ص٤٧٧.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

يظهر الترابط الدقيق بين السابق والاحق من الآيات فيبين لنا تكامل السورة مع بعضها البعض:

- **فكانت علاقة القصة بما قبلها:**

تحدثت الآيات عن الفتن والصبر عليها وكانت مناسبة لعرض قصص بعض الأنبياء لتبين صبرهم على إيذاء أقوامهم، وكم تحملوا في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، ويبدأ القصص بترتيبه الزمني فابتدأ بمشهد سيدنا نوح –عليه السلام– في إيجاز دقيق وبديع حيث تعرض بما يناسب مع جو السورة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٤]، وتنتقل السور لمشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتفصل دعوته إلى التوحيد، وتحكي ما لاقاه من إيذاء شديد انتهى بإلقائه في النار ثم هجرته بعيدًا عن وطنه وقومه بعد أن نجاه الله منهم.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا نوح –عليه السلام–

جاءت في قصة سيدنا نوح –عليه السلام– أنَّ الله عذَّب قومه الكافرين بإغراقهم، بعد أن دعاهم نبيهم إلى التوحيد سرا وعلانية، ليلا ونهارا، وبعد أن بيَّن لهم نِعَم الله تعالى عليهم، إلا أنهم عاندوا وكذبوا واستكبروا، ويأتي مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وفيه يدعوا قومه بترك عبادة الأصنام، فتكرر قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت: ١٧] لتدل على مزيد التشنيع على ما يفعلونه من جريمة نكراء[١]، وأن يعبدوا الله وحده وأوضح لهم قدرة الله سبحانه

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٩١–٥٩٢.

وتعالى والتي ليست لأحد غيره من خلقه، وأنه المستحق للعبادة وحده، فقال تعالى ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ [سورة العنكبوت: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا﴾ [سورة العنكبوت: ١٧] وعطف التقوى والشكر على العبادة فهو عطف الخاص على العام؛ لأن العبادة عامة تشمل التقوى والشكر، وإشارة إلى فضلهما لزيادة الترغيب فيهما(١)، ودعاهم الخليل –عليه السلام– أن يسيروا في الأرض ليتأملوا كيف بدأ الله الخلق، إلا أنهم أنكروا عليه ذلك وأصروا واستكبروا وعاندوا فكان مصيرهم النار، وقد تكرر أيضًا لفظ الإشارة أولئك في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٣] لدلالة على تأكيد تمييزهم وتقرير تحقيرهم وبعدهم عن دخول الجنة(٢)،وما لهم مِنْ أحدٍ ينصرهم حينئذ من عذاب الله، بل سيلعن بعضهم بعضا، وقد قُدِّمَ في السورة العذاب على الرحمة لما يتناسب مع جوها.

ويدور السياق أيضا حول قدرة الله ونصرته لمن اختبره وابتلاه فصبر، ويظهر ذلك من خلال إنجاء الله لسيدنا نوح –عليه السلام– في السفينة قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [سورة العنكبوت: ١٥]، ونجاة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من النار بأن جعلها الله بردا وسلاما عليه، فتكون قصتا سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وقصة سيدنا نوح –عليه السلام– بنسق واحد(٣).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٦٠٠.

(٢) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٩٢.

(٣) يُنظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)**، ج٨، ص٢١٥.

- **علاقة القصة بما بعدها في السورة:**

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة سيدنا لوط –عليه السلام–:

يبدأ مشهد سيدنا لوط –عليه السلام– في ثنايا قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حيث أوجز المشهد خبر الخليل مع الملائكة واقتصر على ما يخص لوط وقومه، فهو يعرض في هذا المقام ما يقتضي إيراد ما يخص قوم لوط وطي ما يخص سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، وتوضح مجيء الملائكة لإعلام سيدنا إبراهيم بهلاك قوم لوط(١).

ونجد في قصة سيدنا إبراهيم ولوط –عليهما السلام– المثابرة على إبلاغ الرسالة والصبر على أذى أقوامهم الكافرين، ثم يأتي نصر الله لهما، والإعلام بتعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين(٢).

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقصة مدين:

السياق يدور حول إثبات يوم الدين وإهلاك المفسدين وابتلاء الصالحين ومنهم سيدنا شعيب –عليه وسلم– الذي لم يجد ناصرًا من قومه إما لغربته عنهم أو لقلة عشيرته(٣).

والانتقال من قصة سيدنا لوط –عليه السلام– مع قومه إلى قصة سيدنا شعيب –عليه السلام– لأنه كان من أبناء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وأن الله سبحانه وتعالى أنجاه من العذاب كما أنجى سيدنا إبراهيم ولوط –عليهما السلام–(٤).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النص القرآني**، ص٢١٦.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص٢٤٧.

(٣) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٤، ص٤٣٥.

(٤) يُنظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص٢٤٧.

يأتي قصص الأنبياء في السورة يبين الفتن والابتلاءات التي تعرضوا لها:

فقصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تبين ابتلاءه حين ألقوه في النار وفتنته بتكذيب قومه له.

ثم يأتي بعدها مشهد سيدنا لوط في إعلان قومه للرزيلة بلا حياء، والاستهزاء بالنذر، وبعده مشهد سيدنا شعيب مع أهل مدين في انتشار الجريمة والفساد والتمرد وتكذيب قومه له، ثم تأتي إشارة من قصة سيدنا موسى مع قارون وفرعون وهامان لتبين الفتن بطغيان المال مع قارون، واستبداد الحكم مع فرعون، وتمرد النفاق مع هامان[1].

علاقة المشاهد ببعضها:

تعرض المشاهد السابقة نماذج من الفتن والابتلاءات التي اعترضت دعوة الأنبياء وذلك على مدار تاريخ البشرية الطويل، حيث تنوعت الفتن بين الأذى، أو القرابة، أو الإغواء، أو الإغراء[2]، وهو ما يتناسب مع محور السورة الرئيس وهو الابتلاءات والفتن التي تعرض لها الأنبياء.

---

(١) يُنظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٧٢٧.

(٢) يُنظر: قطب، **نفس المرجع السابق**، ج٥، ص٢٧٢٧.

وتنوعت الأساليب في مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ومنها:

أسلوب الحذف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٤] حذف الجار والمجرور ليدل على عموم وشمول الإيمان بالله وبالبعث، أي لقوم يتحقق فيهم الإيمان(١).

وأسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [سورة العنكبوت: ١٩] وجاء الاستفهام يفيد الانكار قال أبو السعود: "الهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة أي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الإنكار وتأكيده"(٢).

وقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٢] ما يظن فعله على ما لا يمكن فعله "فهروبهم في الأرض قد يتوهمون فعله ويظنون قدرتهم عليه، أما في السماء فلا يتصورون فعل ذلك؛ لأن صعودهم إليها غير مستطاع لديهم"(٣) وأيضا قدم نفي عجزهم في الأرض وهم عليها فالأولى عجزهم في السماء(٤).

---

(١) يُنظر: أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٨٦.

(٢) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٧، ص٣٥.

(٣) أبو ستيت، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–**، ص٥٣٦.

(٤) يُنظر: أبو ستيت، **نفس المرجع السابق**، ص٥٣٦.

الخلاصة:

تعد سورة العنكبوت أخر سورة نزلت من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في العهد المكي، ويدور محورها حول الابتلاءات والفتن التي يتعرض لها الأنبياء وعباد الله الصالحين.

وأما علاقتها بالسياق التاريخي:

فجاءت الآيات تسلي سيدنا محمدًا ﷺ وتؤانسه أن ما فعله زعماء قريش بتآمرهم على قتله، فُعِلَ مع سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مثله حين ألقوه في النار ليقتلوه مما أدى إلى هجرة أبي الأنبياء عن بلده، فجاءت الآيات تمهّيدًا وإعدادًا نفسيًا لهجرة النبي ﷺ كما هاجر أبو الأنبياء.

وأما علاقتها بالسياق النصي:

فجاءت قصتا إبراهيم ونوح –عليهما السلام– تُبَيِّنَان نعمة الله تعالى على أنبيائه، وقدرته عز وجل وعنايته بهم بأنْ نجَّاهم من الابتلاء، ثم تأتي المشاهد بعدها تبين أنواع الفتن والابتلاءات الشديدة للأنبياء.

المبحث الثالث: علاقة قصة سيدنا إبراهيم بالسياق في السور المنزلة في مرحلة ما بعد هجرة الرسول ﷺ (تأسيس الدولة الإسلامية)[١].

المطلب الأول: بناء البيت، تمهيدا لبعثة خاتم النبيين (سورة البقرة ١٢٤-١٣٤).

سورة البقرة مدنية[٢] وتعتبر أول ما نزل في المدينة فنزلت في السنة الأولى من الهجرة، وتُعَدُّ في ترتيب النزول السورة السابعة والثمانون، نزلت بعد سورة المطففين وقبل سورة آل عمران[٣]، وعدد آياتها مئتان وثمانون وخمس آيات في المدنيين والمكي والشامي، وست في الكوفي، وسبع في البصري[٤].

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ

---

(١) هذا المبحث أفردته رغم صغره؛ لأنها فترة تاريخية مستقلة وهي تتحدث عن الفترة المدنية.

(٢) يُنظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)**، ج٩، ص٣٧٢

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

(٤) الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص١٤٠.

أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٢٤-١٣٤].

والموضع الثاني: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧-٢٦٠].

محور السورة:

كتب الكثيرون حول محور سورة البقرة، لكني سأعتمد ما ذكرته موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن؛ من أن محور السورة الرئيس هو "منهج خلافة الله في الأرض بين مَنْ أضاعوه ومَنْ أقاموه"(١)، وما ذكره الدكتور عبد السلام المجيدي: هو "إشراق الحضارات الإسلامية على العالم، والإفادة من تجربة الاستخلاف الإسرائيلي"(٢).

فالخلافة في الدين لا ينالها الظالمون، والنجاة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا بطاعة الله(٣).

وأخبرتنا الآيات أن الله عز وجل جعل إبراهيم -عليه السلام- للناس إماما، وجعل البيت مثابة للناس، فتبينت إقامة خلافة الله في الأرض، ثم تستمر الآيات عن بناء الكعبة لتأكد هذا المعنى.

إن قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أثبتت بالحجة والدليل والبرهان أن للكون إلهًا واحدًا فعندما ادَّعى الملك أنه يحيي ويميت لم يجادله سيدنا إبراهيم-عليه السلام- في ذلك؛ لأنه عَلِمَ أنَّ فَهْم النمرود للإحياء والموت لم يكن إحياءً حقيقيا فهو لم يفهم حقيقة الإحياء والموت، فأراد سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أنْ يُعْلِمَ الملك ومَنْ ءامن به أنه ليس بإله وإنما هو من البشر الذين استخلفهم الله في الأرض، فأتى بتحد آخر؛ وهو أنَّ الله يأتي بالشمس من

---

(١) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج١، ص٢٨. راجع أقوال العلماء في محور السورة ص ٢٦-٢٨.

(٢) المجيدي، عبد السلام، **إشراق الحضارة الإسلامية على العالم**، (قطر: شركة الخليج، د.ط، ٢٠٢١)، ص٢٦.

(٣) يُنظر: الدخيل، خليل بن عبد الله، "ملامح من قصة إبراهيم -عليه السلام- في سورتي البقرة وإبراهيم دراسة موضوعية"، **مجلة تبيان**، ع١٨، ص١٣٥-١٣٦.

المشرق، وطلب منه أن يأتي بها من المغرب؛ حتى يعلم عجزه وعدم قدرته على ذلك ويعود إلى حقيقته البشرية، إلا أنه لم يؤمن فكان ممن أضاعوا ما أراده الله من الاستخلاف.

هذا ما يؤكده أيضًا مشهد الرجل الذي مر على قريةٍ، ويأتي بعده مشهد طلب الخليل من الله أن يريه كيف يحيى الموتى لتدور المشاهد حول المحور نفسه.

وهو ما تدور حوله السورة من إثبات وحدانية الله تعالى حتى تتهيأ النفس لتلقي أوامره، فنجد أن هذه القصة تثبت أن للكون إلهًا واحدًا يجب اتباع أوامره واجتناب نواهيه من حلال وحرام.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

هذه السورة هي أول ما نزل بعد هجرة النبي ﷺ وبداية تأسيس الدولة الإسلامية والتي سوف يشعُّ منها النور في جميع أرجاء العالم، فكانت البداية بترسيخ أن "هدى الله هو ما عليه النبي ﷺ من التوحيد والإسلام الذي هو ملة إبراهيم –عليه السلام–، وأن ما عليه أهل الكتاب أهواء زائغة، وأن ما يدّعونه من أنهم على ملته –عليه السلام– فرية بلا مرية"[1].

وبيّن المشهد أن الإمامة مرتبطة بالبيت الحرام، وأن الوراثة الدينية ستنتقل إلى أمة الإسلام، فهم الذين تحققت فيهم دعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بإرسال خاتم النبين فيهم[2]، وهذا يتناسب مع مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية، وكأنها بشرى بالتمكين، فكما تحققت دعوة الخليل ببعثة سيدنا محمد ﷺ، سيكون لأمته النصر، وسيكونون هم القائمون على البيت.

---

(١) أبي السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص١٥٤.

(٢) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج١، ص١٦٧.

والموضع الثاني جاء لتثبيت عقيدة البعث، وقدرة الله في أهم القضايا؛ وهي إحياء الموتى، فتتحدث الآيات عن مُنْكِر البعث أو المتعجِب منه أو مَنْ أراد أن يرى بعينه ما ءامن به قلبه، وهي قضية هامةٌ لأهل المدينة وهم حديثو عهد بالإسلام؛ فهي تبين قدرة الله عز وجل وأنه القادر على كل شيء فحين خرج النبي ﷺ ومعه صاحبه الصديق –رضي الله عنه– من مكة والخوف يملأ قلب الصديق على نبي الله؛ ردَّ الله كيد المشركين، بأنْ نجاه من أيديهم ووصلا إلى المدينة.

وجاءت الآيات تمثل حال المشركين في مجادلة النبي ﷺ، وإنكارهم لوحدانية الله وإنكارهم لأمر البعث، كما كان حال قوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في مشهد هذا الملك الذي لم يكن منكِرًا لوجود الله، بل كان منكِرًا لوحدانية الله وأنه هو المتصرف والمدبر في هذا الكون(١).

وهذا الملك الذي أعطاه الله الملك وجعل في يده السلطة كان ينبغي أن يؤمنَ ويشكرَ الله على نعمه، ولكنه أصرَّ على كفره، وهذا ما حدث أيضا من زعماء الكفر حين أصروا على كفرهم واستكبروا وعاندوا ولم يؤمنوا ولم يعترفوا بوجود إله واحد، فكانت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بمثابة، مرحلة تمهيد للجهاد في سبيل الله والتضحية بالمال والأنفس فالمحي هو الله والمميت هو الله.

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣١.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تظهر العلاقة المتناسقة المتكاملة بين القصة والسياق النصي للسورة؛ من خلال الآيات السابقة واللاحقة لها:

فكانت علاقة القصة بما قبلها:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ....﴾ [سورة البقرة: ٣٠] حيث افتتح مشهد إبراهيم –عليه السلام– عطفا على الآية السابقة والتي تذكر بنعمة الخلق الأول، والمشهد يذكرهم بأبيهم الأقرب وهو إبراهيم –عليه السلام–وقد ذكر فضل الأبوين آدم وإبراهيم –عليهما السلام–، فجاء الخبران على أسلوب واحد على أبدع وجه، وأحكم نظم(١).

وعلاقتها ببني إسرائيل: حيث اتصلت الآيات فيما بينها اتصالا وثيقا على اختلاف معانيه، وكأنها جملة واحدة في حسن مساقها ونظم اتساقها، وتبين أن بلاغتها خارجة عن قدرة أي إنسان(٢). فبعد أن انتهى الحديث عن بني إسرائيل، وفسادهم، واعوجاج طريقتهم جاء مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ليبين لهم أنه ما كان إلا حنيفًا مسلمًا، وقد أوصى بنيه بالإسلام، ولم يوص باليهودية ولا بالنصرانية (٣).

وتبين الآيات "التجربة الإسرائيلية في الاستخلاف في الجانب الإيجابي والسلبي، وفي هذا المحور أعادهم الله إلى الأصل الإبراهيمي، فبين حقيقة اصطفاء إبراهيم –عليه

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٠٠.

(٢) يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٦٦٤.

(٣) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ص١٦٧.

السلام- وحدد المكان وهو البيت العتيق ليكون مركز تحقيق المصالح البشرية وهو البيت العتيق"[١].

بينت الآيات السابقة نعمة الله التي أنعمها على بني إسرائيل، وكيف قابلوا هذه النعم بالكفر والجحود، وبعد ذلك ذُكرت قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-؛ لأن اليهود والنصارى يزعمون انتماءهم إليه -عليه السلام-، فلو صدقوا لكانوا اتبعوا الرسول ﷺ، وتمسكوا بشريعته؛ لأنها أثر دعوة أبي الأنبياء[٢].

- **علاقة القصة بما بعدها من الآيات:**

لما جاء ذكر سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لينهي الجدل والتشكيك الذي قام به اليهود عند تغير القبلة، وادعاءهم أنهم شعب الله المختار، أي أنه لا يأتي نبي إلا منهم، وجاءت الآيات التالية للمشهد تؤكد أن الكعبة هي قبلة المسلمين[٣].

وجاء ذكر بناء سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لبنائه بيت الله الحرام، ودعائه أن يبعث الله رسولًا من ذريته يعلم الناس الكتاب والحكمة، وكيف أنه -عليه السلام- وبنيه كانوا على ملة الإسلام، ولكن بنو إسرائيل لم يحملوا الأمانة، ولم يتوجهوا إلى قبلة أبيهم، فجاءت الآيات التالية تبين رجوع أمر القبلة إلى مكة[٤].

---

(١) المجيدي، عبد السلام، **إشراق الحضارة الإسلامية على العالم**، ص١٦٦ بتصرف يسير.

(٢) يُنظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١، ص٣٠٣.

(٣) يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١، ص٥٦٩.

(٤) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج١، ص١٧٠.

- **علاقة المشاهد ببعضها:**

- مشهد إمامة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–.
- مشهد بناء الكعبة.
- مشهد الدعاء لإرسال رسولًا من ذريته يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.
- وصية سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ألا يموتوا إلا وهم مسلمون.

فنجد ترابط المشاهد مع بعضها البعض مع محور السورة في بيان خلافة الله في الأرض فيأتي مشهد إمامة الخليل –عليه السلام– ليتأكد معنى الاستخلاف في الأرض؛ ثم يأتي مشهد إعمار الكعبة، ودعائه ووصيته للاستمرار على الخلافة وإعمار الأرض.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة: (الموضع الثاني)

تكمن علاقة القصة بما يتناسق ويتكامل معها من خلال الآيات السابقة واللاحقة لها:

فكانت علاقة القصة بما قبلها:

- **علاقتها بقصة طالوت وجالوت:** يأتي مشهد البعث لبني إسرائيل طالوت ملكا؛ لكي يصلح المجتمع الذي جاء إليه؛ وذلك بمحاربة جالوت وجنوده المفسدين في الأرض، فيكون نموذجا عمليا على جهاد المفسدين الذين أخرجوهم من ديارهم، ثم تتوالى الآيات حتى نرى ذلك في مشهد إبراهيم –عليه السلام– الذي أراد إصلاح المجتمع الذي كان يؤمن بألوهية البشر، أي بألوهية الملك، وما فيه من شرٍ وعدم إيمان المجتمع برب البشر

الذي فيه الصلاح والفلاح ومن هنا كانت مناظرة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع هذا الملك [١].

– **علاقتها بآية الكرسي وما بعدها من الآيات:** يأتي مشهد قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– مترابطًا مع آية الكرسي والآيتين بعدها والتي تبين ما لله من الإحاطة وتبين صفات الله وعظمته، ثم أنَّ اللهَ مُتَوَلِّي أهل الإيمان وخاذِل أهل الكفر، ثم أردفه بقصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– يبين فيها حال الملك ومحاجته لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– ثم بين طلب المارّ على القرية، وبين طلب سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن يرى كيف الله يحيي الله الموتى[٢] ويبين الله سبحانه فيها قدرته على إحياء الأنفس والبعث بعد الفناء[٣]، وأن الله مُهْلِك وخاذل الملك بسبب إصراره على ادِّعائه الربوبية. فتأتي آيات قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بمثابة تعقيب وبيان مواقف متعددة للمؤمن والكافر[٤].

– **علاقتها بقوله تعالى:** ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧] جاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تبين مضمون الآية السابقة من خلال مثال إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأن الطاغوت يخرج الناس من النور إلى الظلمات، ثم يأتي ذكر قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

---

(١) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج١، ص٣٥٤.

(٢) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٤، ص٤٩٤٧.

(٣) يُنظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص١٥٠.

(٤) يُنظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج٦، ص٤٧٩. بتغيير يسير

لاشتمالها على ضلال الكافرين وهدى المؤمنين[1]، فنجد المقارنة الرائعة بين ملك جاء ليُخْرِجَ الناس من الظلمات إلى النور وبين ملك يُصِرُّ على إخراج الناس من النور إلى الظلمات.

- **علاقة القصة بما بعدها في السورة:**

نجد أيضا خيطا دقيقا يربط بين الآيات يبين عظمة الخالق وقدرته، فبعد آيات القصة التي اشتملت على قدرة الله على البعث بعد الموت تأتي آية إحياء الله للنبات وكيف تسير فيه الحياة بعد أن كان حبا قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١]، إنها قدرة الله.

علاقة المشاهد ببعضها:

ثمة ترابط دقيق وعجيب بين المشاهد في السورة:

- قصة البعث في مشهد الملك مع الخليل، وما فيها من إنكار الملك أن الله وحده الذي يحي ويميت.
- مشهد الرجل الذي مرَّ على قرية، وما فيه من تعجب الرجل الشديد من قدرة الله تعالى، فأراه الله قدرته في نفسه وفي غيره.
- مشهد الخليل مع ربه في تساؤله كيف يحيي الله الموتى ليطمئن قلبه؛ فأراه ذلك في غيره وهو الطير، فتقدَّم مشهد المارّ على القرية على مشهد الخليل رغم أن الخليل

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣١.

مقدم في الزمان على المارّ؛ لكي يكون الإنكار في الأول ثم يأتي من بعده التعجب ثم من بعده عين اليقين، وفي المشاهد جميعًا إثبات قدرة الله تعالى على إحياء الموتى والبعث[1].

وتتناغم قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع المحور العام للسورة الذي يتناول دور الأمة الإسلامية في إحياء الدنيا على منهج وشرع الله فالإحياء لا يقصد به إحياء النفس فقط، بل هناك إحياء معنوي، فمناظرة إبراهيم -عليه السلام- الملك كانت لإحياء الأمة وخروجها من موت ظلمات الجهل والشرك إلى حياة النور والعلم والتوحيد فيكون قد بنى وأصلح المجتمع الصغير الذي يؤدي بدوره إلى إصلاح المجتمع الكبير ومِنْ ثَمَّ إصلاح الدنيا بأكملها ولا يكون ذلك إلا بالترغيب في الجهاد وبذل النفس والمال لله تعالى[2].

وانفردت السورة بمشاهدها الثلاثة وذلك لتناسقها وتكاملها وترابطها مع محور السورة.

وانفردت السورة بلفظ ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [سورة البقرة: ١٣٦] ولم تأت ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ لتناسب سياق الآيات لأنها مصدرة بخطاب المسلمين

---

(١) يُنظر: الهرري، محمد الأمين، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ج٤، ص٣٥.

(٢) نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج١، ص٣٥٤.

فالمؤمنون لم ينزل عليهم الوحي، وإنما أنزل على الأنبياء، ثم انتهى بقوله ﴿قُولُوا﴾ وهو خطاب لغير الأنبياء، فكان اختيار إلى أولى من اختيار على[1].

وانفردت السورة أيضا بلفظ (بلدا) جاءت نكرة؛ لأن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قد ترك زوجه وابنه في مكان غير مأهول بالناس وليس فيه زرع فهو صحراء قاحلة[2].

الخلاصة:

سورة البقرة تعد أول سورة بعد هجرة النبي ﷺ ويدور محورها حول بيان خلافة الله في لأرض بين مَنْ أضاعوها ومَنْ أقاموها.

أما علاقتها بالسياق التاريخي:

تعد السورة المدنية التي تناولت ذكر قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بتذكيرهم بأن هدى الله هو ما عليه الرسول ﷺ، وهو ملة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، وأيضا كأن الآيات تمهد لبداية تأسيس الدولة الإسلامية في مشهد تحويل القبلة، وجاءت مشاهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في الموضع الثاني تبين قدرة الله عز وجل ونور الإيمان وظلام الكفر، من خلال بيان مشاهد متعددة ومنها الملك المُدَّعِي الربوبية كيف كان يُخْرِج الناس من النور إلى الكفر، فهذه الآيات تمثل حال المشركين في المجادلة وإنكار البعث، وبيان قدرة الله من خلال هجرة النبي ﷺ ومعه الصديق ونجاتهما ووصولهما إلى المدينة، وما كانت هذه الهجرة إلا بعد إيذاء المشركين له بشتى وسائل الإيذاء.

---

(١) يُنظر: الإسكافي، أبو عبد الله محمد الأصبهاني، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، (السعودية: معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١)، ج١، ٢٩٨-٢٠٤.

(٢) يُنظر: لإسكافي، أبو عبد الله محمد الأصبهاني، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ج١، ٢٨٢.

وأما علاقتها بالسياق النصي:

تناولت الآيات ذِكْر خلافة الله في الأرض بين من أقاموها ومن أضاعوها فبينت الآيات أن بني إسرائيل أضاعوها، وأفسدوا في الأرض، وجاء مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– يبين أنه أقامها، وأصلح اعوجاها، وجاءت قصتا سيدنا إبراهيم وآدم –عليهما السلام– تذكر بنعمة الخلق، والتذكير بأبيهم الأقرب.

وذكر في المقطع الثاني قصة طالوت وجالوت فأرسل الله طالوت لِيُصْلِحَ المجتمعات ويُنْهَيَ الفساد في الأرض، كما جاء مشهد الملك المدَّعي الربوبية الذي أرسل الله له سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حتى يُبَيِّنَ له شرَّ فَعْلَتِه وأنها تؤدِّي إلى الفساد.

تضمنت الآيات السابقة آية الكرسي وما بعدها قدرة الله عز وجل وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وأن الله ناصر أهل الإيمان وخاذل أهل الكفر والضلال، وجاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بمشاهدها المتعددة التي تبين عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة، وأن الملك المدَّعي الربوبية ساند الشيطان وعاونه فأخرج الناس من نور الهدى والإيمان إلى ظلام الكفر والعصيان.

المطلب الثاني: براءة جد القرشين والذين معه من الشرك (سورة الممتحنة ٤-٦).

سورة الممتحنة مدنية، تعد في ترتيب النزول بعد سورة الأحزاب قبل سورة النساء[١]، وأما في ترتيب المصحف بعد سورة الحشر، وعدد آياتها "ثلاثة عشر آية لا خلاف فيها"[٢].

محور سورة الممتحنة:

يدور محور السورة في كتاب التفسير الموضوعي حول تحديد معالم علاقة أهل الإيمان بغيرهم، وأثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع[٣].

ويرى سعيد حوى أن المحور هو: تحديد ما ينبغي للمؤمن فعله، وما لا ينبغي فعله.

ويقول البقاعي "براءة من أقر بالإيمان بمن اتسم بالعدوان دلالة على صحة مدعاه"[٤].

وترى الباحثة أن محور السورة الرئيس يدور حول براءة أهل الإيمان من أهل الكفر، وما ينبغي لأهل الإيمان فعله، وما لا ينبغي فعله.

---

(١) يُنظر: الشايع، **المكي والمدني في القرآن**، ص٧٩.

(٢) الداني، **بيان في عد آي القرآن**، ص٢٤٤.

(٣) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج٨، ص٩٠.

(٤) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٩، ص٤٨٣.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق التاريخي لنزولها:

نزلت الآيات في حاطب بن أبي بلتعة –رضي الله عنه– عندما كتب كتاب إلى قريش يخبرهم أن النبي ﷺ يستعد للذهاب إلى مكة لصلح الحديبية أو لفتح مكة(١).

وقال ابن عاشور: "وعطف والذين معه ليتم التمثيل لحال المسلمين مع رسولهم ﷺ بحال إبراهيم عليه السلام والذين معه، أي أن يكون المسلمون تابعين لرضى رسولهم ﷺ كما كان الذين مع إبراهيم عليه السلام"(٢).

---

(١) سمعت عليا رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: " إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " البخاري في **صحيحه**، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوسية، ج٤، ص٥٩، رقم(٣٠٠٧).

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٨، ص١٤٣.

علاقة قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بالسياق النصي للسورة:

تترابط الآيات بين بعضها البعض بما سبقها وبما جاء بعدها:

- **فكانت علاقة القصة بما قبلها:**

تبدأ السورة بنهي المؤمنين عن موالاة الكفار المعتدين، حتى لو كانوا أرحامهم، وهذا ما يتناسب مع مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– والدعوة للتأسي به وبالمؤمنين معه في موقفهم من قومهم حين تبرؤوا منهم ومما يعبدون من دون الله(١).

- **علاقة القصة بما بعدها في السورة:**

جاءت الآيات تسلي المؤمنين وتدعوهم للتأسي بسيدنا إبراهيم –عليه السلام– ومن معه، في براءتهم من قرابة المشركين فجاءت الآيات بعدها تُمَني المؤمنين أن يرفع الله الحرج عن أهل الإيمان بزوال حال العداء والجفوة، بأن يغرس في قلوبهم محبة الإسلام، كما تمنى سيدنا إبراهيم –عليه السلام– والذين معه أن يزول العداء عندما يرجع أهل الشرك عن شركهم، ويؤمنون بالله وحده، فجاءت الآيات التالية للمشهد وهي تحمل الأمل والبشرى للمؤمنين فأباحت للمؤمنين صلة المسالمين من أعدائهم، وهم الذين لم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من ديارهم أو يعاونوا على إخراجهم(٢).

---

(١) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٩، ص٢٦٦.

(٢) يُنظر: نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، ج، ص١٠٥–١٠٦.

- **علاقة المشاهد ببعضها:**

- الاقتداء بأبي الأنبياء –عليه السلام– لتبرئهم من قومهم ومما يعبدون من دون الله.
- أدعية سيدنا إبراهيم ألا يجعلهم فتنة، وأن يغفر لهم.

وهذا ما يتناسب مع محور السورة حول براءة أهل الإيمان من أهل الكفر، وما ينبغي لأهل الإيمان فعله، وما لا ينبغي فعله، مثل ما فعل سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من تبرؤه من قومه الذين يعبدون غير الله.

وانفردت السورة ببراءة الذين معه مع سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من قومهم ومما يعبدون من دون الله[1].

الخلاصة:

سورة الممتحنة مدنية، ويدور محور السورة حول براءة أهل الإيمان من أهل الكفر، وما ينبغي لأهل الإيمان فعله، وما لا ينبغي فعله.

وأما علاقتها بالسياق التاريخي بما حدث من أبي بلتعة من إرسال كتاب لقريش يبين لهم مكان النبي ﷺ، فجاء مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– يبين أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تبرأ من قومه لأنهم يعبدون غير الله.

وأما عن علاقة القصة بالسياق النصي فتكمن في بيان النهي عن موالاة من لا يؤمن بالله، فجاء مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ومن ءامن معه تبرؤه من قومه، ثم

---

(١) يُنظر: الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٧، ص١٠١.

جاءت الآيات بعدها تبشرهم بأن المولاة من الممكن أن تكون للمشركين غير المعادين للمسلمين.

الفصل الثاني:

دلالات السياق في موارد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم:

المبحث الأول: الدلالات في جانب العقيدة من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم:

المطلب الأول: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من خلال توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من خلال توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

المطلب الثالث: الإيمان بالملائكة، والكتب والرسل واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–.

المبحث الثاني: الدلالات في جانب التربية والدعوة من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم:

المطلب الأول: المنهج العاطفي من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–.

المطلب الثاني: المنهج العقلي من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–.

المطلب الثالث: المنهج الحسي أو التجريبي من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

الفصل الثاني:

دلالات السياق في موارد قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم

للقصة القرآنية دلالات عدَّة، منها ترسيخ العقيدة، فمن خلال المشاهد المتعددة يستطيع المتدبر للقرآن فهمه فهما صحيحا، كما تضع منهجا للداعية يستطيع السير عليه، فالقصة مفعمة بالكثير من الدلالات، وسأتناول في هذا الفصل مبحثين:

المبحث الأول: دلالة العقيدة الإسلامية وتتضمن ثلاثة مطالب يدور الحديث فيها عن أركان الإيمان.

المطلبان الأول والثاني: يتناولان الإيمان بالله من حيث الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

والمطلب الثالث: يتناول بقية الأركان وهي الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

المبحث الثاني: دلالة التربية والدعوة في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وأتناول فيها الدراسة من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المنهج العاطفي من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

والمطلب الثاني: المنهج العقلي من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

والمطلب الثالث: المنهج الحسي من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

وما يتضمن كل منها من أساليب مختلفة تتناسب مع فئة المخاطبين على اختلاف أعمارهم، أو علمهم أو غير ذلك، ومن ثم يكون تأثيرها في النفس أعمق.

المبحث الأول:

الدلالات في جانب العقيدة من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم.

يتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من خلال توحيد الألوهية وقد اشتمل على نقطتين الولاء والبراء، والدعاء.

المطلب الثاني: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من خلال توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتضمن في الربوبية دلالة العقل والحس، وأما الأسماء والصفات فتحتوي على: لفظ الجلالة الله، والتواب الرحيم، والعزيز الحكيم، الحميد المجيد، السميع، الحكيم العليم.

المطلب الثالث: الإيمان بالملائكة، والكتب والرسل، واليوم الأخر، والقدر خيره وشره، من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–.

المطلب الأول: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم من خلال توحيد الألوهية

إن الإيمان بالله أصل من أصول الدين، فيكون الحب في الله والبغض في الله، والخوف والرجاء، ويكون كل شيء لله عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَن أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكملَ الإيمان"[1].

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، أبواب النوم، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، ج٧، ص٦٩، تحقيق الألباني حديث صحيح.

أولا: الولاء والبراء

إن الولاء والبراء لهما مكانة عظيمة في الإسلام فهما أوثق عرى الإيمان، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥١].

وجاءت إشارات في ذكر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن ما يقر ويثبت أن الولاء والبراء لا يكونان إلا لله وحده، واستخدم لفظ البراءة صريحًا في بعض الآيات:

- قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].
- قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٧٥–٧٧].
- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦–٢٨].

ففي الآيات السابقة إعلان سيدنا إبراهيم –عليه السلام– البراءة مما يُعبد من دون الله، ومن يعبد غير الله، حتى وإن كان من نتبرأ منه أقرب الناس إلينا[1] كما فعل سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حين أعلن تبرؤه مما يعبد أبوه عندما تبين له إصراره على الكفر والضلال، وتبرأ

(١) يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٩، ص٤٩٦.

أيضا مما يعبد قومه بعد أن قدم لهم الحجج والبراهين فجعل الموالاة لله تعالى وأن لا إله إلا الله، والبراءة من كل معبود سواه.

ونحن أمرنا بالاقتداء بالخليل إبراهيم –عليه السلام– كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٥] ونهانا أن نرغب عن ملته قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠–١٣١] وأمرنا أن نثبت الولاية لله تعالى فقط وأن نتبرأ من كل ما يعبد من دونه.

وقد وردت كلمة حنيفًا في القرآن ١٢ مرة ٧ مرات مقترنة بملة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وذكرت الملة في القرآن ١٥ مرة و٧ منها مضافة إلى سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وهو الاسم الوحيد الذي أضيفت إليه الملة قال تعالى: (ملة إبراهيم حنيفا)، لمكانته المركزية – عليه السلام

ويرجع وصف الخليل عليه السلام– المتكرر بالحنيفية والملة إلى مركزيته بين الأنبياء وهو أول نبي يتنازع عليه أهل الأديان فقد جاءت الآيات تأمر باتباع ملة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فهي ملة الفطرة ولبيان أن الخليل لم يكن يهوديا ولا نصرانيا[١].

والملة ترادف الدين من حيث المضمون وتختلف من حيث الاستعمال، فالدين ينسب إلى الله والملة تنسب إلى الرسول.

---

(١) يُنظر: حللي، عبد الرحمن، **الدين والملة والشرعة والحنيفية**، (دمشق: دار الريادة، ط١، ٢٠١١م–١٤٣٢هـ)، ص٤٨–٥١، ٢٩–٣١.

ولمصطلح الحنيف وظيفتان:

أولهما: وصف لطبيعة دين الخليل والأنبياء.

وثانيهما: توصيف لما يجب أن يكون عليه المؤمن من تنزيه وفطره.

ثانيا: الدعاء لله وحده

الدعاء له أهمية في حياة العباد يقول الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦]،

وقد ورد في عدد من السور دعاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– منها:

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٢٦–١٢٩]

قال تعالى: ﴿وَإِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّ اجعَل هذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجنُبني وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثيرًا مِنَ النّاسِ فَمَن تَبِعَني فَإِنَّهُ مِنّي وَمَن عَصاني فَإِنَّكَ غَفورٌ رَحيمٌ ۝ رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهوي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَشكُرونَ ۝ رَبَّنا إِنَّكَ تَعلَمُ ما نُخفي وَما نُعلِنُ وَما يَخفى عَلَى اللَّهِ مِن شَيءٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ۝ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي

وَهَبَ لي عَلَى الكِبَرِ إسماعيلَ وَإسحاقَ إِنَّ رَبّي لَسَميعُ الدُّعاءِ ۝ رَبِّ اجعَلني مُقيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتي رَبَّنا وَتَقَبَّل دُعاءِ ۝ رَبَّنَا اغفِر لي وَلِوالِدَيَّ وَلِلمُؤمِنينَ يَومَ يَقومُ الحِسابُ﴾ [سورة إبراهيم:٣٥-٤١]

في المشهدين السابقين دعا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لأهله وذريته ولبيت الله الحرام أن يكون آمنا، وأن يرزق المؤمنين الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، وأن يتوب الله عليه وعلى إسماعيل، ودعا أيضا أن يبعث الله رسولا منهم ليدعوهم لتوحيد الله، ويزكيهم ودعا أن نقيم الصلاة ودعا أن يتقبل الله منه.

وقد استجاب الله دعاء الخليل وجعل البيت يحن المسلمون إليه، وأنهم يترددون إليه كل عام، وجعله آمنا في الجاهلية والإسلام، ورزق أهلها من الثمرات من آمن منهم ومن كفر، وأرسل فيهم رسولا منهم هو محمد بن عبد الله ﷺ.

وهذا يوجب علينا أن نقتدي بسيدنا إبراهيم -عليه السلام- في كثرة دعائه وتضرعه لله تعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بالله في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من خلال توحيد الربوبية والأسماء والصفات

ينقسم المطلب إلى قسمين:

القسم الأول: الربوبية

أولا: دلالة الفطرة:

إن الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها تعد من أعظم الأدلة على وجود الله وهي أصل في نفس الإنسان ولا يحتاج الشخص إلى السعي والاستدلال عليها؛ لأنها راسخة مستقرة في داخل النفس، ولهذا تعد دلالة الفطرة أصلا لكل الدلالات الأخرى(١).

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟)) قالوا: يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: (الله أعلم بما كانوا عاملين))(٢).

---

(١) يُنظر: الملفوح، فوزية محمود عبد الرحمن، **أصول الإيمان في قصة إبراهيم –عليه السلام–**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (غزة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ)، ص٣٤.

(٢) البخاري في **صحيحه**، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ج٨، ص١٢٣، رقم(٦٥٩٩).

وقد بعث الأنبياء ليقروا هذه الفطرة ويكملوها قال ابن تيمية: "والرسل – صلوات الله عليهم وسلامه – بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها"[١].

وتأتي مشاهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وهو يتأمل في ملكوت السماوات وهي توصله إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي توحيد الربوبية، ويبرز ذلك من خلال بيان بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الهياكل والأصنام، وأن الكواكب والنجوم والشمس قد خلقها الله عز وجل وحده[٢].

فهو "الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها هو الإله الحق وحده"[٣] وهو المستحق للعبادة، ثم قال سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لهم في قوله تعالى: ﴿ إِنّي وَجَّهتُ وَجهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرضَ حَنيفًا وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٩]، أي دلت عليه هذه المحدثات وأن الله هو مبتدئها[٤]، وأنه –عليه السلام– يرفض العقائد الفاسدة، والأديان الباطلة[٥].

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، **جامع الرسائل لابن تيمية**، تحقيق: رشاد سالم، (الرياض: دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٢، ص ٨٥.

(٢) يُنظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، ج٣، ص٢٦١.

(٣) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٢٦٧.

(٤) يُنظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)**، ج٢، ص١٣٧.

(٥) يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تفسير أبي السعود)**، ج٣، ص١٥٤.

ويقول سيد قطب: "كما تتجلى في فطرة عبد من عباد الله الصالحين إبراهيم –عليه السلام– ويرسم مشهدا رائعا حقا للفطرة السليمة، وهي تبحث عن إلهها الحق، الذي تجده في أعماقها، بينما هي تصطدم في الخارج بانحرافات الجاهلية وتصوراتها"[1].

قال تعالى: ﴿فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٤].

بعد أن كسر الخليل الأصنام وترك لهم كبيرهم، ويرى ابن كثير: أنكم بعد أن عبدتموها ولا قدرة لها تركتموها بلا حافظ[2] ففطرتهم التي أرشدهم إليها إبراهيم –عليه السلام– رجعوا إليها وأقروها.

ومن الملاحظ مما سبق: أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– يدل قومه على دلالة الفطرة وأن الفطرة السليمة هي الأساس فالتأمل في ملكوت السماوات والأرض يوصلنا إلى ما فطرنا عليه وهو توحيد الله وهذا يوصلنا إلى النقطة التالية.

ثانيا: دلالة العقل (التفكر في آيات الله):

إن المتفكر والمتأمل في الكون، والمخلوقات، والكائنات، يظهر له دقة صنع الله وروعته، وهو في حد ذاته يجعل الإنسان يستمر في التسبيح وتقديس الله وحمده سبحانه وتعالى، كما إنها تصل بالإنسان لقناعة تامة أن لهذا الكون مدبرًا وخالقًا ومالكًا واحدًا، فإذا نظرنا وتأملنا وتفكرنا، وتدبرنا في آيات الله الكونية، نجد عظيم قدرته قال تعالى: ﴿.. وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل

---

(١) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١١٣٧.

(٢) يُنظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، ج٥، ص٣٠٧.

عمران: ١٩١]، وقال تعالى:﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [سورة الطارق: ٥]، وقال تعالى: ﴿قلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٠].

وقد دعا سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أباه وقومه أن يتفكروا، وكان ذلك في أكثر من مشهد ليصل بهم بالحجة والبرهان إلى أن للكون ربا واحدا ومن هذه المشاهد:

- حواره مع أبيه آزر حين ذكره بأن الذي يعبده لا يسمع ولا يبصر، وأن هذه الأحجار لا تملك لنفسها نفعا فكيف تنفع الناس؟! فمن المستحيل أن يكون ربا.
- حواره مع قومه في التأمل في خلق السماوات، حين نظر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– للملكوت وبين لهم أنها لا تصلح أن تكون هي الإله.
- حواره مع الملك مدعي الربوبية حين قال بأنه يحيي ويميت، فرد عليه سيدنا إبراهيم –عليه السلام– إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب.

ومن الملاحظ مما سبق أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في كل المشاهد السابقة يدعوهم للتفكر والتأمل، وفي المحاورات أتى لهم باستدلال على ربوبية الله بالحقائق الكونية؛ حتى يدركوا ذلك بأبصارهم وعقولهم، وهنا خاطبهم بدلالة الفطرة والعقل؛ حتى يؤمنوا ويدركوا أن الكون كله مسخر من قبل المالك، فهو مستحق العبادة وحده، كما يبطل اعتقاداتهم الباطلة.

القسم الثاني: الأسماء والصفات وصلتها بسياق القصة:

أولا: أسماء الله الحسنى

١. التواب والرحيم:

ورد لفظ التواب مقترنًا بالرحيم في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى: ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٨]، تبين الآية دعوة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بأن يجعل المسلمين وذريتهم أمة مسلمة، ويتوب عليهم، جاء لفظا التواب والرحيم مناسبين للسياق؛ لأن المناسك في بيت الله وما يتبعها تتطلب التوبة والتخلص من المعاصي والذنوب[١] وجاء لفظ الرحيم دون غيره من الأسماء؛ لأن زوار بيت الله الحرام هم المؤمنون.

وتقديم التوبة على صفة الرحمة[٢]:

١. مناسب هنا لمجاورة الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ فجاء لفظ التوبة أولا.

٢. لخصوصية المكان؛ لأن زائر البيت يطمع في توبة الله عليه.

٣. لعموم صفة الرحمة، والتوبة جزء منها فقبول التوبة سبب رحمة الله على عبده.

٤. لمراعاة الفاصلة القرآنية.

---

(١) يُنظر: سندي، فؤاد بن محمود بن محمد، **من لطائف التعبير القرآني حول سير الأنبياء والمرسلين**، (مكة المكرمة: د.ن، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٢م) ص٢٢٤.

(٢) يُنظر: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ)، ج١، ص٦٢٥.

٣. العزيز والحكيم:

اسم العزيز لغة له عدة معان وهي[١]:

١. هو الذي امتنع على أعدائه فلا غالب له.

٢. الذي ليس كمثله شيء.

٣. هو القوي الغالب.

وأما اسم الحكيم فهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها ويعرف أفضلها[٢].

وقد جاء هذان الاسمان من أسماء الله عز وجل في قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩].

وناسب ذكر اللفظين لما قبلهما؛ لأن الرسل لا بد أن تتصف بالأوصاف التي سألها إبراهيم –عليه السلام– بالعزة وهي القوة والغلبة، وأيضا الحكمة[٣].

وتقدم لفظ العزيز على الحكيم؛ لأن لفظ العزيز من صفات الذات، وأما الحكيم من صفات الأفعال، ومراعاة للفاصلة القرآنية[٤].

وأيضا جاء في قوله تعالى: ﴿اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠] أي لا يغلبه ولا يمنعه شيء، وأنه حكيم في تدبير خلقه وشرعه، ويتضح ذلك في مشهد إحياء الطيور لسيدنا إبراهيم

---

(١) يُنظر: أبو شنب، إبراهيم، **منحة الجليل في أسماء الله الحسنى من السنة والتنزيل**، (الإسكندرية: دار الإيمان، د.ط، د.ت)، ص٧٩.

(٢) يُنظر: أبو شنب، **نفس المرجع السابق**، ص١٤٤.

(٣) يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٦٢٧.

(٤) يُنظر: أبو حيان، **نفس المرجع السابق**، ج١، ص٦٢٧.

-عليه السلام- حين يحيي الطيور فهو عزيز لا يمنعه شيء ولا يغلبه وفي إعادة الطيور لما كانت عليه فهو حكيم في شؤون خلقه.

وقد ذكرت الآيات في تذييلها العزيز الحكيم، وهي أولى من الغفور الرحيم، وذلك؛ لأن العزة والحكمة لا يوجبان المغفرة، فكونه سبحانه وتعالى عزيزًا فإنه يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد. وعزيزًا "أي متعاليًا عن جميع جهات الاستحقاق، فإن حكم بالمغفرة فهو الكريم، وهنا أتم مما إذا كان كونه غفورا رحيما"، ويدل العزيز الحكيم على تفويض الأمر بالكلية إليه سبحانه وتعالى، وذكر العزيز كناية عن أنه يغفر عن مقدرة والحكيم تناسب التفويض[1].

٤. الحميد والمجيد

المجيد هو واسع الكرم، قال الخطابي: "المجيد: هو الواسع الكرم، وأصل المجد العطاء والسخاء"[2]، واسم الحميد هو المحمود المثنى عليه، وهو الحميد بحمده لنفسه وبحمد عباده له دائمًا، فالحميد المطلق هو الله عز وجل بصفات الجلال والعلو والكمال[3].

ورد الاسمان في حوار سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع الملائكة حيث قال تعالى: ﴿قالوا أَتَعجَبينَ مِن أَمرِ اللَّـهِ رَحمَتُ اللَّـهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيكُم أَهلَ البَيتِ إِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ﴾ [سورة هود: ٧٣] فبشرت الملائكة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وامرأته، فناسب لفظ حميد ليدل على

---

(١) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، ج١٢، ص٤٦٨.

(٢) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، (د.ن: دار الثقافة العربية، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ص٧٤.

(٣) يُنظر: الغزالي، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، تحقيق: بسام عبد الوهاب، (قبرص: الجفان والجابي، ط١، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ)، ص٩٥.

تعجيل النعم، ولفظ المجيد ليدل على أنه ماجد وممجد في صفاته وهباته مستحق للتمجيد والحمد.

وفي اختيار وصف الحميد من بين أسمائه الحسنى لتدل عن رضى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم –عليه السلام– وأهله[١].

٥. السميع العليم

اسم السميع هو الذي يسمع السر والنجوى قال الخطابي: " السميع: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة،... وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عند الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة"[٢].

وقد جاء في خاتمة دعاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧] فلفظ السميع يتناسب مع التضرع والدعاء إلى الله، وعليم بالإخلاص والنوايا[٣].

٦. الحكيم العليم

ورد الاسمان من أسماء الله في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع الملائكة قال تعالى: ﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الذاريات: ٣٠] فناسب ذكر الحكيم ما ذكر في بداية الآية فهو حكيم في أقواله وأفعاله، وأيضا لفظ العليم ليدل أن الله عالم بمصالح عباده. وقال

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص١٢٢.

(٢) الخطابي، أبو سليمان، **شأن الدعاء**، ص٥٩.

(٣) يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٣٨٨.

تعالى: ﴿وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٨٣].

فقدم الحكيم على العليم ليفيد أن ذلك الإحكام كان على وفق العلم(١).

ثانيا: صفات الله عز وجل

١. صفة القدرة:

وقد ذكر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ما يبين قدرة الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

وهذه الآية وما فيها من معجزات تبين قدرة الله تعالى وعظمته وأنه لا يعجزه شيء، فالله عز وجل إذا أراد شيئا فيقول له كن فيكون.

ويرى الشعراوي في تفسير الآية: أنها تبين طلاقة القدرة، والفرق بين قدرة الله والقدرة الممنوحة منه سبحانه وتعالى للإنسان، فلله قدرة وللإنسان قدرة، لكن قدرة الله واجبة، أما قدرة الإنسان ممكنة قد ينزعها الله منه، وهي تتفاوت من شخص لأخر(٢).

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٣٣٦.

(٢) يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٢، ص١١٤٠.

وقال السعدي: "وهذا فيه أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء"[١].

وكأن الله يقول أنا أعطي من قدرتي إلى من لا يقدر فيقدر وهذا ما نفهمه من قوله الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم ﴿ ثمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقد أعطى الله القدرة لإبراهيم –عليه السلام– أن يدعو الطير فيأتينه سعيا[٢].

٢. صفة السمع والبصر:

قال تعالى:﴿ يا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ وَلا يُبصِرُ وَلا يُغني عَنكَ شَيئًا﴾ [سورة مريم: ٤٢].

يقول سيدنا إبراهيم لأبيه لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يدفع عنك الضر فهو لا ينفع ولا يغني عنك شيئا، وكأنه يقول لأبيه اعبد الله الذي إذا دعوته يسمعك ويجيب دعوتك، وإذا أحيط بك أبصرك سبحانه وتعالى فنصرك، وإذا أصابك ضر دفعه عنك[٣].

٣. صفة الرحمة:

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الغَفورُ ذُو الرَّحمَةِ لَو يُؤاخِذُهُم بِما كَسَبوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذابَ بَل لَهُم مَوعِدٌ لَن يَجِدوا مِن دونِهِ مَوئِلًا﴾ [سورة الكهف: ٨٥].

---

(١) السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، ص١١٢.

(٢) يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٢، ص١١٤١.

(٣) يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ج١٨، ص٢٠٣.

فمن رحمة الله تعالى بمن كفر به أنه لم يعجل لهم العذاب ولم يستأصلهم، بل أمهلهم سبحانه وتعالى وتركهم؛ لأن لهم موعدًا لن يفلتوا منه ولن يهربوا منه، ولا شك أن الله له حكمة بالغة في إمهالهم، فلعل الله يخرج من ظهورهم من يؤمن بالله تعالى ومن يحمل راية الإسلام ويدافع عنه(١).

قال تعالى على لسان إبراهيم:﴿ يا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فَتَكونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٤٥].

يقول سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لأبيه على خوفه من أن يتبع الشيطان، وبالتالي يكون قد عصى الرحمن فيحرم من رحمة الله ويحل به عذاب منه، فحذره من مصير اتباع الشيطان أو أن يصير من أوليائه، وما لهم من سوء عاقبة، وإن عذابه من شأنه أن يكون قد حرم من واسع الرحمة، وقد عبر –عليه السلام– بلفظ الخوف دون القطع والدال على الظن وذلك تأدبا مع الله عز وجل؛ لأن الأمر بيد الله، ولكي يبقى الرجاء في نفس أبيه لعله يتوب، ويقلع عن الشرك بعبادة الأصنام(٢).

---

(١) يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٤، ص ٨٩٤٥، خرج منهم عكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص١١٧–١١٨.

المطلب الثالث: الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–.

للإيمان أصول لا يكتمل الإيمان إلا بها وهي:

أولا: الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو الأصل الثاني من أركان الإيمان وعلينا الإيمان بجميع الملائكة، فإن الله خلقهم لطاعته ووصفهم بأنهم ﴿عِبادٌ مُكرَمونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦].

وقد ورد مشهد من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وحواره مع الملائكة، وبين لنا أبو الأنبياء إيمانه بالملائكة، حين بشروه بأن الله سيرزقه بأبناء، وإخباره عن عذاب قوم سيدنا لوط –عليه السلام–.

ثانيا: الإيمان بالكتب:

أرسل الله كل الرسل بكتاب لهداية الناس ومنهم سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، يقول الشنقيطي: "الإيمان بالكتب ذو شقين: إيمان تفصيلي، وآخر إجمالي. فالتفصيلي: أن نؤمن بكل الكتب المنزلة على المرسلين، والتي سماها الله تعالى في كتابه؛ كالقرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى"(١)، قال تعالى: ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [سورة الأعلى: ١٩].

وقد وردت أدلة على الإيمان بالكتب مع لفظ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(١) يُنظر: الشنقيطي، محمد الأمين، **دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي**، ص٢٨.

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسلِمُون﴾ [سورة آل عمران: ٨٤]

قال السعدي: "الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموما وخصوصا ما نص عليه في الآية، لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع الكبار، فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب، أن نؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلا"(١).

وقد أنزل الله تعالى الكتب التي تحتوي على توجيهات أخلاقية، وحقائق الاعتقاد وتعرض بعض صفات الله والتذكير بالحساب(٢)، تتضمن صحف إبراهيم –عليه السلام– منهج الرسل في دعوتهم لأقوامهم في إعمال العقل والفكر والتأمل، وإلغاء التبعية التي تؤدي إلى الانحراف عن الرؤية السديدة، وأن الإنسان مسؤول عن نفسه وفعله. واشتملت أيضا على التذكير بصفات الله تعالى، والسعي إلى إقامة العدل والنصح بحكمة ورشد(٣)، فعلينا الإيمان بالكتب والعمل بما جاء فيها؛ لأنها ركن من أركان الإيمان.

ثالثا: الإيمان بالرسل:

يعد الإيمان بالرسل الركن الرابع من أركان الإيمان فعلى المسلم أن يؤمن بالرسل، وأن الله أرسلهم لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الهداية.

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، ص٦٨.

(٢) يُنظر: الخالدي، صلاح، **قصص القرآن عرض وقائع وتحليل أحداث**، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩٨م–١٤١٩هـ)، ص٤٣٢–٤٣٣.

(٣) يُنظر: حللي، عبد الرحمن، **رسالات الأنبياء**، ص٨٥.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٨].

ومن الرسل الذين أرسلهم الله إلى البشرية سيدنا إبراهيم –عليه السلام–أرسله عز وجل لدعوة قومه وهدايتهم إلى توحيد الله تعالى، وقد تحمل أذاهم، وصبر عليهم، فقد قام بوظيفته ودعوته على أكمل وجه –عليه السلام–، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [سورة النجم: ٣٧]، فعلينا الإيمان بالرسل كما أمرنا الله سبحانه وتعالى فهم من اصطفاهم من الخلق فكانوا القدوة في الأخلاق، والانصياع لأوامر الله، والصبر على أذى الناس؛ فإنهم الطريق الذي يوصلنا إلى الهداية.

إن الله اصطفى سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وجعله حاملا رسالته إلى خلقه وقد ألهمه الحق والهدى قال تعالى: ﴿وَلَقَد آتَينا إِبراهيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ وَكُنّا بِهِ عالِمينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١]، وقد أخلص واستسلم وانقاد لله فقام بتنفيذ أوامر الله خير قيام.

فالخليل –عليه السلام– وصل إلى تلك الدرجة العالية من كمال الطاعة جعله الله إماما يقتدى به –عليه السلام–، وقد أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ باتخاذ الخليل قدوة قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوحَينا إِلَيكَ أَنِ اتَّبِع مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣] كما أمر الله عباده المؤمنين أن يقتدوا ويتأسوا بالخليل –عليه السلام– قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ .... ﴾ [سورة الممتحنة: ٤]

خامسا: الإيمان باليوم الآخر:

يعد الإيمان باليوم الأخر الركن الخامس من أركان الإيمان وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [سورة البقرة: ١١٧].

ولقد اهتم القرآن بذكر اليوم الأخر في الكثير من المواضع، وهذا يدل على أهميته، وقد جاء في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ما يتضمن الإيمان باليوم الأخر ومنها:

١. **الإيمان بالبعث** جاء في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– طلب الخليل من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]

وهذا فيه أيضا أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء، فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين(١).

ففي الآية ما يثبت البعث في إحياء الطيور عندما طلب الله من سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن تعود إليه فعادت الطيور كما كانت.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت: ١٩–٢٠]

---

(١) يُنظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، ص ١١٢.

ففي الآيتين ما يثبت البعث في أن الله قد خلق الخلق فهو القادر على الإعادة بعد الموت، فقد خلق الخلق بمراحله صغيرا وشابا وشيخا وبعد موته يعيده ولا يصعب عليه سبحانه ذلك فكل شيء عليه يسير[1]، فعلينا الإيمان بالبعث، وإيماننا بالبعث يوصلنا إلى الإيمان باليوم الآخر.

٢. **الإيمان بالحساب والجزاء** قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧].

وقد دعا سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن يرزقه الله الجنة قال تعالى على لسانه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝... وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [سورة الشعراء: ٧٨–٨٥].

فالآية شاهد على إيمان سيدنا إبراهيم –عليه السلام– باليوم الآخر، وحرصه على الدعاء بالنجاة فيها بأرفع الدرجات، فينبغي أن يقتدى به في ذلك.

سادسا: الإيمان بالقدر خيره وشره

لم يطلع أحد من الخلق على القدر فهو سر مخفي عن جميع خلقه بما فيهم الأنبياء، وللقدر مراتب منها:

المشيئة وتعني الإيمان بأن الله هو المقدر للأمور، وأن كل ما يحدث في هذه الدنيا ناتج عن إرادته سبحانه وتعالى ومشيئته، فإن الأمور تحدث بأمر الله تعالى ومشيئته، وإن لم يشأ عز وجل لم يكن ذلك الأمر[2] قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

---

(١) يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ج٢٠، ص٢٠–٢١.

(٢) يُنظر: نخبة من العلماء، **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١)، ص ٢٤٧.

[سورة يس: ٨٢] وقد ورد عن المشيئة في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى: ﴿وَحاجَّهُ قَومُهُ قالَ أَتُحاجّونّي فِي اللَّهِ وَقَد هَدانِ وَلا أَخافُ ما تُشرِكونَ بِهِ إِلّا أَن يَشاءَ رَبّي شَيئًا وَسِعَ رَبّي كُلَّ شَيءٍ عِلمًا أَفَلا تَتَذَكَّرونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٠].

قال الشعراوي: "فإن شاء الحق أن يُنزل على عبدٍ كوكباً يصعقه أو يحرقه فهذا موضع آخر لا دخل لمن يعبد الكواكب به، ولا دخل للكواكب فيه أيضا؛ لأن النافع والضار هو الله، فحين يشاء الله الضر، يأتي الضر وحين يشاء النفع يأتي النفع"(١). وأيضا جاء في قصة الخليل أن جعل الله النار بردا وسلاما وهذا حدث بمشيئة الله فالله أراد أن تكون النار الحارقة المميتة بردًا وسلامًا.

وورد أيضا في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع محاجاته لقومه فقال لهم ﴿وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إِبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٨٣].

وورد لفظ المشيئة مع سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في أكثر من آية منها:

- قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢١].
- وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

---

(١) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٦، ص٣٧٥٥.

فعلى كل من يؤمن بالله أن يعلم بأن المشيئة بيده وحده وعلينا السعي في طاعته عز وجل؛ لأنه إذا شاء غفر، وإذا شاء عذب.

خلاصة:

أظهرت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن دين الأنبياء هو التوحيد الخالص، من لدن إبراهيم –عليه السلام– حتى النبي الخاتم، فكانت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ردا على أي مشكك أو منحرف عن التوحيد كالمشركين العرب واليهود والنصارى، وبينت الآيات من قصة الخليل أنهم ليسوا على دينه، وقد عمقت القصة الصلة بين الخليل –عليه السلام– أبي الأنبياء والمسلمين أتباع النبي ﷺ فذكر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ٦٩ مرة في القرآن تجعله لا يغيب عن ذاكرة المسلمين خلال فترة الدعوة وما بعدها، وقد جاءت الصلاة والحج لتعمق هذا المعنى.

المبحث الثاني:

الدلالات في جانب التربية والدعوة من قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم.

تتعدد المناهج والأساليب في التربية والدعوة لتنشئة الأجيال تنشئة صحيحة، تجعلهم يحققون أهدافهم وفق رؤية صحيحة من خلال الشريعة الإسلامية، والتي تزودهم بالتفكير الناضج، والمهارات السليمة وفق كتاب الله ومن هذه المناهج:

المطلب الأول: المنهج العاطفي من خلال قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-

وتشتمل على:

أولا: أسلوب الموعظة الحسنة: للموعظة أثرها في النفوس، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٥٥] فهي تفتح طريقا للنفس والوجدان مباشرة[١] ومن أساليبها الكلمة الطيبة مثل: يا بني، يا أبت، يا أخي، وغيرها[٢] من الكلمات التي تجعل الموعظة تسير في طريقها الصحيح.

وأما محتوى الموعظة فيجب أن يستند ويرتبط بقضايا الشرع أولًا وأهم القضايا هي الإيمان بالله، وعدم الشرك به[٣] ونرى ذلك في دعوة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لأبيه وقومه حين دعا أباه بلطف وتأدب وقال يا أبت في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي

---

(١) يُنظر: قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، (د.م: دار الشروق، ط١٦، د.ت)، ج١، ص١٨٧.

(٢) يُنظر: الفالح، عبد الله، **وسائل التربية السليمة**، (د.م: دار ابن الأثير، د.ط، د.ت)، ص٨.

(٣) يُنظر: العيسوي، حسام، **التربية في القصص القرآني**، (د.م: د.ن، د.ط، د.ت)، ص ١٤.

أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝﴾ [سورة مريم: ٤٢-٤٥].

قال سيد قطب: "هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لا تصل إلى القلب المشرك القاسي، فإذا أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد"(١).

وقد وعظ وأرشد سيدنا إبراهيم -عليه السلام- والده وبين له أن الطريق الذي يسلكه هو طريق يوصله إلى النار، وأوضح له طريق الهدى، وفي هذا المشهد وغيره قدم المواعظ بأسلوبه الراقي الملتزم بأدب الموعظة الحسنة.

وأيضا دعا قومه لعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّـهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٦-١٧].

فالوعظ له تأثير في نفس الواعظ إن كان له قلب ويكون للوعظ تأثير عميق إذا كان من أب أو معلم أو صديق(٢)، والإنسان دائما في حاجة إلى التذكير والوعظ(٣).

---

(١) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣١٢.

(٢) يُنظر: العيسوي، حسام، **التربية في القصص القرآني**، ص١٤.

(٣) يُنظر: قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، ج١، ص١٨٧.

وتتعدد أشكال الموعظة الحسنة، ومنها:

١. التذكير بنعم الله، والشكر عليها:

تتعدد نعم الله تعالى على عباده، ومن النعم التي أنعمها الله على عبده إبراهيم –عليه السلام– أن مدحه بالتزام كل أوامره واجتناب كل نواهيه قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [سورة النجم: ٣٧].

ومن النعم الله على الإنسان أنه خلقه ورزقه وهو سبحانه يهديه، وهذا ما صرح به إبراهيم عليه السلام مقرًا بنعمة الله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [سورة الشعراء: ٧٨] نعمة الخلق ونعمة الرزق ونعمة الشفاء.

فالذي ينعم هذه النعم ليست الأصنام التي يعبدونها من دون الله، بل المنعم هو الله فلماذا تعبدون غيره؟!

وأيضا نعمة الإنجاب نعمة عظيمة فقد وهب الله سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وامرأته بعد كبرهما أبناء وجعلهم أنبياء وصالحين قال تعالى: ﴿وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ نافِلَةً وَكُلًّا جَعَلنا صالِحينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣] وقال تعالى: ﴿ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي وَهَبَ لي عَلَى الكِبَرِ إِسماعيلَ وَإِسحاقَ إِنَّ رَبّي لَسَميعُ الدُّعاءِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٩].

فالله عز وجل يزيد النعم بشكر عبده وطاعته قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم: ٧]، حتى وإن كانت في ظاهرها من المعجزات المستحيلات.

وأيضا دعا سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قومه إلى شكر الله كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧]، وهنا ربط الخليل بين عبادة الله وحده وشكره.

٢. بيان قبح ما عليه المدعو

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤] قد أوضح سيدنا إبراهيم لأبيه وقومه أنهم على ضلال وأنهم ليسوا على الطريق القويم فقد استخدم أسلوب ذم ما هم عليه من كفر وشرك وضلال باتخاذهم أصناما آلهة من دون الله تعالى.

وقال سيدنا إبراهيم لقومه أف لكم، قال تعالى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٧] قال الطبري: "قُبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضرّ"(١).

٣. الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب من الأساليب التي استخدمها القرآن والتي حث الإسلام عليها، وهو من الأساليب المعروفة في التربية، وذلك بوضع الهدف الذي يربو إليه المسلم ويرغب فيه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٧-١٠٨] والترهيب من ضده

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ج١٨، ص٤٦٤.

وهو دخول النار. فالمؤمن يعيش بين الخوف والرجاء فيكون الرجاء في الترغيب بالأعمال الصالحة لدخول الجنة والخوف من معصية الله ومن عذابه.

وقد جاء في كتاب الله تعالى آيات كثيرة بين الترغيب والترهيب ومنها ما جاء في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في مشهد دعوته لأبيه حين استخدم أسلوب الترغيب والترهيب فقد استخدم أسلوب الترغيب مع أبيه حين قال له أن ما يدعوه إليه من عند الله وأنه يهديه للطريق الصحيح وهو الطريق للوصول للجنة برضا الله عليه، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤٣]، وقد استخدم أيضا أسلوب الترهيب حين أوضح له أن ما يعبده هو طريق الشيطان أي معصية الله تعالى، والذي يؤدي لعذاب من الله قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤٣].

وفي مشهد الملائكة مع الخليل، حينما نفذ أوامر الله تعالى وصبر على إيذاء قومه له، واستمر في الدعوة إلى الله حتى أكرمه الله بأن تبشره الملائكة بأنه سيرزق بسيدنا إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب رغم كبر سنه وامرأته العقيمة، وتخبره الملائكة أيضا أن الله أرسل عذابًا على قوم لوط بسبب عصيانهم واستكبارهم في الأرض.

فنجد الترغيب في البشارة، حتى نعلم أن الله قد كافأ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– على طاعته وخضوعه لجميع أوامره فقد أكرمه أن وهب له إسماعيل وإسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب وجعلهم أنبياء، هذا في الدنيا فضلا على إكرامه في الآخرة، والترهيب بالعذاب، وذلك في حالة عدم طاعة قوم لوط فكانت النتيجة عذاب الله لهم.

فعلى المربي أن يستخدم أسلوب الترغيب أولا؛ لأنه يزرع في الأجيال السلوك الجيد وينميه، وألا نبالغ في الترهيب دون الترغيب كلما أمكن ذلك إلا إذا كان الترهيب لا ينصلح إلا به المتعلم، وهذا ما نتعلمه من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ذلك أن الله إذا أراد أن يعذب قومًا لا يعذبهم إلا بعد أن يكون قد أنظرهم وأرسل لهم الرسل.

٤. الوعد بالنصر والتمكين

وعد الله تعالى من يدعو إلى الله على حق ويلتزم أوامره بالنصر والتمكين وقد جاء نصر الله سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وتمكينه بعد فترة مما أصابه من مشاق وإيذاء قومه له حتى رموه في النار، وعندما ترك زوجته وابنه إسماعيل في الصحراء حيث لا زرع ولا ماء، ويطلب الله منه أن يؤذن في هذه الصحراء بالحج، فيأتي تمكين الله له حتى أصبح يأتي هذا البيت ملايين من الناس يلبون نداء الخليل فيأتون من كل فج عميق قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج: ٢٧].

٥. العِبرة والاعتبار

وهي حالة نفسية توصل البشر إلى نتيجة ومغزى لما يشاهده الإنسان ويستقرئه فيتأثر به ويؤدي إلى تغير سلوكه أو فكره(١).

(١) يُنظر: النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (د.م: دار الفكر، ط٢٥، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م). ص ٢١٩.

فالغاية من القصة في القرآن "الوصول بالسامع إلى قناعة فكرية بأمر من أمور العقيدة، تحرك في القلب أو تربي عواطف ربانية كما تغرس وتثبت وتنمي عقيدة التوحيد، والخضوع لشرع الله والانقياد لأوامره"[1]، وللعبرة والاعتبار أنواع مختلفة وهي[2]:

١. العبرة بالقصص القرآني:

لكل مشهد من مشاهد القصص في القرآن عِبر يتوصل إليها بالتدبر والتأمل، قال تعالى: ﴿لَقَد كانَ في قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِأُولِي الأَلبابِ ما كانَ حَديثًا يُفتَرى وَلكِن تَصديقَ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١]، وقد جاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بمشاهد متعددة تحتوي على عِبر مختلفة وهي:

١–قدرة الله من خلال مشهد إلقاء الخليل –عليه السلام– في النار:

ووجه الاعتبار هنا أن الله الذي جعل طبيعة النار حارقة هو سبحانه وتعالى جعلها بردا وسلاما على رسوله إبراهيم عليه السلام حين ألقاه قومه في النار، فالعِبرة أن نعلم أن الله لا يترك عباده المؤمنين وأنه يحول بقدرته المحنة إلى منحة وأن قدرة الله لا تقف عند حد فيجب ألا نعجز وأن نؤمن بأن الله القادر يقدر على كل الأمور، وأن نعتبر بالقصص ولا نقرأها كأنها أحاديث عابرة.

---

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ص ٢١٩.

(٢) يُنظر: النحلاوي، عبد الرحمن، **نفس المرجع السابق**، ص٢٢٠–٢٢٤.

٢. الاعتبار بمخلوقات الله والاستدلال بنظامها:

أمرنا الله أن نتفكر في آياته عز وجل وملكوته وأن نعتبر مما فيها فذكر في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– محاولته تشكيك قومه في آلهتهم، وأن يعتبروا من خلق الشمس والقمر والكواكب؛ حتى يعلموا بوجود الخالق ويؤمنوا بالله فالعبرة بمخلوقات الله والتفكر فيها يوصلنا إلى الحق.

٣. الاعتبار بالحوادث التاريخية

إن قراءة التاريخ تبين تجارب الأمم السابقة ومنه يأخذ الإنسان العبرة، ويستفيد منها، "وقد نبه القرآن الكريم إلى أهمية استشراف التاريخ، والتعرف على السنن"[١] حيث أرسل الله العذاب على قوم لوط بسبب كفرهم وطغيانهم؛ فقد أُخبر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بما سيحل من عذاب قوم لوط، وقد حل بهم، فكانوا محل اعتبار لمن لم يؤمنوا بالله وحده ولم يلتزموا هديه وانحرفوا عن الفطرة.

فالحوادث التاريخية تذكر للاعتبار بما حل بالأمم السابقة من عذاب بسبب عدم إيمانهم أو نجاتهم بسبب إيمانهم.

ثانيا: إظهار الرأفة والرحمة

إن الداعي إلى الله والمربي يجب أن يكون في قلبه رحمة بالمدعو أو المتلقي، فإذا كان الداعي أو المربي شديدًا غليظ القلب نفر المدعوون منه، يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، **التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية**، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع١١٦ص ٤٧٣.

مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[سورة آل عمران: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿ ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ﴾[سورة النحل: ١٢٥].

فلذلك نجد في قصص الأنبياء الرأفة والرحمة ظاهرة واضحة جلية فأبو الأنبياء دعا أباه بأجمل الألفاظ وأحبها إلى قلب الأب وهي يا أبت قال تعالى: ﴿ قالَ سَلامٌ عَلَيكَ سَأَستَغفِرُ لَكَ رَبّي إِنَّهُ كانَ بي حَفِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤٧] وهذا بعد أن هدده أبوه بالقتل والرجم، ولم تكن هذه الرحمة مع أبيه فقط، بل كانت مع قومه أيضا، وهكذا كان منهج جميع الأنبياء مع أقوامهم

ثالثا: التربية بالعادات الحسنة

العادات الحسنة من الوسائل التي تلعب دورا كبيرا في التربية، والإسلام يستخدم هذه الوسيلة التي تحول القيمة الثابتة إلى عادات يقوم بها الفرد دون بذل مجهود[١].

١. الاتجاه الأول: يتمثل في تخليصهم من العادات القديمة السيئة:

نجد ذلك من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن قومه كانوا يعبدون الأصنام دون أن يستخدموا العقل في معرفة الله من خلال هذا الكون العظيم، وما فيه من إبداع؛ لأنهم نشأوا على هذه العادة وهي عبادة الأصنام فجاء سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ليكسر هذه العادة ويأخذ بأيديهم إلى الفهم الصحيح والاقرار أن لهذا الكون بكل ما فيه من سماوات وأراض ونجوم وكواكب خالقًا واحدًا مدبرًا وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) يُنظر: السيد، عاطف، **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها**، (د.م، دار الفكر العربي، د.ط، ٢٠٠٨)، ص٥٩.

٢. الاتجاه الثاني: ينحو إلى تثبيت العادات الجديدة والمبادئ السامية والقيم العليا:

من المبادئ السامية الانصياع لأوامر الله كاملة، فنجد في قصة سيدنا إبراهيم – حين رأى في منامه أنه يذبح ابنه فما كان منه إلا أن انصاع لأمر الله وصبر رغم شدة صعوبة الأمر.

وأيضا من القيم العليا التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب، حين ترك سيدنا إبراهيم –عليه السلام– زوجته وابنه في الصحراء حيث لا زرع ولا ماء انصياعا لأمر الله، وقد أخذ بالأسباب ودعا ربه قال تعالى: ﴿ رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهوي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَشكُرونَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧].

ونجد أيضا من القيم العليا آداب الضيافة ويظهر ذلك في مشهد الملائكة مع سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، حين حضروا إليه ورغم عدم معرفته بهم قدم إليهم العجل الحنيذ وهو المشوي.

ومن خلال هذا المشهد تقر في النفوس آداب الضيف بأن يكرمه ويضع له الطيب من الطعام، حتى لو لم يعرفه، ثم يسأله.

المطلب الثاني: المنهج العقلي من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

لقد كرم الله تعالى الإنسان بالعقل، وامتن سبحانه وتعالى على عباده بتلك النعمة في مواضع عدة، منبهًا على مظاهر شكر هذه النعمة وإعمالها في مكانها، وقد استخدم الأنبياء هذا المنهج بأساليبه المختلفة ومنها:

أولًا: التشكيك في العقائد الباطلة والحث على التفكر:

نرى كيف تعامل الخليل –عليه السلام– مع قومه للوصول إلى الخالق حين افترض صحة ما يؤمنون به من تأليه النجوم، وعندما تحول القمر من مكانه وغاب أخذهم إلى فرض آخر وهو الشمس فهي أكبر، وعندما حدث لها ما حدث للكوكب أعلن الحيرة ودعا الإله الحق أن يهديه للصواب، وتبرأ منها وتوجه إلى الخالق الذي يسير هذه المخلوقات، فنقل قومه من الطبيعة إلى الشريعة(١).

ثانيا: تحفيز العقل على التفكر والنظر:

استخدم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تحفيز العقل –في إثبات وحدانية الله– مع أبيه وقومه حين ناقشهم عن ءالهتهم بصيغة السؤال هل هي تسمع إن دعوتموهم؟ هل تنفعكم؟ هل تضركم؟ لإثبات أنه لا يصح عبادة من يعجز عن النفع والضر فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۝ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [سورة الشعراء: ٧٠– ٧٣].

---

(١) يُنظر: حللي، عبد الرحمن، **رسالات الأنبياء**، ص٧٧–٨٧.

وأيضا عندما كسر الأصنام وترك كبيرهم وقال لهم أسألوهم إن كانوا ينطقون قال تعالى: ﴿قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إبراهيمُ ۝ قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ ۝ فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ ۝ ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ ۝ قالَ أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم﴾ [سورة الأنبياء: ٦٢- ٦٦].

ويظهر واضحا جليا في مشهد إبراهيم -عليه السلام- في سورة العنكبوت حين قال لقومه اعبدوا الله وهو الرازق وهو الخالق، وهو القادر سبحانه وتعالى، وأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الخلق قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت: ١٧-٢٠].

إن هذه النقاشات والاستفسارات من إبراهيم -عليه السلام- كانت مبنية على فهم مذهب الخصم حتى تم نقضه، وقد أثنى الله عز وجل على الاستدلالات قال تعالى: ﴿وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إِبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٨٣].

ثانيا: المناظرة والحوار

يعتبر أسلوب المناظرة والحوار من الأساليب التعليمية التي تشمل العديد من الجوانب منها: الجانب العاطفي، والعقلي، ومن آثار هذا الأسلوب أنه يربي الفكر على التحري والتحقق من الحقائق[١].

١. المناظرة:

المناظرة هي عبارة عن نقاش الغاية منه إثبات الحجج على المشركين؛ للاعتراف بأن الله تعالى واحد لا شريك معه، وبالرسول واليوم الاخر ومنها المناظرات التي حدثت مع بعض الأنبياء[٢]. وأهم مزاياها أنها تربي العقل على التفكير الموضوعي الواقعي، والارتقاء بالحجج من المشهود المحسوس إلى المطلوب المغيب، فبدأ الله عز وجل حكاية مناظرة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع الملك المدعي الربوبية بأسلوب يلفت السامع وهو الحوار الخطابي قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨][٣]

وحدثت المناظرة بين الخليل –عليه السلام– مع مدعي الربوبية، فبدأ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فرد عليه مدعي الربوبية يعرض قواه أنه يحيي ويميت، فجاء جواب الخليل الحاسم إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فلم يستطع وعلم بضعفه وعجزه وعدم قدرته، فكانت المناظرة فيها إفحام للباطل والكفر وإعلان كلمة الحق.

---

(١) يُنظر: النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ص١٦٧.

(٢) يُنظر: النحلاوي، عبد الرحمن، **نفس المرجع السابق**، ص١٨١.

(٣) يُنظر: النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ص١٨٣.

فهكذا تكون المناظرات لا نرد الحجة بحجة مثلها دائما وإلا انتقلت المناظرة لجدال، بل ننتقل من حجة الخصم الواهية لحجة أقوى منها يصعب تنفيذها إلا بواسطة خالق ومدبر الكون.

٢. الحوار

تعددت حوارات سيدنا إبراهيم –عليه السلام– بين حواره مع أبيه خاصة وحواره مع قومه عامة ومنها:

- حواره مع أبيه

حاور سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أباه حين دعاه إلى توحيد الله فأنكر عليه أن يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا، ودعاه ألا يعبد الشيطان خوفًا عليه من عذاب الله، وأن ما جاءه من العمل هو من الله فلما أبى وأعرض، اعتزله ووعده –عليه السلام– أن يستغفر له ربه.

- حوار مع قومه

حاور سيدنا إبراهيم –عليه السلام– قومه لترك عبادة الأصنام وأن عبادتهم تفضي بهم إلى التهلكة وكانوا يردون عليه بكل أشكال الإيذاء إلا أنه –عليه السلام– حاورهم ونصحهم فقد أدى ما عليه.

فالحوار والمناظرة تربيان في النفس وسائل مختلفة في الإقناع وتقديم الحجج، وهذا مما يحتاج إليه الداعي والمربي وكل من يقوم مقامهما، ولنا في الخليل القدوة والمثل في مناظرته مع مدعي الربوبية.

ثالثا: ضرب المثل

ضرب المثل يستخدم لتقريب المعنى إلى العقول، فالكلام المجرد ليس كالأشياء المحسوسة التي تعين على الفهم[١]، وهي طريقة للفت النظر إلى النتائج التي تؤدي إلى السلوكيات المراد اتباعها[٢].

وقد ذكر الله في كتابه استخدام سيدنا إبراهيم –عليه السلام– ضرب المثل في مشهد التأمل في الكون حين حاول أن يصل بهم إلى توحيد الله عن طريق التسلسل مع قومه بإعطائه مثلا من مخلوقات عظيمة من مخلوقات الله حين نظر إلى القمر والشمس وما فيهما من بزوغ وعظمة، ثم أفول وغياب ليثبت لهم أنها لا تصلح أن تكون ربا وهكذا يثبت لقومه أنه لا إله إلا الله وأن ما دونه باطل.

ونجد مما سبق أن سيدنا إبراهيم قد سلك في دعوته المنهج العقلي وتعددت أساليبه وهي المناظرة والحوار، ضرب المثل، وكل هذه الوسائل تعتمد على الجانب العقلي وقد تشتمل على غيره من الجوانب إلا أنه يكون الأبرز والأوضح.

---

(١) يُنظر: السيد، عاطف، **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها**، ص٥٩.

(٢) يُنظر: العسوي، حسام، **التربية في القصص القرآني**، ص١٤.

المطلب الثالث: الحسي أو التجريبي من خلال قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام–

تتعدد أساليب المنهج الحسي في مشاهد الخليل –عليه السلام– ويمكن تعريف المنهج الحسي بأنه: "مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب"(١).

أولا: التربية بالقدوة:

التربية بالقدوة من أفضل أساليب التربية، وهي التربية الصامتة، فالإنسان يميل في فترة من حياته إلى التقليد، وهنا يأتي دور القدوة الحسنة التي تساعد في التنشئة الصحيحة وعندما ينشأ الإنسان على قيم قد ترسخت فيه، فينشأ نشأة صحيحة(٢) قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

فقصة سيدنا إبراهيم–عليه السلام– نموذج عملي للقدوة الحسنة، وقد مدحه الله وأثنى عليه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤] قال ابن كثير: "فقام بجميع الأوامر وترَك جميع النواهي، وبلَّغ الرسالة على التمام والكمال، ما يستحق بهذا أن يكون للناس

---

(١) البيانوني، محمد أبو الفتح، **المدخل إلى علم الدعوة**، (قطر: إدارة الشؤون الإسلامية، ط٤، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م)، ص٢١٤.

(٢) يُنظر: السيد، عاطف، **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها**، ص٥٣–٥٤.

إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله" [1]، والأمثلة الإبراهيمية التي تجعل منه أسوة حسنة كثيرة، منها:

١. طاعته لأوامر الله تعالى في أغلى ما عنده (ذبح ابنه، وإسكان إسماعيل مع أمه عليهما السلام في مكان قاحل ليس به ماء ولا زرع).
٢. منهجه في أدب الدعوة والحوار عندما دعا أباه لتوحيد الله تعالى برفق ولطف.
٣. استخدامه أساليب مختلفة في الدعوة لله تعالى كالمناظرة والحوار والإقناع ...وغيرها.
٤. صبره على أبيه وقومه والملك المدعي الربوبية وعلى إيذائهم له، وبالرغم من ذلك استمر في دعوتهم.

إذن فالاقتداء بمن هو أهل لأن يكون أسوة وليس كما فعل قوم سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عندما احتجوا بالاقتداء بآبائهم وتقليدهم في عبادة الأصنام.

وتمثل قصة إبراهيم الأمة والإمام والأسوة نموذجًا خاصًا لمن لهم دور بارز ومؤثر في المجتمع كالعالم والمعلم والمربي والوالدين، فيجب عليهم أن يتحلوا بالأخلاق الرفيعة، حتى يصبحوا قدوة لمن حولهم وحتى تصبح التربية تربية صحيحة تنشئ جيلا سليما طبقا لشريعة الإسلامية[٢].

---

(١) يُنظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن كثير)**، ج٧، ص٤٣٠.

(٢) يُنظر: السيد، عاطف، **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها**، ص٥٤.

ثانيًا: التغير باليد

إن المربي والداعي وكل مسلم مأمور بإنكار المنكر بإحدى المراتب الثلاث على الأقل، حيث قال رسول الله ﷺ (من رأى منك منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[١] فوضع لنا رسول الله منهجا نسير عليه لتغيير المنكر وقد استخدم أبو الأنبياء –عليه السلام– الطرق الثلاث مع قومه لإنكار ما هم فيه من باطل ومنكر وبشاعة في اعتقادهم، فأنكر إبراهيم –عليه السلام– على أبيه وقومه بالقول أي باللسان، وعندما لم يستجيبوا وأنكروا عليه دعوته، قام بالإنكار باليد عندما قام بتكسير الأصنام، وهي مرتبة أخرى وأعلى مراتبة من مراتب إنكار المنكر.

فتحمل سيدنا إبراهيم –عليه السلام– الابتلاء عظيم عندما أمروا بتعذيبه بأشد أنواع العذاب وهو حرقه بالنار نتيجة دعوته لتوحيد الله وإنكاره للمنكر.

ثالثًا: التربية بالممارسة العملية:

التعليم والدعوة بالأسلوب العملي أي الواقعي أبلغ وأوقع في النفوس وأدعى لترسيخه وثباته[٢] وهكذا نرى أنبياءنا وحرصهم على أن أقوالهم توافق أفعالهم فهم خير دليل على التربية العملية ونجد ذلك في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حين رأى في المنام أنه يذبح ابنه فكان الحوار مع ابنه إسماعيل عندما روى له رؤيته فكان الانصياع والانقياد من إسماعيل – عليه السلام– وقد أسلم أمره لله، عندما أسلم وتله للجبين فكان الاستسلام التام لأمر الله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم **في صحيحه**، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان رقم(٤٩)، ج١، ص٦٩.

(٢) يُنظر: النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص٢١٢.

استسلاما عمليا رغم صعوبة الأمر وشدته إلا أن سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام استسلما لأمر الله فكانت المكافأة بأن نجاه الله بكبش عظيم.

ونرى أيضا مشهدًا آخر في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حين وضعه قومه في النار نتيجة إنكاره عليهم ودعوتهم إلى توحيد الله وإصراره على تلك الدعوة فما كان منهم إلا أن قالوا حرقوه وانصروا ألهتكم فوضعوه في النار فكان منه عليه السلام الصبر، والاستسلام لله وهنا تأتي أيضا المكافأة والمنحة أن جعل الله النار بردا وسلاما عليه.

خلاصة:

من الملاحظ أن أبا الأنبياء استخدم مع أبيه وقومه المنهج الحسي أو التجريبي بوسائل مختلفة منها: القدوة وهي التعليم بالنظر وتكون صامته وقد استخدمها –عليه السلام– في الكثير من المواقف منها التزامه بأدب الحوار مع أبيه وقومه، وأيضا كرم الضيافة، وامتثاله لأمر الله، وغيرها، وأيضا استخدم –عليه السلام– أساليب أخرى منها: التعليم التطبيقي، وتغيير المنكر وهذا كله سعيا منه إلى هدايتهم ودعوتهم، فنجد الحديث عن الخليل –عليه السلام– في القرآن تميز بغياب البعد القومي والذي كان من الرسل الآخرين، فالخليل إمام للناس، وجاء الأمر لهم باتباع ملته فالقضايا التي شملتها آيات إبراهيم –عليه السلام– هي التوحيد والبعث وبعض العبادات مثل الحج والصلاة وذلك كله شامل لكل الناس.

ونجد ربطا مباشرا بين الخليل –عليه السلام– ومعظم الأنبياء فسيدنا لوط معاصر له وأبناؤه هم أنبياء بني إسرائيل حتى من كان قبله من الأنبياء ارتبط ذكره بذكرهم ثم تأتي العلاقة الهامة بين دعوة الخليل –عليه السلام– ورسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ فهي العمق التاريخي للرسالة المحمدية فالعرب يعلمون أن إبراهيم أباهم، وفي دعوة إبراهيم تشابه كبير مع

دعوة النبي محمد ﷺ في عبادة قومه للأصنام وإيذاء قومه له، ثم الهجرة كما هاجر الخليل ثم يأتي التمكين وتنتشر دعوة النبي ﷺ في أرجاء العالم فالخليل إبراهيم –عليه السلام– إمام وأسوة لمن خلفه من الأنبياء والرسل ومنهم محمد ﷺ[1].

(١) يُنظر: حللي، عبد الرحمن، **رسالات الأنبياء**، ص٨٥–٨٨

الخاتمة

يدور مفهوم القصة القرآنية حول تتابع الأخبار عن الأمم السابقة والأحداث التي وقعت مع الأنبياء والحوادث الواقعة في زمن النبوة، وتتعدد أنواع القصص من حيث المضمون والبناء، كما تتميز القصة القرآنية بخصائص تختلف عن القصص السردية والأدبية، ومن أهم هذه الخصائص أنها وحي من عند الله، وتجمع بين الهدف، ووحدة الموضوع، والغرض، وسمو الشكل الفني، ولا يوجد تكرار في القصة القرآنية من غير مقصد، فالمشهد في كل سورة له إضافة جديدة بما يتناسب مع جو السورة وسياقها، وتتميز قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– باشتمالها على جوانب العقيدة، والعبادة والأخلاق، والتربية والدعوة.

فيما يتعلق بالسياق تم في الرسالة التمييز بين نوعين له، الأول: السياق النصي وهو ما يتصل بالسابق للآية واللاحق لها، وكذا المقطع من الآيات، وسياق السورة، وسياق القرآن ككل، والثاني: السياق التاريخي ويتعلق بالمخاطبين والظروف والأحوال التي حدثت فيها في زمن نزول الآيات، هذا وللسياق أهمية كبيرة في فهم النصوص وخاصة فهم كتاب الله وقد استخدمه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون والعلماء لفهم الآيات أو تفسيرها للناس.

باستقراء ما يتصل بذكر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في القرآن، تبين أن اسمه ورد ٦٩ مرة، في ٢٥ سورة، وذكرت جميع مشاهد قصته في سور العهد المكي إلا سورة واحدة فقط، جاءت في العهد المدني وهي سورة البقرة، والسور الأخرى التي ذكر فيها اسمه ولا تشتمل على أي مشهد من مشاهد قصته كانت الآيات فيها تدور حول نعم الله عليه وأن الله اصطفاه أو ذكر صفاته وأنه وفى وأنه كان إماما ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما، أو تذكير بأنه بنى أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة، وتذكير بما احتوته الصحف التي أوتيها.

أما مشاهد قصته، فقد تنوع حضورها في السور بحسب محور كل سورة وسياقها، وباختلاف تاريخ نزولها في الفترة المكية أو المدنية، كما اختلفت المشاهد من حيث عدد الآيات وطول المشهد، فبعض السور تعرض لقطات سريعة وبعضها تعرض مشاهد متعددة.

فمن حيث السياق التاريخي تبين في الرسالة أن مشاهد قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في السور التي وردت فيها ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق التاريخي لها، فسورتا مريم والشعراء نزلتا في السنة الرابعة للبعثة حيث بداية المرحلة الجهرية من الدعوة وما فيها من تعذيب وعدم تصديق للنبي ﷺ، والسور الثلاثة التالية هود والحجر والأنعام نزلت في السنة العاشرة للبعثة ومعروف ما في هذه السنة (عام الحزن) من أحداث، منها ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف لدعوة الناس للإسلام وما وجده من سفهائهم وإيذائهم، وفي السنة الثانية عشرة نزلت سورتا الصافات والذاريات تسليان النبي ﷺ بعد رحلة الإسراء والمعراج وحدوث بيعة العقبة الأولى، وفي السنة الثالثة عشرة جاءت سور إبراهيم والأنبياء والعنكبوت وهذه السنة الأخيرة في المرحلة المكية حيث حدثت بيعة العقبة الثانية وأمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة وانتظار أمر الله له ومحاولة المشركين قتله، ثم تأتي سورة البقرة المدنية في السنة الأولى بعد هجرته ﷺ، وكان المحتوى من مشاهد القصة في كل مرحلة متناسبًا مع تطورات السيرة النبوية والدعوة، وداعمًا لها كما فصلته الرسالة.

أما من حيث السياق النصي فقد لوحظ أن محاور السور التي تناولت قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– تدور حول بيان رحمة الله وقدرته وتفرده بالعبادة (سورة مريم)، والإنذار للمكذبين (سورة الشعراء)، وبيان قدرة الله تعالى وإثباتها بالحجة والبرهان (سورة الأنعام– الأنبياء)، والحديث عن طبيعة المكذبين (سورة الحجر– الذاريات)، وعرض نماذج من الابتلاءات والفتن وصبر الأنبياء على أقوامهم، وبيان ضعف وعجز ما يعبدون من دون الله (سورة الصافات –

والعنكبوت)، والحديث عن البعث والجزاء (سورة هود)، وتقرير الإيمان بالرسل وأنه طريق إخراج الناس من الظلمات إلى النور (سورة إبراهيم)، وحول بيان خلافة الله في الأرض بين من أضاعوها ومن أقاموها (سورة البقرة).

وكان محتوى كل مشهد من القصة منسجمًا مع محور السورة التي ورد فيها ومع موضوعاتها، وقد تم تفصيل هذا التناسب في مكانه من الرسالة.

فثمة تكامل واضح كشفت عنه الرسالة بين كل مشهد من قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وبين السياقين النصي والتاريخي للسورة التي ورد فيها، فمن جهة يتناسب المشهد مع زمن الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وما يؤديه من وظيفة في حياته والمؤمنين ومسيرة دعوته ومواقف قومه منها، ومن جهة أخرى يتناسب المشهد مع محور السورة ولا يمكن استبداله فيها، ولا حتى لفظ من ألفاظ القصة بلفظ أخر، وكان لكل سورة انفرادها الخاص الذي يناسب جوها وسياقها وخصائصها، ولأجله اختلفت المشاهد في السور بين ايجاز واطناب وسرعة في العرض، وتقديم وتأخير، وقد تتغير بعض التعبيرات بحسبها، وما كان من تكرار في بعض المشاهد في أكثر من سورة كان واضح الوظيفة والدلالة فيها.

أما ما يتعلق بدلالات قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فإن جزءًا كبيرًا منها تناول أصول العقيدة من جوانبها المختلفة، كالتوحيد في الألوهية والربوبية، وتقرير دلائل الفطرة، والاستدلال العقلي، كما تضمنت القصة ذكر أسماء الله (التواب الرحيم – العزيز الحكيم – الحميد والمجيد – السميع والعليم– الحكيم العليم) وصفاته (القدرة –السمع والبصر– الرحمة)، وأركان الإيمان، فلا يكاد يخلو مشهد من المشاهد إلا وقد ذكرت فيه دروس وعبر في مجالات

العقيدة أو الدعوة أو التربية، والتي تفسر وصف إبراهيم –عليه السلام– بالإمام، والأمر بالتأسي به.

وفي الملحق بعد الخاتمة جدول مختصر يوضح معالم تناسب مشاهد القصة حسب ترتيب نزولها، مع السياق التاريخي والسياق النصي وما تضمنه كل مشهد من دلات عقدية أو دعوية أو تربوية.

وأوصي في خاتمة هذه الرسالة باستكمال الدراسات حول السياق في القصص القرآني مع التأكيد على مراعاة بعدي السياق فيها، النصي والتاريخي، حيث يندر الربط بينهما، كما أوصي بتوظيف دلالات هذين السياقين في التعريف بالقصص القرآني في العمل العلمي أو الدعوي.

الجدول رقم 1 يلخص معالم التناسب بين مشاهد قصة سيدنا إبراهيم والسياق التاريخي والنصي للسورة التي وردت فيها، ودلالاتها في المرحلة المكية.

الآيات حسب ترتيب النزول	العلاقة مع السياق التاريخي/ مراحل السيرة النبوية	العلاقة مع السياق النصي/ سياق السورة	الدلالات العقدية والدعوية والتربوية
سورة مريم (٤١ – ٥٠)	السنة الرابعة للبعثة بداية الجهر بالدعوة (تشابه المواقف بين قوم إبراهيم والمشركين – تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين)	سياق السورة يتحدث عن الرحمة. اشتملت السورة على ثلاث قصص وهي: قصة يحيى –عليه السلام– (علاقة ابن بار بوالديه المؤمنين). قصة عيسى –عليه السلام– (علاقة ابن بار بأمه المؤمنة). قصة إبراهيم –عليه السلام– (علاقة ابن بار بأبيه الكافر)	إعمال العقل. أسلوب الموعظة الحسنة. الترغيب والترهيب. إظهار الرأفة والرحمة.
سورة الشعراء (٦٩–٨٩).		سياق السورة يدور حول الإنذار والتكذيب. واشتمل السياق النصي على عدة قصص إلا أن هذه القصص لا تتبع الخط التاريخي – أولًا– قصة موسى –عليه السلام– (التكذيب في قمة العقيدة / الألوهية) ثانيًا– قصة إبراهيم –عليه السلام– (التكذيب بالشريك مع الله). – ثالثًا– قصنا نوح وإبراهيم –عليهما السلام– (عبادة قومهما للأصنام، وتقليدهم أباءهم).	لإيمان بالحساب والجزاء. لإيمان بالقدر خيره وشره. لتذكير بنعم الله والشكر عليها.

الآيات حسب ترتيب النزول	العلاقة مع السياق التاريخي/ مراحل السيرة النبوية	العلاقة مع السياق النصي/ سياق السورة	الدلالات العقدية والدعوية والتربوية
سورة هود (٧٦-٩٦)	السنة العاشرة عام الحزن ودعوة الرسول ﷺ لأهل الطائف. (تضمنت المشاهد من القصة في هذه المرحلة تسلية النبي ﷺ وتثبيته مع تجرؤ المشركين عليه – وأن الله ينزل رحماته على عباده– وتصبره وتبشره أن الله إذا أَمر أمرًا ينفذ فلا راد له).	سياق السورة الرئيس يدور حول الجزاء. وقد احتوت السورة على عدة قصص ومنها: – جاءت قصتا إبراهيم ونوح –عليهما السلام– يشتركان في الشفقة والرحمة وطلب النجاة للمشركين. – وجاءت قصتا سيدنا إبراهيم وصالح – عليهما السلام– يبينان قدرة الله على فعل المعجزات. – وقصتا سيدنا إبراهيم ولوط –عليهما السلام– مثلان للعبودية الخالصة لله.	– الإيمان بالملائكة. – الترغيب والترهيب. – الاعتبار بالقصص التاريخية. – التربية بالعادات الحسنة.
سورة الحجر (٥١-٦٠)		سياق السورة يدور حول المكذبين وارتبط السياق النصي بالمحور في بيان الأمم السابقة التي كذبت الرسل وأهلكهم الله ثم جاءت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– تبين أن عذاب الله عذاب أليم، ثم تبدأ قصة سيدنا لوط ببيان أن قوم لوط عذبوا بسبب كفرهم.	– الإيمان بالملائكة. – الترغيب والترهيب. – الاعتبار بالقصص التاريخية.
سورة الأنعام (٧٤-٨٣)		سياق السورة الرئيس يدور حول بيان قدرة الله تعالى. فجاءت قصة إبراهيم –عليه السلام– تبين مشهد التأمل في ملكوت السماوات والأرض وهو بيان لقدرة الله عز وجل.	تحفيز العقل على التفكير. بيان قبح المدعو من دون الله.

الآيات حسب ترتيب النزول	العلاقة مع السياق التاريخي/ مراحل السيرة النبوية	العلاقة مع السياق النصي/ سياق السورة	الدلالات العقدية والدعوية والتربوية
سورة الصافات (٨٣-١١٣)	السنة الثانية عشر بعد رحلة الإسراء والمعراج وبيعة العقبة الأولى (فكانت القصة تصبر النبي ﷺ على الابتلاءات التي تعرض لها – وتمهد له بالهجرة)	يدور سياق السورة الرئيس حول وحدانية الله تعالى وبيان صبر الأنبياء والابتلاءات ونصر الله. وقد اشتمل السياق النصي للسورة على: – قصتا نوح وموسى –عليهما السلام– (النجاة والبشارة). – قصة يونس –عليه السلام– (عرض نموذج من الابتلاء). – قصة إبراهيم –عليه السلام– (تجمع بين الابتلاء والبشارة والنجاة).	دلالة الفطرة. إعمال العقل. إظهار الموعظة. التذكير بنعم الله وشكره. العبرة بالقصص. التربية بالعادات الحسنة. تحفيز العقل على التفكير والنظر. التربية بالقدوة.
سورة الذاريات (٢٤-٣٧)		سياق السورة يدور حول البعث والجزاء ومصير الكافرين، وتبشير المؤمنين. واشتملت قصتا سيدنا موسى إبراهيم –عليه السلام– في السورة على تبينان سنة الله في إنذار الأقوام ثم محاسبتهم.	الإيمان بالبعث والجزاء. التربية بالعادات الحسنة.

الآيات حسب ترتيب النزول	العلاقة مع السياق التاريخي/ مراحل السيرة النبوية	العلاقة مع السياق النصي/ سياق السورة	الدلالات العقدية والدعوية والتربوية
سورة إبراهيم (٣٥-٤١)	السنة الثالثة عشر، وتضمنت بيعة العقبة الثانية وتآمر المشركين على قتل الرسول ﷺ، وأمر الرسول ﷺ للمؤمنين بالهجرة. (تضمنت المشاهد من قصة إبراهيم عليه السلام في هذه المرحلة، التهيئة للهجرة، وبث الطمأنينة	يدور سياق السورة الرئيس حول وظيفة الرسل في إخراج الناس من الظلمات إلى النور. واشتملت السورة على بيان حال الجاحد والكافر بأنعم الله، وجاءت قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- تبين دعاء سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بأن نتجنب عبادة الأصنام لأنها تضل عن سبيل الله.	الإيمان بالبعث. الدعاء لله وحده. بيان قبح المدعو. التربية بالعادات الحسنة.
سورة الأنبياء (٥١-٧٣)		يدور السياق الرئيس حول بيان قدرة الله تعالى وإثبات ذلك بالحجة والبرهان. ويتضمن السياق النصي للسورة علاقة ومناسبة بين قصص الأنبياء المذكورين وقصة إبراهيم عليه السلام: -قصتا موسى وهارون وإبراهيم -عليهم السلام- (إثبات التوحيد وبيان بطلان الشرك). - قصتا لوط وإبراهيم -عليهما السلام- (مقاومة الشرك وما لهما من صلة قرابة والنبوة). - قصتا داود وسليمان وإبراهيم -عليهم السلام- (النعم التي أنعمها الله عليهم).	دلالة الفطرة على إثبات الربوبية. التذكير بنعم الله والشكر عليها. بيان قبح المدعو.

الآيات حسب ترتيب النزول	العلاقة مع السياق التاريخي/ مراحل السيرة النبوية	العلاقة مع السياق النصي/ سياق السورة	الدلالات العقدية والدعوية والتربوية
سورة العنكبوت (١٦-٢٧)	تابع السنة الثالثة عشر، وتضمنت بيعة العقبة الثانية وتآمر المشركين على قتل الرسول ﷺ، وأمر الرسول ﷺ للمؤمنين بالهجرة. (تضمنت المشاهد من قصة إبراهيم عليه السلام في هذه المرحلة، التهيئة للهجرة، وبث الطمأنينة	يدور السياق النصي للسورة حول الابتلاءات والفتن. فتضمن المشهد من قصتي إبراهيم ولوط -عليهما السلام- بيان نعمة الله على أنبيائه وعنايته بهم ونجاتهم من الابتلاء.	الإيمان بالبعث. أسلوب الموعظة الحسنة.

الجدول رقم 2 يلخص معالم التناسب بين مشاهد قصة سيدنا إبراهيم والسياق التاريخي والنصي للسورة التي وردت فيها، ودلالاتها في المرحلة المدنية.

الآيات حسب ترتيب النزول	العلاقة مع السياق التاريخي/ مراحل السيرة النبوية	العلاقة مع السياق النصي/ سياق السورة	الدلالات العقدية والدعوية والتربوية
سورة البقرة (١٢٤-١٣٤)/ (٢٥٧-٢٦٠)	السنوات الأولى من الهجرة هجرة الرسول ﷺ. (تشابه حال المشركين مع قوم إبراهيم -عليه السلام- في المجادلة – ونصر الله لعباده الصالحين وتمكينهم ونجاتهم).	سياق السورة الرئيس حول بيان خلافة الله في الأرض بين من أضاعوها ومن أقاموها. فيتضمن السياق النصي التحدث عن بني إسرائيل الذين أفسدوا في الأرض، وقابلوا نعم الله بالكفر والجحود، ومشهد الخليل في إقامته لخلافة الله في الأرض، وجاءت الآيات التالية تبين رجوع القبلة إلى مكة. وقصتا طالوت مع جالوت وقصة إبراهيم – عليه السلام- في إصلاحهما للمجتمع الفاسد، كما تتضمن القصة البرهان على قدرة الله تعالى بتناسب الآيات السابقة لها ومنها آية الكرسي وآيات الإحياء والإماتة.	الإيمان بالبعث. الدعاء لله وحده. المناظرة. أسلوب التربية بالقدوة.
سورة الممتحنة (٤-٦)	وقت صلح الحديبية أو فتح مكة.	يدور السياق الرئيس حول براءة أهل الإيمان من أهل الكفر، وما ينبغي لأهل الإيمان فعله، وما لا ينبغي فعله. جاءت الآيات تبين نهي المولاة للكفار المعتدين، حتى لو كانوا من الأقارب، فجاء مشهد سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يبين براءته من أبيه وقومه.	التربية بالقدوة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إبراهيم، مصطفى، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (د.م: دار الدعوة، د.ط، د.ت).

٣. الإسكافي، أبو عبد الله محمد الأصبهاني، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، (السعودية: معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١).

٤. الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، (لبنان: دار المعرفة، د.ت، د.ن).

٥. الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير** (بيروت: مكتبة الإسلامية، ط٣، ١٩٨٨م-١٤٠٨هـ).

٦. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ).

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: أحمد بن زهوة وآخرون، (لبنان: دار الكتاب العربي، د.ط، ٢٠٢٠م-١٤٣١هـ).

٨. البغا، مصطفى ديب مستو، ومحيي الدين، **الواضح في علوم القرآن**، (دمشق: دار الكلم الطيب، ط٢، ١٩٩٨م-١٤١٨هـ).

٩. البقاعي، إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٨٧م-١٤٠٨هـ).

١٠. البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٥م-١٤١٥هـ).

١١. البيناني، محمد أبو الفتح، **المدخل إلى علم الدعوة**، (قطر: إدارة الشؤون الإسلامية، ط٤، ١٩٩٧م-١٤١٨هـ).

١٢. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، **جامع الرسائل لابن تيمية**، تحقيق: رشاد سالم، (الرياض: دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

١٣. ابن جزي، محمد بن أحمد بن عبد الله، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ).

١٤. الجعبري، إبراهيم بن عمر، **حسن المدد في فن العدد**، تحقيق: جمال بن السيد، (د.م: مكتبة ولاد الشيخ، د.ط، ٢٠٠٥).

١٥. جلغوم، عبد الله إبراهيم، **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني**، (الرياض: المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ).

١٦. الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد حامد الفقهي، (لبنان: بيروت، د.ت، د.ن).

١٧. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **زاد الميسر في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق عبد الهادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٨. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفو عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ).

١٩. حبنكة، عبد الرحمن حسن، **معارج التفكير ودقائق التدبر**، (جدة: دار البشير، ط١، ٢٠٠٠م-١٤٢٠هـ).

٢٠. الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، **تاج العروس**، تحقيق: على شيري، (د.م، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٤هـ).

٢١. حللي، عبد الرحمن، **رسالات الأنبياء**، (لبنان: بيروت، ط١، ٢٠١٥م).

٢٢. حللي، عبد الرحمن، **الدين والملة والشرعة والحنيفية**، (دمشق: دار الريادة، ط١، ٢٠١١م-١٤٣٢هـ)

٢٣. حمد، عبد الله خضر، **الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية (لبنان: بيروت، ط١، ٢٠١٧م-١٤٣٨هـ)**.

٢٤. حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ).

٢٥. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ).

٢٦. الخالدي، صلاح، **قصص القرآن** وعرض وقائع وتحليل الأحداث، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩٨م-١٤١٩هـ).

٢٧. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقان، (د.م: دار الثقافة العربية، ط٢، ١٩٩٢م-١٤١٢هـ).

٢٨. الخطيب، عبد الكريم، **تفسير القرآن بالقرآن**، (القاهرة: دار الفكر، د.ط، د.ت).

٢٩. أبو داود، سليمان الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: جمال بن حسن وآخرون، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ).

٣٠. الداني، أبي عمرو الأندلسي، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط١، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ).

٣١. دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم**، (د.م: دار القلم للنشر والتوزيع، د.ت، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ).

٣٢. دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث**، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ١٣٨٣هـ).

٣٣. الدوسري، منيرة محمد ناصر، **أسماء سور القرآن وفضلها**، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ).

٣٤. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ).

٣٥. رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ١٩٩٠م).

٣٦. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **تفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ).

٣٧. الزحيلي، وهبه بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ).

٣٨. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرغشلي، (د.م، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ).

٣٩. الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ).

٤٠. أبو زهرة، محمد بن مصطفى بن أحمد، **زهرة التفاسير**، (د.م، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

٤١. السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، (الأردن: دار عمان للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٣م-١٤٢٣هـ).

٤٢. أبو ستيت، الشحات محمد، **خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-**، (مصر: مطبعة الأمانة، ط١، ١٤١٢هـ-١١٩١م).

٤٣. السعدي، عبد الرحمن بن عمر بن الحسن التيمي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، تحقيق: عبد الرحمن بن ملا اللويحق، (د.م: د.ن، ط١، ٢٠٠٠م – ١٤٢٠هـ).

٤٤. أبو السعود، العمادي بن محمد بن محمد مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ن).

٤٥. سندي، فؤاد بن محمود بن محمد، **من لطائف التعبير القرآني حول سير الأنبياء والمرسلين**، (مكة المكرمة: د.ن، ط١، ٢٠٠٢م–١٤٢٤هـ).

٤٦. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، (لبنان: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م–١٤١٦هـ).

٤٧. السيد، عاطف، **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها**، (د.م، دار الفكر العربي، د.ط، ٢٠٠٨).

٤٨. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة، (د.م: دار بن عفان، ط١، ١٩٩٧م–١٤١٧هـ).

٤٩. الشايع، محمد بن عبد الرحمن، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، (الرياض: مكتبة الملك فهد، د.ط، ٢٠١٨).

٥٠. شحاته، عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٧٦م–١٣٩٦هـ).

٥١. الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (د.م: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م).

٥٢. أبو شنب، إبراهيم، **منحة الجليل في أسماء الله الحسنى من السنة والتنزيل**، (الإسكندرية: دار الإيمان، د.ط، د.ت).

٥٣. الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٩٥م-١٤١٥هـ).

٥٤. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **فتح القدير**، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ).

٥٥. الشهراني، سعد بن محمد، **السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة دراسة نظرية تطبيقية**، (الرياض: د.ن، ط١، ١٤٣٦هـ).

٥٦. الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م-١٤١٧هـ).

٥٧. صديق خان، أبو الطيب محمد، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، ١٩٩٢م-١٤١٢هـ).

٥٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م-١٤٢٠هـ).

٥٩. طه، محمد، **الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية**، (القاهرة: دار السلام، ط٢، ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ).

٦٠. طهماز، عبد الحميد محمود، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط٢، ٢٠١٤م-١٤٣٥هـ).

٦١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية، د.ت، ١٩٨٤هـ).

٦٢. عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، (الأردن: دار النفائس، ط٢، ٢٠١٠م-١٤٣٠هـ).

٦٣. عبد الكريم، الخطيب، **القصص القرآني في منظوره ومفهومه**، (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

٦٤. ابن عباد، الصاحب، **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، (لبنان: بيروت، ط١، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ).

٦٥. المجيدي، عبد السلام، **إشراق الحضارة الإسلامية على العالم**، (قطر: شركة الخليج، د.ط، ٢٠٢١).

٦٦. العيسوي، حسام، **التربية في القصص القرآني**، (د.م: د.ن، د.ط، د.ت).

٦٧. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، تحقيق: بسام عبد الوهاب، (قبرص: الجفان، ط١، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ).

٦٨. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقايس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.م، دار الفكر، د.ت، ١٩٧٩م-١٣٩٩هـ).

٦٩. الفالح، عبد الله بن سعد، **وسائل التربية السليمة**، (د.م: دار ابن الأثير، د.ط، د.ت).

٧٠. الفراهي، عبد الحميد، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، (الهند: مدرسة الإصلاح، ط١، ٢٠٠٨م).

٧١. فوزي، إبراهيم، **الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم**، (د.م، د.ط، د.ت، د.ن).

٧٢. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ).

٧٣. القطان، مناع بن خليل، **مباحث في علوم القرآن**، (د.م: مكتبة المعارف، ط٣، ٢٠٠٠م-١٤٢١هـ).

٧٤. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، (بيروت: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ).

٧٥. قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، (د.م: دار الشروق، ط١٦، د.ت).

٧٦. القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش(القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م-١٣٨٤هـ).

٧٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن كثير)**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ).

٧٨. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت).

٧٩. الماتريدي، محمد، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)**، تحقيق: مجدي باسلوم، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ).

٨٠. مسلم، الحجاج أبو حسن القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: أحمد زهوة وآخرون، (لبنان: دار الكتاب العربي، د.ط، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ).

٨١. معبد، محمد أحمد محمد، **نفخات من علوم القرآن**، (القاهرة: دار السلام، ط٢، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ).

٨٢. المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (د.م: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م).

٨٣. مهدي، رزق الله، **صفوة السيرة النبوية**، (الرياض: د.ن، ط٤، ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ).

٨٤. النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (د.م: دار الفكر، ط٢٥، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٨٥. نخبة من العلماء، **التفسير الموضوعي**، (الشارقة: جامعة الشارقة، ط١، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ).

٨٦. النيسابوري، نظام الدين الحسن، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ).

٨٧. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (لبنان: دار الطوق، ط١، ٢٠٠٢م-١٤١٢هـ).

البحوث والرسائل الجامعية

١. الأمين، آمال السيد، "أنواع السياق في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية"، **مجلة جامعة الناصر**، العدد السابع، يناير، يوليو ٢٠١٦.

٢. الحازمي، خالد بن حامد، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، العدد ١١٦، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣. حللي، عبد الرحمن، "قراءة الشافعي في سياقه: نحو مقاربة جديدة"، **مجلة التبين**، العدد٣٤ السنة ٢٠٢٠.

٤. أبو حميد، محمد صلاح زكي، "أسلوب الاستفهام ودلالته البلاغية في سورة الصافات"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، العدد ١٢٥، ٢٠١٤.

٥. بوميدين، مختار، **دور السياق في فهم القصص القرآني قصتا آدم وإبراهيم -عليهما السلام-**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية (الجزائر، جامعة أبي بلقايد، ٢٠١٤).

٦. السباعي، مريم عبد القادر، **القصة في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ).

٧. سردار، صباح بنت نور مياه، **أثر القصص القرآني في غرس العقيدة من خلال قصة إبراهيم –عليه السلام–**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، (ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٥م–١٤٣٦هـ).

٨. سقعان، محمد، **أثر السياق في فهم المتشابه اللفظي في القرآن**، رسالة ماجستير، (تركيا، جامعة نجم الدين أربكان، م٢٠٢٠).

٩. الطحان، يوسف سليمان، "السمات الأسلوبية في القصة القرآنية قصة إبراهيم عليه السلام – أنموذجًا"، **مجلة أبحاث كلية التربية**، العدد ٣، ٢٠١١م.

١٠. الدخيل، خليل بن عبد الله، "ملامح من قصة إبراهيم –عليه السلام– في سورتي البقرة وإبراهيم دراسة موضوعية"، **مجلة تبيان**، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٨، ٢٠١٤.

١١. دزني، دلخوش جار الله، **المعاير السياقية في قصة الأنبياء** (آدم وإبراهيم وعيسى عليهم السلام)، (أربيل: جامعة صلاح الدين، د.ط، د.ت).

١٢. عبد الوهاب، محمد، "السياق القرآني في التفسير (نظرية تطبيقية من خلال تفسير التحرير والتنوير)"، **مجلة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية**، العدد٨، ٢٠١٦.

١٣. عموري، نعيم، **دراسة أسلوبية في الصوت والتكرار في سورة الذاريات**، جامعة شهد جمران.

١٤. عقيلان، طارق أحمد، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، رسالة ماجستير، (غزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م–١٤٣٠هـ).

١٥. غوادرة، فيصل حسين، المستوى البلاغي في سورة مريم، **مجلة الجامعة الإسلامية**، العدد ١، يناير ٢٠٠٩.

١٦. نقرة، التهامي، **سيكولوجيا القصة في القرآن**، رسالة دكتوراه، (الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، ١٩٧١).

١٧. الفراج، عبد الله بن صالح، **بلاغة أساليب الإنشاء في سورة الحجر**، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، (المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ).

١٨. الفرحان، راشد عبد الله، البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم، **مجلة البعث الإسلامي**، العدد ٨، ٢٠١٨م.

١٩. القرشي، منال بنت منصور، **القصص القرآنية في الدراسات التربوية**، مجلة بحوث كلية الآداب.

٢٠. الكبيسي، خليل رجب حمدان، "المناسبات في فواصل سورة الحجر دراسة تطبيقية"، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية**، العدد ٣٦، ٢٠١٨م.

٢١. المحارقي، إيمان محمد أحمد، **بلاغة الحجاج في سورة الأنعام**، رسالة ماجستير، كلية اللغات، (اليمن: جامعة صنعاء، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م).

٢٢. محمود، المثنى عبد الفتاح محمود، **السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي**، مجلة العلوم الشرعية، ع٢٩، ٢٠١٣.

٢٣. محمود، محمد حسين، "تنوع الأصوات في ختام فواصل سورة هود دراسة صوتية دلالية"، **مجلة قطاع اللغة العربية والشعب المناظرة**، العدد١٥.

٢٤. محمد، عبد الصمد، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائص التركيبية وصوره البيانية**، رسالة دكتوراه، كلية التربية الإسلامية، (المملة العربية السعودية: وزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٢٥. مرامي، جلال، "دراسة القصة القرآنية القصيرة جدا وعناصرها"، **مجلة إضاءات نقدية**، العدد ٢٢، ٢٠١٦.

٢٦. المطيري، عبد الرحمن، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٢٧. الملفوح، فوزية محمود عبد الرحمن، رسالة ماجستير، **أصول الإيمان في قصة إبراهيم -عليه السلام-**، كلية أصول الدين، (غزة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ).

٢٨. ليا، أنجراييني، **أسلوب الالتفات في سورة الشعراء وفوائده في تعليم البلاغة**، الجامعة الإسلامية، (اللغة العربية، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

المواقع الإلكترونية:

معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مؤسسة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، تاريخ الاقتباس: ١٣/ ١٠/ ٢٠٢٢،

https://www.dohadictionary.org/root/%D9%82%D8%B5%D8%B5.